المشرق
بيروت

السنة الخامسة والثلاثون — تموز – ايلول ١٩٣٧

عادات وتقاليد رومانية

الحمامات — المآدب — المسارح والملاعب (*)

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

طرق الاستحمام

من مظاهر الحياة الاجتماعية المهمة في رومة وسائر المدن الرومانية، وما يلحق بها من المستعمرات ومناطق النفوذ الروماني، عادة الاستحمام وما كانت تفرضه من اساليب يسير عليها المستحمون قبل الحمام، وفي اثنائه، وبعده، حتى اصبح الاستحمام من ميزات الرومانيين الخاصة، واصبحت الحمامات من المباني الرومانية الفخمة.

(*) مادة محاضرة من محاضرات «معهد الآداب الشرقية» في فرع «التاريخ والاثريات في سورية وفنيقية».

وقد تسرّبت اليهم هذه العادة من اليونان ، وان يكن هؤلاء لم يعهدوا الحمام الساخن الّا نادرًا في عهد هوميروس . ذلك ان الاستحمام بالماء الساخن كان دليـل الضعف والتخنّث في نظرهم ؛ الّا ان يكون المستحمّ مريضًا او مدفوعًا بسبب كالمرض . اما الحمام البارد فكان مرغوبًا فيه حتى في الشتاء ، وهو دليل القوّة والنشاط . ولهذا كان سكّان اسبارطة ، على نفورهم من الماء الساخن الّا في النادر ، يغطسون كلّ يوم في مياه نهر اوروتاس الباردة . على ان اهل اثينة لم يجاروا الاسبارطيين في هذه العادة المنشّطة ، لان ما فُطروا عليه من التجمّل وتكرّه المشاقّ كان يدفعهم شيئًا فشيئًا الى الاخذ بالحمام الساخن.

وهو ما اورثوه اهالي رومة . فعمّ استعماله حتى اصبح من العادات اليومية ، يقوم به الرومانيون في الساعة الثامنة من النهار ، اي قبل مغيب الشمس باربع ساعات.

ولم تلبث الحمامات العمومية ان اصبحت محلّات للاجتماع والرياضة البدنية ، يقضي فيها ذوو البطالـة ايّامهم كاملة . ولما اصبحت هذه الحمّامات مجانية ، كان كثير من الفقراء يألفونها في سبيل الدفء والراحة.

واذا ارتقينا في تاريخ هذه الحمّامات الى القرن الثاني ق . م . ، نجد انها كانت نادرة في البيوت الرومانية لا ينعم بها الّا سراة القوم . وان لنا في آثار سينيك وصفًا لحمّام سيبيون ، غالب هَنيبعل ، لا بأس بإيراده . قال انه كان « خاليًا ، ضيّقًا ، مظلمًا ، لا تنيره النوافذ بل فتحات اشبه بالمرامي . ولم يكن ماؤه مصفّى ، فكان يظهر على شيء من الوحل ، بعد الامطار القوية ». هذه حالة احد الحمّامات الخاصّة في اوائل القرن الثاني ق . م .

على ان الرغبة في الترف المتسرّبة عن اليونان بدّلت شيئًا فشيئًا من عادات الرومان الشظفة ، فنعمت طرق معيشتهم ، واصلحت من مرافق حمّاماتهم فأضيف الى محلّ الاستحمام قاعات جديدة للاستعداد والراحة . ولم تُلغَ الفروق بين السُراة والعامّة حتى اخذ الرومان جميعهم يختلفون الى الحمامات العمومية . انّا كانوا ، في اول الامر ، على قسط وافر من الحياء . فكان يمتنع الصهر من الاستحمام مع حميه خفرًا وتأدبًا . ولكن انتشار الالعاب الرياضية ، وما تفرضه

من ضرورة الاغتسال ، عمل على تخفيف الحياء فلاشاته . واذا باهل رومة يستحمون مختلطين.

وقد زادت هذه العادة انتشارًا على عهد الامبراطورية ، يعاونها فساد الاخلاق وقلة الاكتراث ، حتى اصبحت الحمامات مشتركة بين الرجال والنساء يختلطون فيها انى شاؤوا ؛ على رغم ما حاوله بعض الاباطرة من منعها فلم يُفلحوا،ولم يتوَّ عليها الّا النصرانية في القرن الرابع ، فانتصرت على هذه العادة انتصارها على الكثير من العادات الوثنية.

كان الرومانيون في اول الامر يدفعون رسماً للدخول الى الحمام . حتى اذا عمّت العادة ، واصبح الحمام من مرافق الحياة اليومية ، اخذ بعض كبار القوم والاغنياء يُنشئون الحمامات المجانية ، في سبيل ارضاء الشعب واستعطافه. فزاد عدد الحمامات زيادة عجيبة في جميع مناطق العالم الروماني . ففي القرن الاول اضاف أغريبا الى حمامات رومة ١٧٠ حماماً جديداً . وفي اوائل القرن الرابع ، كان في رومة وحدها ، على عهد قسطنطين، ٨٥٦ حماماً.

اما بناء الحمّامات فكان بسيطاً حتى اواخر الجمهورية . كان يُكتفى بغرفة او غرفتين الى جانب المطبخ فيحمل الماء اليها ساخناً - حتى كان اوائل القرن الاول ق . م . فانشأ سرجيوس أوراتا حماماً مبلّطاً مرفوعاً على اركان منفرجة (hypocaustes) يتخللها الهواء الساخن واصلاً من الموقد . وبعد ذلك أضيف الى هذا البناء حيطان من الآجرّ المفرّغ متصلة بالاركان المذكورة . وكان من عمل ميسينوس الشهير في رومة انه كان اول من انشأ بركة فسيحة يسبح فيها في الماء الساخن . وفي الوقت نفسه بينا كان ميسينوس ينعم بهذا الترف ، كان اغوسطوس يكتفي بان يعرّق جسده امام النار . ثم يكبّ عليه الماء المسخّن بحرارة الشمس.

وعندما نُظّمت طريقة الاستحمام ، اصبح للحمّام ثلاث غرف تمثل ثلاث محطات يتنقّل بينها المستحمّ.

فيبدأ بغرفة قريبة من المدخل تدعى apodyterium ينزع فيها ثيابه ، بمعاونة اوليائه وعبيده ، ان كان من ذوي اليسار ؛ فيضعها في اماكن خاصة منقورة في الجدار على مسافة عالية مخافة ان تصل اليها ايدي السلّابين . وكان الكثير منهم يمتهنون هذه المهنة ظافرين بثياب مَن لا عبيد لهم من المستحمين. وكان هؤلاء يستأجرون ، على الغالب ، من يحفظ ثيابهم إبّان الاستحمام.

من هذه الغرفة الاولى ، كان المستحمّ ينتقل الى غرفة ثانية اسمها tepidarium ، فتعدّه شيئاً فشيئاً الى الانتقال من الهواء البارد في الخارج الى الحرارة الشديدة في الغرفة الثالثة المدعوّة caldarium . والغرفة الثانية مبنيّة كالثالثة على الاركان المنفرجة المذكورة ، ومكتنفة غالباً بجدران الآجرّ المفرغة. على ان حرارتها كانت معتدلة لبعدها عن الموقد . في هذه الغرفة كان يقيم المستحمّ وقتاً كافياً لتعريقه ، فإعداد جسده لقبول الحرارة الداخلية . ولما كان الزبائن ينعمون بالاقامة مدة في هذه الغرفة المتوسّطة ، ولما كان جوّها اقلّ رطوبة من جوّ الغرفة الثالثة ، امكن اصحاب الحمّام ان يزخرفوا حيطانها وسقفها . وقد اظهرت الحفريّات في ساحة پومپيي غرفةً من هذا النوع مزدانة السقف بكثير من النقوش البارزة وحافلة الجدران بعددٍ من تماثيل الرياضيين تفصل بين طاقات الثياب.

اما الغرفة الثالثة فكانت بجوار الموقد ، وكان فراغ جدرانها وارضها يزيد في قبولها للحرارة ، فتبلغ فيها درجةً لا تكاد تُحتمل . وهي مستطيلة الشكل مزيّنة بالرخام والملاط المُرخّم ، مستديرة احد الطرفين على شكل حَنية فيها جرن مستدير . وفي الطرف الآخر بركة واسعة تحوي الماء الساخن كذلك.

يبدأ المستحمّ بتلقّي حمّام من العرق . حتى اذا اكتفى ، تحوّل إمّا الى الجرن يرشّ جسده بمائه ، وإمّا الى البركة يغطس فيها سابحاً.

وكان من الممكن تعديل الحرارة في هذه الغرفة بواسطة ترس معلّق تجاه فوهة الموقد بسلسلة يستطيع المستحمّ ان يشدّها او يرسلها ، فينزل او يصعد الترس امام الفوهة .

بعد هذا الحمّام الساخن ، كان المستحمّ يرجع الى الغرفة الثانية حيث ينتظره الدلّاكون ، فيدلكون اعضاءه . ثم يأتي صاحب المِقشط (strigile) فيمرّ بمقشطه

ـــوهو نصل طويل من البرونز معقوف مجوّف (الرسم ١) ــعلى جسد المستحم. وبعد ذلك يمكنه ان يغطس في الماء البارد، فينيل جسمه فائدة ردّ الفعل.

الطيوب

بيد ان ترف العادات الرومانية المستمدّ من الشرق لم يكن ليكتفي بهذا الحمّام وحده. لقد غزت رومة الشرق، على عهد الامبراطورية، بقوة سلاحها، وكثرة جيوشها؛ فغزاها الشرق بآرائه وترفه. وكان الشرق، منذ القدم، يولي الطيوب والعطور المقام الاول في حياة النعيم والغبطة. حتى ان الملك داود لم يكن ليستقبل الزوّار وارباب الحاجات الّا بعد ان يكثر من التجمّل والتطيّب. وهو ما نرى ذكره الذكرَ الواسع في المزامير والامثال وغيرها من اسفار العهد العتيق. فهناك الزيت المطيَّب، والمرّ، والندّ، والعنبر، والدارصيني، وغيرها تعطّر الملوك والامراء، وسائر السراة بل الكثير من افراد السوقة.

ولا يخفى انـه متى تداخلت مدنيتان تأخذ الواحدة عن الاخرى اسهل ما تراه مؤثّرًا في الشعب. ولا يتحقق ذوو البصر في الامّة نظريّات الامة الثانية واسباب قوّتها ومنعتها الّا بعد هذا التأثير الأول بمدة قد تكون طويلة. وهكذا فان الشرق أثّر في العالم الروماني بعاداته الترفية، وسهولة معيشته، وما جرّته من نظريّات واخلاقيات، منذ اوائل عهد الامبراطورية. فبدأ الرومانيون بنقل مظاهر الحياة الناعمة. ومنها استعمال الطيوب الشرقية استعمالاً غريباً في تضميخ الأجساد، والثياب، والمنازل، والحمّامات، والخيول.

وكان لا بدّ من استيراد المبالغ الكثيرة من هذه الطيوب. فاخذ العالم الروماني، على نفور شيوخه وقدمائه من المتمسّكين بالعادات الزائلة، يشتري من طيوب بلاد العرب، والفرس، والصين، بقيمة مائة مليون من الدراهم الرومانية (sesterce). وهذا الكاتب پلينوس يحنق ساخطاً لانفاق هذا المبلغ الكبير في سبيل بلاد العطر. وكانت فنيقية في طليعة البلاد المصدّرة العطور. تستخرجها من الزنبق، والـورد، والحنّاء خاصةً. وكانت صيدون من أشهر الاسواق العطرية.

اما تركيب العطور فكانوا قلّما يستعملون فيه التقطير. انما كانوا يمزجون المواد العطرية بزيوت او ادهان يبيعونها في الصيدليات. ولهذا كان الطفيليون وذوو البطالة ينعمون بالاختلاف الى الصيدليات حيث يلذّون مجاناً براحة العطور الفائقة عند نقلها وبيعها. وكانت هذه العطور تُباع بالثمن الغالي، ذكر منها بلينوس ما كان يباع الثلاثمائة غرام منه بمبلغ خمسين ليرة. فكان لا بدّ من ان ترى الحكومات في هذه التجارة مورد ضرائب ورسوم مهمّة. وكانت بعض الملكات الشرقية من امثال أرسينوي وبيرينيس، رغبةً منهنّ في زيادة موارد الدولة من هذه الرسوم، ينشرن عادة التضمّخ بالطيوب على طريقة غريبة فيقتدي بهن كبار القوم، فافراد الرعية جميعاً.

وقد تجاوزت عادة التطيّب الأحياء الى الموتى. فكان اهل الفقيد يزوّدونه بتلك القوارير الزجاجية المشعّة التي كثيراً ما دعاها عامّة المنقّبين خطأً بالبكّاءات واهمين انها كانت تُستعمل لجمع دموع الحزانى والمتأسفين، والحقيقة انها كانت من آنية الطيب. (الرسم ٢)

وكان الروماني، اذا ما انتهى عملية الاستحمام اليومي، ينتقل الى غرفة خاصّة، فيقبل العبيد على دلك جسمه وتضميخه بالطيوب المعطّرة، حتى يخرج لمّاعاً من الطيب. وقد ألحقت هذه الغرفة في ما بعد باقسام الحمّام الروماني المهمّة.

الحمامات — المجمعات

وكان من الطبيعي ان تتطوّر الحمّامات، فلا تنحصر بمنشآت صحية وسرعان ما تحوّلت الى اماكن للاجتماع، والمباحثات، والتمارين الرياضية.

وكان من الرومانيين من يقضون نهارهم بكامله في الحمّامات. بعضهم يدرسون في المكاتب التي أُلحقت بغرف الاستحمام. وبعضهم من طلّاب الرياضة البدنية يتمرّنون، قبل الحمّام، في الساحات وتحت الاروقة على انواع اللعب. حتى اذا نُهكت اجسامهم وغطّاهم الغبار، دخلوا غرف الاستحمام. وكان ذوو الخَفَر، او مَن يأنفون الاشتراك مع الجمهور، يستحمّون في غرف خاصّة.

وقد ترك لنا سينيك وصفاً حيّاً لاحد هــذه الحمّامات من المفيد ان نورد

بعضه قال : « تقوم عليَّ من كل جهة انواع مختلفة من الاصوات لاني اسكن فوق حمّام . تصوّر كل شكل من اشكال الضجيج والصخب الثقيلة الوقع على الأذن : هناك الابطال ذوو المقدرة الجسدية يتمرّنون على الصراع ، او يوازنون الاثقال الرصاصية على سواعدهم حتى اذا تعبوا ، او تظاهروا بالتعب ، سمعت انّاتهم المتواصلة . وكلما ضبطوا انفاسهم مدّة ، ثم اطلقوها ، فهناك الصفير والتنهّدات المزعجة . واذا وقعتُ على دلّاك قليل الحذق لا يعرف الّا التدليك البسيط ، فانه يتناول كتفيّ بدلك يحدث اصواتاً مختلفة بين استخدام راحة كفّه او قفاها . حتى اذا جاء لاعبو الكرة واخذوا باحصاء علاماتهم ، قل عليك السلام ! هذا فوق ما هناك من المخاصمات ، وسرّاق الثياب ، واولئك الذين يستعذبون اصواتهم في الحمّامات ، والذين يقفزون في البرك بقوّة يثيرون معها المياه الرشاشة . أضفْ الى كل ما تقدّم نتّاف الشعر الذي يريد ان يلفت اليه انتباه القوم فيتغنّى بصوته الرفيع المزعج ولا يسكت الّا اذا بدأ نتف إبط المستحمّ المسكين فجعله يصرخ مكانه من الألم . ولا ننسَ باعة الحلويات ، والمربّيات ، والخمارين المنادين كلٌّ على بضاعته بصوتٍ خاصّ ونغمة مميّزة . »

وكانت الحمّامات تقفل ابوابها بعد غروب الشمس ، فيغادرها المستحمّون واللاعبون ، الّا فريقاً منهم لم يكونوا يعبأون باحكام القانون فكانوا يبقون الى ساعة متأخرة من الليل ، على ضوء قناديل وُجد الكثير منها في الحفريّات التي أجريت في امكنة الحمّامات الرومانية . (الرسمان ٣ و ٤)

المآدب

وكان من الطبيعي ان المستحمّين ، وقد قضوا الساعات في اللعب ، والتمرين ، والاستحمام ، يشعرون بالجوع . فكانوا ينتقلون من الحمام الى الأكل .

وساعة الأكل العادية كانت التاسعة من النهار ، اي قبل غروب الشمس بثلاث ساعات . على ان هذه الساعة لم يعمّ التقيُّد بها ، فان الكثيرين كانوا يبدأون الأكل منذ الظهر ، وغيرهم لا يجلسون الى الموائد الّا في ساعة متأخرة . وكان معدّل المدّة المعيّنة للأكل ثلاث ساعات على التقريب . وكثيراً ما

كان نيرون يظلّ على المائدة الى منتصف الليل . واحياناً كان السحر يفاجئ الآكلين .

اما غرفة الطعام او المائدة فكانت ، في اول الامر ، في الطبقة السفلى من المنزل ، عند المدخل او وراءه . ثم انتقلت الى الطبقة العليا . ولمّا أُلحق بالمنزل ناحية جديدة ، جُعلت المائدة عادةً الى جنب الغرفة المعروفة بـ(tablinum) ، وفُتح بابها على الرواق . ولكنّ الطاعمين لم يكونوا ليتقيّدوا دائماً بوجود غرفة خاصة للمائدة . فان مناخ البحر المتوسّط كثيراً ما كان يدفعهم الى الأكل في الرواق المتلاعب فيه الهواء الطلق .

ومن السهل علينا ان نعرف غرفة المائدة في الآثار الرومانية ، بوقوفنا على المقاعد او الاسرّة الحجريّة الثلاثة المحيطة بالخوان . ولهذا كثيراً ما دُعيت الغرفة المذكورة triclinium .

على ان هذه الأسرّة رُفعت احياناً ، واستبدل بها اسرّة من الخشب المزخرف او من الموادّ الثمينة كالعاج والفضة والذهب . وقد رأينا امثلةً منها في الآثار المدفنية او في المآدب الطقسية .

وكانوا يضعون على هذه الاسرّة طنافس ومساند ووسائد محشوّة بالقطن يستجلبون بعضها من دمشق . (الرسم ٥)

وكان رب المنزل كرب البيت وامرأته وابنه ، او احد مواليه ، يتوسّدون سرير اليسار ، تاركين للمدعوّين سرير اليمين ، ولرئيس المأدبة سرير الوسط .

ومنذ الأحقاب العريقة في القدم ، نرى ان الرومانيين كانوا يستعملون فُوَط السُفرة يوزّعها ربّ البيت على المدعوّين . على ان بعض المدعوّين كانوا يأتون بفوطة اخرى معهم يضعون فيها ، عند الانصراف ، شيئاً من المأكولات يحملونها الى بيوتهم هديّةً من صاحب الدعوة . اما الخوان فكان من الخشب على الغالب . وكان يُمسح على اثر كل اكلة . (الرسم ٦)

وفي آخر القرن الاول للمسيح بدأ استعمال الشرشف . ولكن كثيراً ما استُبدل به « صدر » من الفضة يضعون عليه صحاف الطعام . وقد تفنّنوا في نقش هذه « الصدور » وزخرفتها الى الغاية . فكان منها ما يمثّل الابراج

السماوية ، يضعون على كل برج صحفة فيها نوع من الطعام يوافق البرج او يشير الى بعض خصائصه . وكان للصدر غطاء يُرفع بعد جلوس المدعوّين ، فيظهر في وسط الصدر أرنب بريّ رُكّب له جناحان على هيئة الحصان الطيّار فيغاسوس . وكان في زوايا الصدر اربعة تماثيل من حملة القِرَب ، يفرغون من قُرَبهم السوائل والتوابل المُفَلْفَلة .

وكان صاحب الدعوة يتفقّد مدعوّيه بالمآكل الطيّبة ، وافضلها ان يقدّم للاضياف انواعاً من الطعام اللذيذ لا يعرفونه ولا يدركون مركّباته . وكثيراً ما كان يفاجئهم بالأمور الغريبة كأن يقدّم لكلّ منهم بيضة اذا كسرها وجد فيها عصفوراً صغيراً .

ولم يكن الرومانيون يستعملون الا اصابعهم في تناول الطعام ، بينا كان رئيس الخدم يقطّع اللحوم ويوزّعها . اما في السوائل فكانوا يستعملون الملاعق وهي مستطيلة اذا ارادوا استعمالها لتناول انواع الحساء وغيرها من المآكل المائعة ، ومستديرة محدّدة المقبض ، اذا استعملوها في اكل البيض . (الرسم ٧)

وكان الخدم يطوفون دائماً حول المدعوّين ، يوزّعون عليهم الخبز ، ويسكبون الخمرة فيشربها المدعوّون في أكواب على شكل رؤوس الحيوانات . على انهم لم يكونوا يكثرون من الشراب الّا بعد الأكل لئلّا تفقدهم النشوة تذوّق الاطعمة اللذيذة . وكان من عاداتهم ان يشربوا الكوب دفعةً واحدةً ، هاتفين بحياة الداعي او غيره من الاصدقاء .

وكثيراً ما صوّر المؤرّخون هذه المآدب بصورة مظاهر فظيعة للنهم والشراهة . وهو صحيح ، اذا ما قسناها بالمآدب اليونانية الممتازة ، على الغالب ، بما كانت تسهّله من اساليب المناظرات العقلية . فاين هذه المجالس الادبية والفلسفية من جلسات النهم الرومانية التي كثيراً ما دفعت الأطباء الى فرض المقيّئات على زبائنهم قبل الأكل وفي اثنائه . بيد ان المباحثات العلمية لم تفقد تماماً من المآدب الرومانية . فان بعض ذوي الثقافة كانوا يرقبون فرصة الأكل ، بعد شغل الصباح المجهد ، وبعد الحمّام المُنعش ، ليخوضوا في ميدان المذاكرات العقلية . فيتناظرون لا في شؤون السباق والألعاب فقط ، بل في

الآداب ، والفلسفة والروايات التمثيلية ، وينشدون الاشعار ؛ او يستمعون لما يلقيه عليهم بعض الممثلين من مقاطع شهيرة في روايات العصر.

الموسيقى

ولم تكن مأدبة حافلة لتخلو من الموسيقى ؛ حتى ان دخول قصاع الطعام كان يُعلن عنه بانغام يوقعها الزمّار ، وهو في الغالب لبناني الأصل او سوريّه ، على مزماره الطويل المعروف باسم (tibia) .

وكان هذا المزمار مؤلفاً من قصبة مستطيلة جُعلت فيها الخروق ، على شكل الشبّابة . وكان من المزامير ما يُستعمل مزدوجاً في الحفلات العامّة ، وفي مظاهر الابتهاج ، اما في الطقوس الدينية فكان المزمار مفردًا على الغالب . وهو آلة موسيقية قديمة الاستعمال ، نعرفها في مصر ، منذ القرن الرابع عشر ق.م. وقد يكون قد انتقل من مصر الى فنيقية ، ومنها الى جزر الارخبيل ثم الى بلاد اليونان ، ومنها الى رومة . وقد يكون ظهر في بلاد مختلفة دون ان يكون بينها من صلة.

ولا شكّ في انه صُنع اولاً من القصب البسيط ، ثم تُفنّن فيه فاتخذ من العاج او من الخشب الرقيق يغطيه المعدن . وبولغ في التفنّن فيه على العهد الهليني ، وعند الرومان ، فبلغ طوله من ٤٠ الى ستين سنتيمترًا او اكثر من ذلك . وضُخم قسمه الأسفل فانتهى على شكل القمع . (الرسم ٨)

ولما كان المزمار من اسهل الآلات الموسيقية استعمالا ، كان انتشاره عامًا ، بادئاً في عهده الأول بين الرعيان ، وهو لا يفرض في مستعمله الا مقدرةً على النفخ ومهارة في تحريك الاصابع . ولهذا نرى كثيرًا من الرسوم تظهر النافخين بالمزمار ضخام الجثة ، منتفخي الخدود ، على قليل من الرشاقة. وقد شاء النافخون منذ القدم ان يتخلصوا من تأثير المزمار في خدودهم واوداجهم ، فكانوا يلفون رؤوسهم بلفائف تمنع ، في زعمهم ، ذاك التضخّم .

وتذكر الاساطير ان اثينة هي التي اخترعت المزمار . على ان النفخ فيه كان يضخّم خدّيها ويعجّي وجهها فيعرضها لهزء رفيقاتها . حتى غضبت منهن

فرمت المزمـار ولعنت كلّ من يتجاسر فيتناوله . وكان ان مرّ مرسياس راقصاً مترنّحاً ، فاعجبه المزمار المطروح . فتناوله . واذا بـه يعجب بنغمته ، ويخال نفسه من اقدر الموسيقيين حتى انه لم يتراجع عن مباراة افولّون . ولكنه غُلب في هذه المباراة ، فرُبط الى شجرة ، وسُلخ جلده .

وكان للمزمار ان ينال حظّاً وافراً في بلاد اليونان ، الّا في العهد الهليني ، فانه ضعف انتشاره وانصرف عنه الناس ، ما عدا اهل الاسكندرية .

وكان لهذه الآلة ان تتطوّر ، وترتقي انغامها . فيتحوّل النافخ فيها من ذاك الرجل الضخم الجثة المنتفخ الخدين الى فنّان على نصيب من المهارة . بل كثيراً ما رأينا ، بعد ذاك العهد ، النساء ينفخن بالمزمـار بحذق وفنّ فائقين ، وكثيراً ما كنّ من اللبنانيات والسوريّات لاضطلاعهنّ ، في بلادهنّ ، بهذا النوع من الموسيقى . حتى اصبح المزمار ملك الجوقات الموسيقية ، كما ان الكمنجة ملكتها في عصرنا . وكان نافخ المزمار يدير الجوقة بنفسه موقّعاً برجله الانغام ، متجاوزاً احياناً الى الارتقاص ، بل الى الوقوع في الإغراق وفساد الذوق .

والى جنب المزمار ، كان يرغب الرومانيون في آلة وترية هي القيثارة (الرسم ٩) او المِزْهَر (الرسم ١٠) ، ومبدأهما واحد وهو تساوي اوتارهما جميعاً في الطول . اما الفرق في النغم فينتج من ضخامة الاوتار وتوتّرها .

وقد اختلف عدد الاوتار باختلاف العصور . فكان اولاً ثلاثة ، ثم وصل الى الاربعة ، والسبعة ، والتسعة ، والاثني عشر ، بل الى الثمانية عشر وتراً احياناً .

وكان يستخرج النغم بغمز الوتر حيناً ، واحياناً بالضرب عليه بواسطة « ريشة » من المعدن ، او العاج ، او عظم القرن ، او الخشب الصلب .

وكانت الألحان تضرب منفردة او مرافقة للغناء . وكثيراً ما كان الضارب من مؤلّفي الألحان ، وقد يرتجلها ارتجالاً .

وعرف الرومان القدماء ، غير ما تقدم ذكره من آلات الموسيقى ، آلة تشبه الارغن ، وآلة تشبه المندولين ذهبت بندور . والراجح أنها مصرية الأصل ، وهي تمتاز بانها ذات وترين او ثلاثة فقط . وقد كشفت حفريات صيدا الأخيرة عن معمل للخزف فيه كثير من رسوم هذه الآلة .

وكثيرًا ما كانت تُقرن الآلات الوترية والمصوّتة بطبلٍ صغير يشبه الدفّ اخذ الرومان استعماله عن اليونان وهؤلاء عن الشرقيين . والمشهور عندنا ان باخوس كان يلذّه قرع هذا الطبل . وان صوته كان ينفّر الارواح الخبيثة ، كما ان قرع التنك ينفّر ، في خرافات عامّتنا ، الحوت او التنين الزاحف لابتلاع القمر . وقد رأينا في قبور صيدا عددًا من الضاربات على هذا الطبل الصغير . (الرسم ١١)

ولم يكن في وسع الجميع ان يتمتّعوا بالانغام الموسيقية ، فان الاغنياء وحدهم كانوا يتمكّنون من استئجار الجوقات . اما الجمهور فكان يكتفي بما يشاهده ويسمعه في المسارح العامّة .

المسارح

يرقى اصل التمثيل الى الاحتفالات الطقسية . ففي بعض الاعياد كان القوم ينصبون منابر خشبية على مقربة من الأكمات . فيظهر عليها الممثلون ويقومون بادوارهم ، بينما كان الشعب يغتبط ، واقفًا ، بهذه المشاهد . وظلّ الوقوف من الشروط المحتّمة مدةً طويلة ، لئلّا يتخذ الشعب عادة البقاء في المسارح مضيعةً لاشغاله ، على قول تليت . ولم يكن هناك مواقف خاصّة بالاعيان او الفرسان ، او غيرهم من افراد الرعية . بل ان الجميع كانوا يختلطون ، لا فرق بين غنيّهم وفقيرهم ، حتى كانت السنة ١٩٤ ق . م . فافرد ، في المسرح ، محلّات معيّنة لوقوف « الشيوخ » . فاحتجّ الشعب على خلق هذه الامتيازات .

وقد جرّ الامتياز امتيازًا آخر . فسُمح للشيوخ بان يرضعوا لهم ، في مراكزهم المعيّنة ، مقاعد يستريحون عليها في اثناء التمثيل . ولم ينتصف القرن الثاني ق . م . حتى بُدئ بتشييد مسرح كما في بلاد اليونان . ولكن المراقبين امروا بهدمه . وصدر مرسوم فتصلي يحرّم حمل المقاعد الى المسرح في رومة وضواحيها على مسافة ميل .

على ان تطبيق المرسوم كان من الصعوبة بمقدار . لأن الروايات التمثيلية كانت تتجاوز الساعات بل تكاد تستغرق يوم العيد بكامله احيانًا .

وكان التمثيل على تقدّم ، والتأثير اليوناني على اتساع . فبُني ، في منتصف

القرن الثاني ق.م.، درج من خشب ، كان الشيوخ يجلسون بينه وبين الممثل. وفي سنة ٦٧ ق.م. خُصّ « بالفرسان » الصفوف الاولى حتى الرابع عشر منها وكان هذا المسرح الخشبي يُهدم كلّه بعد انقضاء مواسم الاعياد.

حتى كانت السنة ٦٧ ، فانشأ پومپي اول مسرح حجري في رومة. وسرعان ما تعدّدت المسارح الحجرية في مناطق الامبراطورية حتى لم يبقَ مدينة الّا ولها مسرحها. وان لنا في لبنان وسورية كثيرًا من المسارح الرومانية في « المستعمرات» اي المدن المهمّة الحائزة على امتيازات خاصة . وافضل ما بقي من هذه المسارح في جبل الدروز ، واكبر المعروف منها ، في مناطق الانتداب الفرنسوي ، مسرح بُصرى.

اما في لبنان فقد اظهرت الحفريات عدة مسارح ، وبعضها كانت اطلاله ظاهرة للعيان . منها مسرح بعلبك ، وكان ظاهرًا منه جدار واحد من الحجارة الضخمة الى جنب اوتيل پلميرا ، فسبرت البعثة الالمانية موقعه ، واذا بها تتحقق وجود مسرح المدينة . وهو مسرح كبير حتى ان مساحته تتناول موقع پلميرا في اكثريته ، وموقع البناية القائمة الى جانبه ، وموقع دير الراهبات المبني وراءه ومن الراجح ان اقساماً مهمّة من هذا المسرح لا تزال محفوظة تحت الارض.

ونعرف ، على الساحل اللبناني، مسرح البترون او بوتريس، ومسرح جبيل الظاهر بفضل الحفريّات الاخيرة، والراقي الى نحو القرن الثاني ب.م. (الرسم ١٢)

ولمّا كانت هندسة هذه المسارح منقولة بدقّة عن هندسة مسارح رومة ، كان من المعقول ان نستنتج المماثلة في نظام الحفلات المسرحيّة . ولهذا نرانا مضطرّين ، في درس هذه الحفلات في بلادنا ، الى الاخذ بالمعلومات التي نعرفها عن رومة ، مع الانتباه الى الفروق بين حياة العاصمة وحياة الملحقات.

لم يكن جميع القضاة ، وهم الذين يقيمون حفلات التمثيل في رومة ، متضلّعين من هذا الفنّ ، فيمكنهم الحكم بانفسهم على الروايات المسرحية . ولهذا كانوا يلتجئون عادةً الى رئيس الفرقة التمثيلية فيختار لهم من الروايات ما يراه جديرًا باقبال الجمهور. ويكون هذا الرئيس، على الغالب ، من كبار الممثّلين الحائزين على مساعدة الحكومة ، يجمع بين ادارة الفرقة وادارة المسرح. فيعرض

عليه الشاعر او المؤلف روايته . واذا اعجبته اشار على القاضي،فيشتريها ويأمر باقامة الحفلة . حتى اذا لم تنجح الرواية ، ولم يقبل عليها الجمهور ، اضطرّ المدير ان يعيد ثمنها الى القاضي المشتري .

وبعد الحفلة الاولى ، كان المدير يقوم مع جوقته بدورة في الولايات ، فيمثّل الرواية التي تُصبح ، على ما يظهر ، من ممتلكاته الخاصّة .

اما طريقة الإعلان عن الرواية فاننا لا نزال نرى لها مثيلًا في عصرنا . وهي تقوم بان يجول احد المنادين في اسواق المدينة واحيانها هاتفًا باسم الرواية — واحيانًا كانت الاعلانات المكتوبة تقوم مقام المنادين.

اما دخول المسرح فكان مباحًا مجانًا لجميع الرومانيين . وقد كانوا يقبلون احيانًا العبيد انفسهم .

وواضحٌ انه كان يصعب على القائمين بادارة المسرح ان يحفظوا الصمت والسكون في حفل كهذا متباين الطبقات الاجتماعية ، مختلف الثقافات والنزعات .

في اثناء التمثيل

كان المؤلفون او الممثلون يوطّئون لرواياتهم بمقدّمات يقرأها احد الممثلين ، قبل الشروع بعرض الرواية ، فيشرح للحاضرين موضوع الرواية وتقسيمها ، ويدافع عن المؤلف رادًّا على المتهجّمين ، طالبًا من الحاضرين السكون والاصغاء التامين .

وان لنا في مقدّمة بعض الروايات ، كآثار پلانت مثلًا ، لدلائل واضحة على كون الجمهور مُيّالًا الى الشغب : ففيه اناس يتنازعون حتى المضاربة ؛ وفيه عبيد يحتلّون اماكن الاحرار فيضطرّ رجال النظام الى طردهم ؛ وفيه الغانيات اللواتي يقصدن المسارح ليعرضن جمالهنّ فيصرفن انظار الناس عن مشاهدة الرواية ؛ وفيه كبيرات العقائل يتحادثن بالصوت العالي ويقهقهنّ مزعجات الجيران ؛ وفيه المراضع مع اطفالهنّ الذين « يصرخن كالعجول » ؛ وفيه وكيل النظام الذي يزعج الجمهور بكامله كي يقود الداخلين الى محلّاتهم الخاصّة .

هذه حالة المسرح العادية من الصخب والضجيج . فكيف بها اذا ما قصد

حسّاد المؤلف ان يتآمروا عليه مشاغبين . وكثيرًا ما كانوا يقصدون ذلك لفرط ما كان يوغر صدور المؤلفين والممثلين بعضهم على بعض من الغيرة والحسد .

وكان من عادة المؤلفين او ارباب المسرح ان يوزعوا اناساً مأجورين في زوايا المسرح ، كي يصفقوا لبعض مشاهد الرواية فيثيروا التصفيق والإعجاب بين الحاضرين . بيد ان هذه الخطة كان يفسدها المنافسون بخطة معاكسة . فيقوم رجالهم ، المأجورون كذلك ، ويصفقون او يضجون او يهيجون الشعب على الرواية والممثلين بكلمات مقتضبة ينتقدون بها الإدارة ، او باوراق صغيرة يدسّونها من صفّ الى صفّ داعين بها النـاس الى المقاطعة . ومما كان يزيد هذه المعارك المسرحية شدّةً أنّ الرومانيين كانوا شديدي التعصب لممثليهم . على رغم ما كان يولّم هؤلاء من احتقار الناس لمهنتهم المنحطّة في نظر الجمهور ، بل في نظر الشريعة نفسها ، حتى العصور المتأخرة .

بيد ان الممثلين اخذوا يتقرّبون شيئاً فشيئاً من كبار القوم ، على الطريقة اليونانية . حتى فازوا باعجاب الناس ومحبتهم ، وتعصبهم المندفع ، على عهد الامبراطورية ، وقد قال تاسيت ان التعصب للممثلين من النقائص التي تظهر في الروماني منذ ولادته .

وكان من نتائج هذه العصبية ان مريدي بعض الممثلين ومناوئيهم كانوا يتشاحنون احياناً حتى المضاربة اثناء تمثيل الرواية . ويُذكر ان نيرون جرح مرةً بيده ، في معركة من هذا النوع ، قاضياً كبيرًا من قضاة الجمهورية . وذُكر كذلك حادثة قتل اثناء تمثيل احدى الروايات ، على عهد طيباريوس . وان نعجب لأمر فعجبنا لتمكّن الحاضرين من متابعة حوادث الرواية في هذه الضوضاء الغالبة .

ادوات التحسين والزينة

لم يكن لدى الرومانيين آلات تضخّم الصوت او تمدّ به . ولهذا نراهم قد دُفعوا ، منذ عهدهم الأول بالمسارح ، الى الاهتمام باصول السماعيات اهتماماً بالغاً . فدقّقوا في بناء مسارحهم متّجهين هذه الجهة ، ضابطين القياسات كلّها ، ولاسيّما عمق الممثّل وعلوّه بالنسبة الى صفوف الحاضرين . حتى انهم كانوا يضعون احياناً ،

في الخنايا الدائرة بالتماعة ، آنية من البرونز مختلفة القياسات مضبوطة النبرات ، تتناول اصوات الممثلين وتردّها مضخمة مصفّاة . وكان هذا الاهتمام بالسماعات يفيد ، لا اصوات الممثلين فقط ، بل انغام النايات والمزامير الشرقية التي كان يوقّعها الموسيقيون في الفترات بين الفصول فيضبطون انتباه الحاضرين ويمنعونهم من الانصراف . على ان كل هذه الاحتياطات كانت اضعف من ان تمكّن الحاضرين من متابعة الرواية ، وسط الضجيج الموصوف سابقاً ، لولا ما كان في ملابس الممثلين من علامات متفق عليها تُشير الى صفاتهم واخلاقهم .

من ذلك ان ارباب المآسي كانوا يلبسون جبّة من الشعر وفيرة ، وقناعاً مستطيلاً يعبّر عن الألم . وكانت احذيتهم متعدّدة النعال كي يرتفعوا بواسطتها فتزداد قاماتهم طولاً .

اما ارباب المهازل فكانوا يضعون على وجوههم أقنعة مستديرة ذات افواه متسعة معجّأة دلالةً على القهقهة والسخرية . وكثيراً ما رأينا أقنعة المآسي والمهازل تستخدم صورها في زخارف المسارح واندية الملاهي . وكان لهم كذلك ألبسة مختلفة باختلاف الادوار التي يقومون بتمثيلها حتى يُصبح كل لون ، وكل زيّ ، مختصاً بدور مثالي كدور العبد ، والطفيلي ، وغيرهما . فكان يسهل ، والحالة هذه ، على السامع الذي انتبه لقراءة المقدّمة ان يتابع فصول الرواية بمشاهدة الممثلين وما ترمز اليه ألبستهم .

سباق المركبات

وللرومان ، غير ما تقدم من الملاهي ، ألعاب المدرّجات والميادين حيث يجري سباق المركبات .

كان صاحب الحفلة ، اي الموظف الذي يقوم بتنظيم الألعاب ، يتقدّم الجميع في طواف احتفالي يجمع الاوليا ، والخيّالة ، والكهنة . فيدخل الميدان ، ويدور حوله ، بين هتاف الشعب . ثم يحتلّ الموظف مركزه في شرفة فوق المدخل .

ويشير الموظفون ، فتنفتح الأبواب . واذا بالمركبات تخرج متسارعة ، فتدور عادةً سبع مرّات متسابقة . وتفوز بالسبق المركبة التي تجتاز ، قبل غيرها ، في

الدورة السابعة ، خطّاً ابيض مسطوراً على ارض الميدان .

وكانت المركبة تحمل لون الفئة التي تنتمي اليها . وهما لونان فقط اول الأمر : الابيض والاحمر . ثم أضيف الأزرق ، والأخضر ، والارجواني ، والمذهب .

ومن الطبيعي ان يتحمّس افراد الشعب كل لحزب او فئة . وان يعهد كبار القوم للفئات المتسابقة بخيولهم يركضونها في مجال السباق .

وقد ذُكر من الامباطرة من كان يميل الى هذا النوع من اللعب حتى الحماسة والعصبية ، بل ان منهم من كان يقود المركبة بنفسه . وكان مركز الحوذي من المراكز المغبوطة لفوزه باعجاب الشعب ، ورضى الامبراطور ، وبالكثير من الاموال حتى ان الشاعر جوڤينال قدّر ثروة احد الحوذيين بثروات مائة محام مجموعة .

وكثيراً ما سُمعت اهازيج الجماهير وهتافاتهم ، اثناء السباق ، في انحاء المدينة بكاملها ، بل كثيراً ما تجاوزت اصداؤها الى خارج المدينة . ولم يقلّ الامبراطرة عن الشعب هوساً واندفاعاً حتى ان كاليغولا اتّهم بانه دسّ السُمّ لاشهر حوذيي منافسيه . وأمر كراكلاّ فرقةً مسلّحةً من الجند فاكتسحت الميدان عقاباً للشعب الذي دفعت به الجرأة فتهكّم على حوذي الفئة المنتمي اليها الامبراطور . ثم أمر هذا بقتل حوذي الفئة المنافسة لانتصاره انتصاراً باهراً على فئته .

هذا في رومة . وكذلك في بيزنطية فقد كانت المنافسة بين فئات المتسابقين تولّد المشاحنات الدامية .

وكانت هذه المشاحنات الداخلية تتجاوز نطاق الميادين الى الخارج . يعززها صخب الجماهير المحتشدة تحت الاروقة وامام الابواب ، حول الباعة ينادون كلّ على بضائعه ، او حول الراقصات الشرقيات ، والعرّافين والسحرة يستطلعون المستقبل ليجاوبوا السائلين عن المركبة السابقة والحوذي الفائز .

ولا يخفى ان هذا الميل للسباق كان يمتدّ من العاصمة الى المدن الكبرى فالى سائر مدن الامبراطورية ، ولكل منها ميدان فسيح كشفت عن كثير منها ، الحفريات العصرية .

وقد نشر حضرة الاب موترد ، في مجموعة كلية القديس يوسف سنة ١٩٣١ ، رسم صفيحة سحرية من الرصاص اكتشفت في بيروت ، واذا فيها معلومات عن

ميدان هذه المدينة. ومن الراجح ان الميدان كان ينبسط في حي اليهود الحاضر، بين شارع المونسنيور شبلي، قرب القنصلية الفرنسوية، وكنيسة الآباء الكبوشيين. وهناك منبسط لا يزال يدعى حتى اليوم «بالوادي». والمرتفع فوقه، عند مقابلة شارع الجيش بشارع بيتان، يظهر على شكل قوس فيعزز قول من يضع الميدان في تلك النقطة. وقد شاهدت بنفسي، في الحفريات التي أجريت مؤخراً لتشييد بعض البنايات الجديدة في «وادي ابو جميل»، عدداً من الاعمدة منطرحة في الأرض كأنها قصفت على اثر هزة ارضية. ويغلب ان تكون الصفيحة الرصاصية التي درسها حضرة الاب موترد قد اكتشفت في موقع القنصلية اليونانية الحاضرة. وقد تحقق الاب موترد في الصفيحة المذكورة اسماء افراس وشياطين. اما الكتابة فغايتها القاء السحر على الافراس والحوذيين المنتمين الى الفئة الزرقاء، وهي مجموعة من اقوال وتعابير وادعية مرفوعة للسلطات الجهنمية. واما تاريخها فيرقى الى القرن الثالث بعد المسيح. واذاً فان بيروت كان فيها ميدان منذ ذلك العهد.

وهناك نصوص غيرها تتكلم عن هذا الميدان. منها اوصاف توسيوس اوريبيس الذي يذكر الألعاب المقامة في ميدان بيروت نحو السنة ٣٥٠ للمسيح.

وكذلك نعرف من حياة ساويروس ان مشاهد الألعاب في ميدان بيروت كانت، في نحو السنة ٤٨٧ او ٤٨٨، تجذب اليها طلّاب معهد الحقوق، وهو اذ ذاك اعظم معهد في الامبراطورية كلها. وكثيراً ما كان هؤلاء الطلّاب يلجأون الى التعابير السحرية، والى العلوم الخفيّة في سبيل غاياتهم حتى اشتهر عدد منهم بالسحر، على قول زكريا، بل قيل انهم كانوا يستعدون للتضحية، في ميدان بيروت، باحد العبيد الأحباش.

فكان ان ضُبطت كتب الطلّاب السحرية وأُحرقت باحتفال، امام كنيسة العذراء، على المرفأ، بحضور محامي المدينة ورجال الأمن، وطلّاب العلوم الدينية. وكان ذلك سبب اضطراب عام بين سكان بيروت.

هذا مجمل ما نعرفه عن بعض التقاليد والعادات الرومانية في العاصمة وكبيرات المدن. ذكرناه بكل اختصار واجمال مستندين الى بعض ما يحفظه متحفنا من وثائق.

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

الفسيفساء

وصناعها قديمًا من الروم الملكيين

الفسيفساء، كما يدلّ عليه لفظها، صناعة رومية. وهي فصوص صغيرة تكون إمّا من الزجاج الملوّن، وبعضه شافّ كالجامات[1]. واما من الحجر المعجون تُغشّى بالذهب ويطبق عليها زجاج رقيق. ثم يُعجن الشيد، اي الجص ونحوه، بالصمغ العربي، ويبسط على الحائط، وترصّع فيه هذه الفصوص[2] على اشكال شتى ونقوش محكمة. تتألف منها صور ورسوم وكتابات تتلألأ بالذهب والاصباغ الزاهية. فتبهر الابصار برونقها وبهجتها ولطافة صنعتها. ويؤخذ من وصف شهاب الدين العمري لها ان ما كان معمولًا منها بالزجاج، مموّهًا بالذهب، كان يقال له المسحور (اي المطلي) وهو القديم. وكانت قطعه متناسقة على مقدار واحد[3]. ويقال له ايضًا الرومي او القسطنطيني، نسبة الى اصل وضعه بالقسطنطينية، لا انه من عملها دائمًا. ومنه ما هو بجامع دمشق، وفي قبة الصخرة، وما كان في مسجدَي المدينة ومكة[4].

ويُعرف الجديد من القديم بان قطعه مختلفة غير متساوية. واكثر ما يكون من المعجون الملوّن. قال العمري: وقد عُمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الاموي. وحصل منه عدة صناديق وفسدت في الحريق الواقع سنة اربعين وسبعمائة (١٣٣٩ م) وعُمل منه قِبَل للجامع التنكزي. ما على جهة

---

١) مروج الذهب للمسعودي، حاشـ الجزء الثاني من الكامل لابن الاثير، ص ٣٦

٢) احسن التقاسيم للبشاري المقدسي، ص ١٥٨، حاشية c

٣) مسالك الابصار ١ : ١٩٣

٤) التعريف بالمصطلح الشريف للعمري، ص ١٨٥

المحراب . غير انه لا يجيء تماماً مثل المعمول القديم في صفاء اللون وبهجة المنظر[١] .

وأقدمُ مَن ذكر صنّاع الفسيفساء بالشام ، فيما وقفنا عليه ، البلاذري صاحب « فتوح البلدان » ، المتوفى سنة ٢٧٩ للهجرة (٨٩٢ م) قال ، بعد ان روى امر الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة بهدم المسجد وبنائه : « وبعث اليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعاً من الروم والقبط من اهل الشام ومصر »[٢] . وفي قراطيس البرديّ المحفوظة في خزائن بريتيش موزيوم ان القبط ، الذين كان الامويون يستعينون بهم في ابنيتهم ، كانوا فعلة وبنّائين ونجارين فقط . ولم يكن بينهم صانع فسيفساء[٣] . وفعل مثل ذلك الخليفة العباسي المهدي ، حين اراد اعادة بناء المسجد الحرام بمكة . فألبس اروقته من الظاهر بالفسيفساء . وشاهدها البشاري المقدسي فقال : « حمل اليها صناع الشام ومصر . ألا ترى اسماءهم عليه . »[٤] ولا شك ان هذه الاسماء كانت منقوشة بالعربية حتى استطاع تمييزها . وليتهُ ذكر لنا بعضاً منها .

وقد اشتبه اسم « الروم » على اليعقوبي[٥] ، والطبري[٦] ، وابن الاثير[٧] ، وسائر من نقل عنهم من الكتبة والمؤرخين ، وظنّوا ان صناع الفسيفساء كانوا من القسطنطينية . ولم يروا بدًّا من تقدير قدومهم منها بطلب من الوليد بن عبد الملك . زعموا انه كتب الى القيصر يسأله ان يعينه على عمارة مسجد النبي . فبعث اليه بالرجال والمال واحمال الفسيفساء . والذهب[٨] . واختلفوا في العدّة . فابلغوا

١) مسالك الابصار ١ : ١٩٣

٢) فتوح البلدان (طبعة اوربة) ، ص ٧

٣) E. de Lorey et M. van Berchem, *Les mosaïques de la mosquée des Omayyades à Damas*, II, p. 7

٤) احسن التقاسيم ، ص ٧٣

٥) تاريخ اليعقوبي (طبعة ليدن) ٢ : ٣٤٠

٦) تاريخ الرسل والملوك (طبعة ليدن) ٢ : ١١٩٤

٧) الكامل (طبعة مصر) ٤ : ٢٠٣

٨) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٠

الصناع الى متتين. وزاد ابن خلدون ان الوليد استكثر معهم من فعلة الشام[١].
وجروا على هذا النمط من المجازفة والتخريف في كلامهم على بناء مسجد دمشق، واضافوا ان الوليد وجه الى الطاغية، كما يقولون، « يأمره » بانفاذ الرجال والاموال والفصوص. وانه ملأ خطابه زجرة وتهديداً. وتوعد فيه بغزو بلاد الروم. وإزالة كل آثارهم في الاسلام « وتخريب كل كنيسة في بلاده حتى كنيسة القدس وكنيسة الرها. »[٢] ان لم يبادر صاغراً ذليلاً الى امتثال امره. ومن الغريب ان خطاب الوليد لملك الروم من اجل مسجد المدينة. وخطابه ايضاً في بناء جامع دمشق — على افتراض صحتهما — كانا في آن واحد. لان بناء المسجدين ابتدأ حقاً في سنة سبع وثمانين للهجرة (٧٠٦ م) فكيف اختلفت اللهجتان هذا الاختلاف الشديد القبيح. وماذا حدث من الأحداث العظيمة في فترة ما بين الخطابين حتى تحوّل الوليد لفوره من موقف السائل المستعين الى مقام المتوعّد المستطيل. واين عزّة الخلافة في موقفه الاول. وهل كان الوليد مفتقراً الى صدقات كلب الروم، كما يسميه البشاري. وهم يزعمون انه انفق في المسجد خراج الشام سبع سنين فضلاً عن ثماني عشرة سفينة ذهب وفضة اقلعت من قبرص.[٣]

وقد تباينت اقوالهم ايضاً في عدة صنّاع الروم القادمين، في دعواهم، من القسطنطينية لزخرفة الجامع الاموي حتى جعلها ابن جبير وابن بطوطة في رحلتيهما[٤]، وشمس الدين البصراوي في فضائل الشام[٥]، اثني عشر الفاً. واربى عليها محمد بن ابي بكر السمرقندي في التهويل والإغراق. فلم يتوقف عن ايصالها في كتابه تاريخ البلدان[٦] الى اربعين الفاً، دون ان يفطن احدهم الى

١) العبر ٣: ٦٠
٢) الثالث من الاعلاق الخطيرة لابن شداد، بريتيش موزيوم Add. 23335, f°23
٣) احسن التقاسيم، ص ١٥٨
٤) رحلة ابن جبير (طبعة ليدن) ص ٢٦١؛ ورحلة ابن بطوطة تحفة النظار (طبعة باريس) ١: ١٩٨
٥) تحفة الانام في فضائل الشام، خزانة باريس ٢٢٥٣، ص ٥
٦) من مخطوطات الخزانة الملوكية.

استحالة إنزال مثل هذا الجيش العرمرم من الروم الاعداء في حاضرة الخلافة ، ولاسيا في وقت كانت الحروب فيه قائمة على قدم وساق بين المملكتين ، كما سيجيء .

وما ندري كيف فات كل هؤلاء المؤرخين ان فسيفساء دمشق او المدينة لم تكن اول زخرفة في المساجد . وان عبد الملك بن مروان سبق ابنه الوليد باتخاذها في قبة الصخرة ببيت المقدس . وفرغ منها ، كما هو مكتوب فيها ، سنة اثنتين وتسعين (٦٩١ م) ، اي قبل الشروع ببناء مسجدَي المدينة ودمشق بخمس عشرة سنة . فاين وجد عبد الملك صنّاع الفسيفساء وقتئذٍ سوى في الشام وفلسطين ؟ وقد شهد سبط ابن الجوزي ، في مرآة الزمان ، انه لما عزم على بناء قبة الصَّخرة والجامع الاقصى « سار من دمشق ومعه الاموال والعمال . »[1] ولذلك لم يشر احد من الرواة والمؤرخين الى استعانة عبد الملك بملك الروم لاستقدام صنّاع الفسيفساء من القسطنطينية . وقد كان اكثر دالّة عند البيزنطيين واحقّ لديهم بالمداراة والاهداء ، في حين كان يدفع لهم الجزية لاشتغاله عنهم بحرب ابن الزبير . خلافاً لابنه الوليد . فانه ، منذ تبوّأ عرش الخلافة ، لم ينفكّ يوالي الغزوات الصائفة والشاتية على الروم ، ويستبيح ديارهم قتلا وتخريباً ، بحيث لم يُبقِ موضعاً للصلح والمجاملة . ولكي يتضح جليا امتناع الموادعة والمساعدة بين خصمين كان الوليد بينهما هو البادئ بمناصبة والعداء ، لا بأس ان ننقل هينا عن ابن الاثير تفصيل هذه الغزوات التي قام بها الوليد منذ سنة ست وثمانين الى ست وتسعين للهجرة (٧٠٥—٧١٥ م) ، اي منذ خلافته الى موته :

« سنة ست وثمانين فيها غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم . (الجزء الرابع ، ص ٢٠١) .

« سنة سبع وثمانين قيل وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وفتح حصونا .

وقيل ان الذي غزا في هذه السنة هشام بن عبد الملك .

---

١) خزانة بريتش موزيوم ، Add. 23277, f° 1-2

فتح حصن بولق . وحصن الاخرم . وحصن بولس . وقمقم . وقتل من المستعربة نحوًا من الف مقاتل . وسبى ذريتهم ونساءهم . (ص ٢٠٢)

« سنة ثمان وثمانين — في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ابن عبد الملك بلد الروم . . . فاقتتلوا هم والروم . فانهزم الروم . ثم رجعوا . فانهزم المسلمون . فبقي العباس في نفر . . . فنادى يا اهل القرآن فاقبلوا جميعاً . فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة . وحصرهم المسلمون وفتحوها في جمادى الاولى . (ص ٢٠٣)

« سنة تسع وثمانين — قيل في هذه السنة غزا مسلمة بن عبدالملك والعباس بن الوليد بن عبدالملك الروم . فافتتح مسلمة حصن عمورية . وفتح العباس ادرولية . ولقي من الروم جمعاً فهزمهم . وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقي بها جمعاً من الروم كثيرًا فهزمهم وافتتح هرقلة وقودية . وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون . (ص ٢٠٤)

« سنة تسعين — في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم . ففتح الحصون الخمس التي بسورية . وغزا العباس بن الوليد حتى بلغ اَرذن . وبلغ سورية . (ص ٢٠٩)

« سنة احدى وتسعين — في هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة . وكان على ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك . (ص ٢١١)

« سنة اثنتين وتسعين — في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم . ففتح حصونًا ثلاثة . وجلا اهل سوسنة الى بلاد الروم . (ص ٢١٢)

« سنة ثلاث وتسعين — في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم . ففتح سبسطية . والمرزبانين . وطرسوس . وفيها غزا مروان بن الوليد فبلغ خنجرة . وفيها غزا مسلمة الروم ايضاً ففتح ماسية . وحصن

الحديد. وغزالة من ناحية ملطية. (ص ٢٢٠)

« سنة اربع وتسعين في هذه السنة غزا العباس بن الوليد ارض الروم ففتح انطاكية. وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة. وبلغ الوليد بن هشام المعيطي برج الحمام. ويزيد بن ابي كبشة ارض سورية. (ص ٢٢١)

« سنة خمس وتسعين في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وغيرها . . . وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين. وفيها قتل الوضاحي بارض الروم ونحو الف رجل معه. (ص ٢٢٤)

« سنة ست وتسعين فيها غزا بشر بن الوليد الشاتية. ورجع وقد مات الوليد. (الجزء الخامس، ص ٣) »

ففي كل هذه السنوات اذاً لم تكن الحال تتسع للمهادنة والمهاداة لاتصال الحروب فيها بين الوليد والروم. فكيف يعقل ان يتبرع ملك الروم فيها لعدوه بمال كان هو احوج الى إمساكه. وكيف يقبل طوعاً إعانة الوليد على هدم كنيسة الروم المنتسبين اليه بدمشق. وتحويلها الى مسجد على يد صناعه الاخصاء. بعد ان كان هو اول منكر لهذا التحويل فيما حكاه اكثر المؤرخين في الاسلام.

وقد جهل المؤرخون البيزنطيون كل هذه العلائق المزعومة بين الملكين. ولم يشيروا بحرف الى كل هذه الهبات والاعانات بالرجال والاموال واحمال الفسيفساء، في كلامهم على اغتصاب كنيسة دمشق وتحويلها الى جامع اموي.

ومن البليّة ان يذهل كل من ذكر الفسيفساء، بعد البلاذري، انها كانت معروفة في الشام، ومصر، والعراق، واليمن، قبل ان يولد الوليد، وقبل ظهور الاسلام. وان صناعتها لم تكن غريبة بدمشق. بل كانت بلديّة منتشرة في امّهات المدائن التي كانت في ملك البيزنطيين. وخصوصاً في انطاكية واورشليم ومادبا. بحيث كانت اعظم الكنائس واهم الاديار مزدانة في جدرانها، وسقوفها، وهياكلها، بهذه الفصوص المذهبة على ضروب شتى من التمثيل والتصوير. وقد تنافس فيها كل المسيحيين من الملكيين، واليعاقبة، والنساطرة، حتى العرب

انفسهم من اللخميين ، والغسانيين ، والنجرانيين . ومن اهم الشواهد على ذلك قول البكري :

« كان اهل بيوتات يتبارون في البيَع وزينتها . آل المنذر بالحيرة . وغسان بالشام . وبنو الحارث بن كعب بنجران . ويعتمدون ببنائهم المواضع الكثيرة الشجر والرياض والمياه . وكانوا يجعلون في حيطانها وسقوفها الفسافس والذهب. وكان على ذلك بنو الحارث الى ان اتى الله بالاسلام. »[1]

ولما قدم ابرهة الحبشي الى صنعاء في اليمن ، وبنى فيها كنيسته المشهورة ، جعل فيها الفسيفساء . وهي التي حُمل منها الى مكة ، لما شرع ابن الزبير في بناء الكعبة ، فيما رواه المسعودي[2] . واقتدى بابن الزبير الوليد من الامويين . والمهدي من العباسيين . حين جددا مسجدَي المدينة ومكة . فبنياهما بانقاض الكنائس والاديار ، شأنَ كثير من المساجد في الاسلام . ومن هنا يُعلم غلط الرواة المؤرخين الذين زعموا ان الوليد كتب الى ملك الروم يسأله ان يعينه على بناء مسجد المدينة . فبعث اليه ، فيما قالوا ، باربعين حملاً من الفسيفساء . مع الرجال والاموال . وانما كانت هذه الاحمال مما قُلع من البيع والديارات والخرائب في الشام . ولنا على ذلك شهادة الطبري حين ذكر بناء مسجد المدينة . قال : فأمر الوليد ان تتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت فيُبعث بها الى عامله عمر بن عبد العزيز[3] . وعلى مثل هذه الخطة جرى ايضاً في بناء جامع دمشق . وتقدم الى غزاة الروم ان يحملوا اليه كل ما يجدونه من قطع الرخام والفسيفساء . فكانت تحمل اليه احياناً على البريد[4] واحياناً كثيرة على الظهور . وهو ما حكاه الامير خالد القسري قال :

« كنا معشر اهل الشام واخواننا من اهل مصر والعراق نغزو . فيُفرض على

---

١) معجم ما استعجم في الكلام على دير نجران . وفي المتن المطبوع : « وزيها » ، وفي ياقوت (طبعة اوربة) : « وزينها » . وكلاهما تصحيف .

٢) مروج الذهب . بهامش كامل ابن الاثير ٦ : ١٦٨

٣) تاريخ الرسل والملوك (طبعة اوربة) ٢ : ١١٩٤

٤) التعريف بالمصطلح الشريف للعمري ، ص ١٨٥

الرجل منا ان يحمل من ارض الروم قفيزًا من فسيفساء . وذراعاً في ذراع من رخام . فيحمله اهل العراق واهل حلب الى حلب . ويُستأجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل اهل حمص الى حمص . فيستأجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل اهل الشام ومن وراءهم حصّتهم الى دمشق.»[1]

ومن ثمّ فليس الّا الله وحده يعلم مـا دخل في جامع دمشق من السلب والغصب والعواري.

وانما امتثل الامويّون والعباسيون بما فعله قديماً انوشروان ملك الفرس . والتقليد من اقدم خصال الشرق . روى المسعودي انه لـما عاث في مدن الشام وافتتح ارض الروم، «نقل من الشام المرمر والرخام وانواع الفسيفساء . والاحجار . . . وحمل ذلك الى العراق فبنى مدينة نحو المدائن وسماها برومية . وجعل بنيانها وما داخل سورها مما ذكرنا من انواع الاحجار . يحكي بذلك انطـاكية وغيرها من مدن الشام.»[2] وهو دليل آخر على كثرة ما كان من الفسيفساء في الشام وانتشارها في كلّ الانحـاء . والابنية حتى استطاع انوشروان نقل ما يكفي لتزيين مدينة برمتها تحـاكي انطاكية . ولا غرابة في ذلك . فان انطاكية لا تزال الى اليوم معدن الفسيفساء . في الشام لكثرة ما يكتشفه علماء الآثار في خنائزهم فيها من الرسوم والبقايا . وتكفي الاشارة في فلسطين الى مادبا في البلقاء، ومصوّرها المشهور، ووفرة اشغال الفسيفساء فيها، ونقوشها في ابنيتها القديمة، مما يشاهد اليوم متفرقاً في منازلها ودورها، ليُعلم انتشار هذا الفن في كل الديار الشامية، وانه كان فيها قبل خلافة الامويين فناً بلدياً راسخ القدم، له صناعه واساتذته من اهلها، يتوارثه الخلف عن السلف دون اقل حاجة الى الاستعانة عليه برجال القسطنطينية .

ولا شكّ ان الوليد لم يتخذ في جامع دمشق هذه الفصوص المذهبة الرائعة الا لأنه كان عاينها وأعجب بها في كنائس دمشق. وقد نقل لنا البشاري المقدسي رأياً سمعه من عمه، يدلّنا على السبب الذي اغرى الوليد ببناء جامعه بمثل هذه

١) مسالك الابصار للعمري، ص ١٦١

٢) مروج الذهب ٢ : ١٣٩

الزخارف والفنون ، قال :

« قلت لعمي : يا عم . لم يحسن الوليد حيث انفق اموال المسلمين على جامع دمشق . ولو اصرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورمّ الحصون لكان اصوب وافضل . قال : لا تعقل يا بني . ان الوليد وُفّق وكُشف له عن امر جليـل . وذلك انه رأى الشام بلد النصارى . ورأى لهم فيه بيعاً حسنة . قد افتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقمامة . ولدّ . والرها . فاتخذ للمسلمين مسجداً شغلهم به عنهن . وجعله احدى عجائب الدنيا . الا ترى ان عبد الملك لما رأى عظم قبة القمامة وهيئتها خشي ان تعظم في قلوب المسلمين . فنصب على الصخرة قبة على ما ترى »[1]

وغنيٌّ عن البيان ان صناعة كالفسيفساء كان هذا تقدّمها وانتشارها في الشام ، فضلاً عن سائر الاقطار ، وكان لا بدّ منهـا لفن البناء والزخرفة في تزيين البيَع والاديار ، وتزويق القصور والدور ، وتخليد الرسوم والآثار ، يبعد جداً ان لا يكون استقرّ لها قواعد ورسوم ، وانقطع لمزاولتها صنّاع واساتذة في كل بلد . وتناقلها الابنـاء عن الآباء . وقد عُرفت دمشق خصوصاً في كل زمن ببراعة صنّاعها ومعلّميها ، وافتنانهم في كل حرفة . كما تشهد بذلك كل المصطلحات التي اتخذت من اسمها وعُبّر بها عن بعض ضروب الانسجة والاسلحة : damas, damasser, damasquiner ,damasquinage ولا تزال الى اليوم شائعة محفوظة في كثير من اللغـات الاوربية ، للدلالة على نسبة الفن الواردة فيه الى اصل دمشقي ، من قبـل ان يغني تيمورلنك اهل الفيحاء بالقتل والتشريد ، وينقل بقية حذاق عمالها الى سمرقند . وما برح هذا الاتقان والابداع مسلّماً به لهم في كل عصر ومصر . ولذلك قال شهاب الدين العمري في كلامه على دمشق : « وبها الصناع المَهَرة في كل فن . . . وتعمل بها لطائف الاعمال في كل نوع . وصناعها تفخر على بقية صناع الممالكة . الا فيما قلّ . »[2] وقد نعتها الحاج تيمار

١) احسن التقاسيم ، ص ١٥٩

٢) مسالك الابصار . خزانة باريس ٥٨٣٤ ج ٣ : ٢١٠

في القرن الثالث عشر بقوله :⁽¹⁾ Civitas nobilibus et mirabilibus et diversis artificibus plena « اي مدينة حافلة باشهر الصناع المهرة المتفننين ». وزارها كثيرون من السيّاح الاوربيين وتجارهم واجمعوا على اطرائها بالاجادة في كل عمل. واثنوا غاية الثناء على تقدم صناعتها في كل باب وحرفة . وحسبنا ان ننقل هنا شهادة احدهم وهو سيمون سيكولي الايطالي الذي مرّ بها ، سنة ١٣٨٤، وعاين فيها من التحف والطُرف البلدية ما أعجب به غاية الاعجاب. وكتب عنها باظرف اسلوب واغربه قائلاً : لو كنت خبأت دراهمك في عظم ساقك لما توقفت عن كسره لتشتريها.⁽²⁾ ولا غرو في ذلك لان دمشق ، منذ استيلاء الاسكندر على سورية سنة ٣٣٣ قبل المسيح ، الى دخول العرب وسقوطها في ايديهم سنة ٦٣٥، بقيت نحوًا من عشرة اجيال تحت رعاية اليونان والرومان والبزنطيين. وتأدّب اهلها بآدابهم . وتدرّبوا في الصناعات والفنون على طرائقهم ومناهجهم . وحفظوا عنهم اساليب الاتقان ومرافق الحضارة . وقد اقرّ لهم بذلك الفرس والعرب. ولما قال الحجاج لزادان فرّوخ في بعض اسئلته : أخبرني عن اهل الشام. قال: نزلوا بحضرة الروم فاخذوا من ترفّقهم وصناعتهم وشجاعتهم⁽³⁾ . ولا حاجة الى القول ان من كانت هذه ثقافته ودربته ، ورُزق مثل هذه البراعة والمهارة ، لم يكن يعجز عن تعلّم حرفة الفصّ المذهب واستيضاح اسرارها والتمكن منها ، على قرب مأخذها ، كما تقدم من وصفها ، وشيوعها في كل المدن والاصقاع الشرقية .

وعلى كلٍّ فاذا قدّرنا انه كان هنالك دواعٍ تقتضي حقًّا حضور استاذ من اساتذة القسطنطينية لمشارفة العمل ، او لتقليد بعض اساليب الصناعة ، فلم تكن قط حاجة الى مثل هذا العدد الجمّ من البزنطيين الذي جعله ابن عساكر مائتين وابلغه غيره من الغلاة والمخرّفين الى جيش ضخم لا يقل عن اثني عشر الفًا . وكان يغني عنه معلّم واحد من معلّمي الفسيفساء البزنطية تدرّس صنّاعها

1) W. Heyd, *Histoire du commerce du Levant*, t. I, p. 171

2) Simon Sigoli, *viaggio del monte Sinai*. Rome 1819, P. 58

3) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ، ص ١١٤

الدماشقة . ألا ترى ان الخليفة الحكم الاموي لما اراد سنة ٣٥٤ للهجرة (٩٦٥م) ترويق مسجد قرطبة ولم يجد عنده في الاندلس من يحسن صناعة الفصوص ، اوفد الى ملك الروم في القسطنطينية — وكانت الصلات بينهما على احسن وجه لاجتماعها على معاداة العباسيين — وسأله ان يمدّه باحد المهرة في الفن ، فيما رواه ابن عذاري المراكشي في كتابه « البيان المغرب » . وهذا نصّ ما كتبه ، وهو من المتأخرين الذين خُدعوا باسطورة ابن عساكر وحضور الروم من القسطنطينية لزخرفة جامع دمشق ، قال :

« في سنة ٣٥٤ شُرع في تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع . وكان ملك الروم بعث بها الى الخليفة الحكم . وكان الحكم قد كتب له في ذلك وامر بتوجيه صانعها اليه اقتداء بما فعله الوليد بن عبد الملك في بنيان مسجد دمشق . فرجع وفد الحكم بالصانع ومعه من الفسيفساء ثلاث مئة وعشرون قنطاراً بعث بها ملك الروم هدية . فأمر الحكم بإنزال الصانع والتوسيع عليه . ورتب معه جملة من مماليكه لتعلّم الصناعة . فوضعوا ايديهم معه في الفسيفساء المجلوب . وصاروا يعملون معه فابدعوا واربوا عليه . واستمروا بعد ذلك منفردين دون الصانع القادم اذ صدر راجعاً عند الاستغناء عنه . بعد ان اجزل له المستنصر الصلة والكسوة . وتداعى الى هذه البنية كل صانع حاذق من اقطار الارض . »[1]

فاذا كان اهل قرطبة ، على جهلهم قبلاً صناعة الفسيفساء وبعدهم عن مواطنها ، لم يلبثوا ان تعلموها وحذقوا بها ، حتى استغنوا عن الاستاذ الفرد الوارد من القسطنطينية ، واربوا عليه واستقلوا دونه باشغالها ، فهل كان مهرة دمشق ، وهم من سبقت لهم دربة عليها وإحسان لها ، يحتاجون الى المئات والالوف من عمال القسطنطينية للقيام بامورها . وقد تقدم من لفظ البلاذري ان صناع الروم الذين وجههم الوليد للمدينة كانوا من اهل الشام . وهم الذين قرأ صاحب احسن التقاسيم اسماءهم في الفسيفساء . وفي هاتين الشهادتين وحدهما ، فيما عدا الادلة والحجج التي ادلينا بها ، نقض صريح وإبطال لدعوى الواقدي

١) الجزء الثاني من البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذاري المراكشي (ليدن) ص ٢٥٣

واليعقوبي وابن عساكر وجهود مقلّديهم حين زعموا انهم من روم القسطنطينية . وانما خُدعوا جميعهم باسم « الروم » . فظنوا انهم منهم . وفاتهم ان اكثر النصارى بدمشق وكبار المدن السورية في عهد الامويين كانوا من فرقة الروم البلديين المعروفة بالملكية الى اليوم الحاضر . ومن هؤلاء الروم الشآميين كانت الكتبة واكثر عمال الخراج في الدواوين . واشتهر منهم خاصةً آل سرجون بن منصور ، جدّ ووالد القديس يوحنا الدمشقي ، كتّاب معاوية ، ويزيد بن معاوية ، ومعاوية ابن يزيد ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان خلفاء بني امية . وقد ذكر غير واحد من المؤرخين سرجون وصحفوا كثيرًا اسمه سرحون بالحاء . ومع كونه دمشقيًا ، نشأ على ضفاف نهر بردى او فرفر ، نعتوه بقولهم « الرومي » كالبلاذري في انساب الاشراف (ص ١٩٢) والمسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص ٣٠٢) والجهشياري في كتاب الوزراء والكتّاب (ص ٢٦) والطبري في تاريخ الرسل والملوك (٢ : ٨٣٧ طبعة اوربة) والصولي في ادب الكتّاب (ص ٢ ١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (التهذيب ٦ : ٧١) وابن عبد ربه في العقد الفريد (١ : ١٧٠ و ٢ : ٢٦٢) . وكانت دواوين الخراج يومئذٍ وكل ما يتعلق بها من الاعمال والكتابات والحسابات انما تُدوَّن بالرومية كفي ايام البيزنطيين . وكذلك كانت النقود رومية . وهو ما كان يقتضي لا محالة اختيار جمهور العمال من هؤلاء الروم البلديين الذين يحسنون الكتابة والحساب بالرومية . وبالطبع ان هؤلاء الكتاب كانوا لا يؤثرون احدًا للقيام بالاشغال السلطانية على الصناع الذين يشاركونهم في المذهب لمعرفتهم اياهم بالحذق والاجادة في اكثر الفنون والصناعات منذ ايام البيزنطيين . ومنهم كان اكثر صنّاع الفسيفساء لا شك في قبة الصخرة ومسجد المدينة . واكثر المرخّمين ايضًا بمسجد دمشق ، وهم الذين روى ابن عساكر انهم كانوا اثني عشر الفًا .[1] وبقيت منهم بقية الى القرن الاخير حين احترق الجامع سنة ١٨٨٥ ، وأسند الى شيخ منهم من بيت وردة تجديد بعض اشغال الرخام فيه .

١) نزهة الانام في محاسن الشام للبدري ، ص ٣٦

وقد ذهب البعض الى ان لقب « الرومي » كان يُراد به كل نصراني في ديار الاسلام ، دون تخصص بفرقة الملكيين . ولكنا لم نجد ما يثبت هذا الرأي في ما طالعناه من كتب التواريخ الاسلامية . ولم نقف على قول واحد يؤيّد هذا التعميم . وانما شمل هـذا اللقب النصارى عموماً ، والفرنج خصوصاً ، في افريقية وديار المغرب فقط ؛ اذ لم يكن فيها ، كما كان في مصر والشام والعراق والجزيرة وفارس ، مثل تشعب المذاهب وافتراقها في الشرق الى ملكية ونسطورية ويعقوبية وهي اهم الفرق . واكثر ما كانت تجيء النصارى الى افريقية من القسطنطينية ، وصقلية ، وكلابرية ، وايطالية الجنوبية حين كانت هذه البلاد جميعها في ملك قياصرة الروم . فالنصراني عندهم « رومي » على الاطلاق لوحدة المذهب والمعتقد. كما كان الفرنجي يُعدّ في الشرق « ملكيًا » لدخوله في جملة من يدينون بطاعة الباب بطريرك الملكيين[1] . ولا يزال لقب « الرومي » في تونس والجزائر ومراكش وسائر المغرب يتناول اليوم كل نصراني بالاجمال من كل الشعوب.

وكان العرب ، في بدء الخلافة الاموية ، لا يكادون يعرفون احداً من الاعاجم معرفتهم للروم ، لمجاورتهم لهم في الشام والعراق ، وعلائقهم بهم اكثر مما كانت بالفرس منذ ايام الجاهلية ، لاجتماعهم معهم في الدين المسيحي . فلم يكونوا يتمذهبون في نسبتهم . وكان كتاب الانشاء السلطاني يعلمون خصوصاً انتماء كل ملك وقوم من النصارى عامة كما يتحقق ذلك من نظر في كتب المصطلح الشريف كالتعريف ، وتثقيف التعريف ، وصبح الاعشى . فالاشتباه بين الروم وسائر الطوائف المسيحية لم يقع قط في كتب الاخبار والتواريخ الشرقية . وانما كان يتناول احياناً الروم البيزنطيين والروم الملكيين لوحدة الاسم والمذهب بينهم . وهو الاشتباه الذي وقع فيه الواقدي واليعقوبي وابن عساكر ونظائرهم ومقلدوهم في كلامهم على فسيفساء الجامع الاموي . ونشأت عنه اسطورة حضور جيوش العمال من القسطنطينية .

وقد تفرغت الآنسة مرغريت فان برشم ، وهي من المتخصصات بعلم فن

---

1) صبح الاعشى للقلقشندي ١١ : ٢٢٦ ، و ٥ : ٢٠٨ و ٤٠٨

الفسيفساء، ولها فيها تأليف حسن، لدرس هذه المسئلة من وجهيها التاريخي والفني. ومع تسليمها ببعض مشاركة للقسطنطينية باشغال دمشق، فقد رأت، بعد إنعام النظر في فصوص دمشق ومقابلتها بما عاينته من آثار الفسيفساء الباقية في اجيا صوفيا في القسطنطينية وبعض ابنية سالونيك، ان طرائق الفن هي واحدة في كل هذه الاشغال. ولكن لدمشق اسلوب خاص في تأويلها وزيادة في تمثيلها وتلوينها بمقدار لا يشاهد في فصوص القسطنطينية، اقتبسته دمشق من بيئتها الشرقية[1].

واذا كانت هنالك حقاً مشاركة من القسطنطينية في جامع دمشق، فهي عندنا لم تتجاوز «الآلات والفسافساء».[2] كما يستدلّ من شهادة الامير خالد القسري. وحسبنا جاء من لفظ البشاري من كلام له حكى فيه من جملة ما كان «يقال» في زمانه، اي قريباً من قرنين قبل ابن عساكر: «ان الوليد جمع لبناء جامع دمشق حذّاق فارس والهند والمغرب والروم»[3]. وكان الجامع عندهم يعدّ كما سبق من لفظه ايضاً «احدى عجائب الدنيا». فلا غرو اذا تسابقت السُّمّار والقُصّاص الى تعظيم شأنه، وتبارت القرائح والمدائح في نسبة تشييده وزخرفته الى اشهر مهرة بلاد الصناعات في الدنيا، وفي مقدمتها وتتنذ بلاد الروم المعروفة بالتأنق والابداع في الفنون. ومن الغريب ان تكون المخيّلة الشرقية ذكرت الهند وذهلت عن الصين.

ولعل في ما قدمناه من هذه الشروح والاستدراكات غناء لنقض خرافة «روم القسطنطينية» واثبات صناعة الفسيفساء لروم دمشق. بحيث يحقّ غداً لمؤرخ المدينة عدّ الفسيفساء قديماً بين مفاخر الصناع الملكيين في الفيحاء.

1) *Les mosaïques de la mosquée des Omayyades à Damas*, II, p.16

٢) احسن التقاسيم، ص ١٥٨

٣) احسن التقاسيم، ص ١٥٨

امّهات اشراف المسلمين النصرانيّات

ووالدة الامير خالد القسري الرومية

اشتهر الاشراف في الجاهلية والاسلام بحب التسرّي والتزوّج بالاماء والفتيات الاجنبيّات. وقد علّل ذلك عمر بن الخطاب بقوله «ليس قوم اكيس من اولاد السراري. لانهم يجمعون عزّ العرب ودهاء العجم.»[1] ولكن العرب كانوا يعدّون مثل هذا الزواج حطّة في النسب. ويسمّون من كان ابوه شريفاً وامه أَمَة «هجيناً». قال المبرّد: وانما قيل هجين من اجل البياض. فكأنهم قصدوا قصد الروم والصقالبة ومن اشبههم[1]. يريد بياض الاماء من هذين الجيلين.

وكان يقال للأَمَة ايضاً فتاة، وامّ ولد[2]. وليس ادلّ على كثرة الهجناء والفتيات في الاسلام من حكاية النكتة التي اوردها المبرّد قال:

«يروى عن رجل من قريش لم يُسمَّ لنا قال: كنت اجالس سعيد بن المسيب. فقال لي يوماً: مَن اخوالك؟ فقلت: امي فتاة. فكأني نقصت في عينه. فامهلت حتى دخل عليه سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رحمه الله. فلما خرج من عنده، قلت: يا عمّ مَن هذا؟ فقال: يا سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك. هذا سالم بن عبدالله بن عمر. قلت: فمن امه؟ قال: فتاة. قال ثم اتاه القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق، رحمه الله. فجلس عنده ثم نهض. فقلت: يا عم مَن هذا؟. فقال: أتجهل من اهلك مثله؟ ما اعجب هذا! هذا القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق. قلت: فمن امه؟. قال:

---

١) الكامل للمبرّد (مطبعة التقدم) ١ : ٢٥٤-٢٥٥

٢) روى الحسن بن محبوب علي بن رباب عن زرارة عن ابي جعفر، عليه السلام، قال: سألته عن ام الولد. قال: أمة تباع وتورث وتوهب. وحدّها حدّ الامة. (كتاب من لا يحضره الفقيه لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي. رقم ١٧٠٣، ص ٢٤٢، من الخزانة المطوية).

فتاة . فامهلت شيئاً حتى جاء علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه . فسلّم عليه . ثم نهض . فقلت : يا عم مَن هذا؟ قال: هذا الذي لا يسع مسلماً ان يجهله . هذا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . فقلت : فمن امه ؟ قال : فتاة . قلت : يا عم ، رأيتني نقصت في عينك لما علمتَ اني لأمّ ولد . افما لي في هؤلاء اسوة ! قال فجللت في عينه جدّاً.[1]

وكان معظم الخلفاء العباسيين ابناء اماء . وامّهات اولاد . وهذا وحده كافٍ للدلالة على شدّة تفشي التسرّي في الاسلام . ولذلك انشد الرياشي :

ان اولاد السراري كثروا ، يا ربّ ، فينا
ربّ ، أدخلني بلادًا لا ارى فيها هجينا!

وكانت الفتيات الروميات من احبّ النساء الى المسلمين لما اتّسَمْنَ به في الغالب من الصباحة ، والحذق في الخدمة ، وعمل اليدين . وكان بعضهنّ يتمسكن بنصرانيتهنّ اشد التمسك حتى في قصور الخلافة . ويأبين متابعة ازواجهن في اعتقاد الاسلام . ومن اولاد الخلفاء والامراء والاشراف ، الذين اشتهروا بامهاتهنّ المسيحيات ، مسلمة بن عبد الملك ، فيما حكاه ابن عساكر في ترجمته . والعباس بن الوليد بن عبد الملك[2] . وعبدالله بن الوليد بن عبد الملك . ويزيد بن اسيد . وعبدة بن عبد الرحمن السلمي . وابو الاعور السلمي . وحنظلة بن صفوان الكلبي احد قوّاد الخليفة هشام الاموي . وكانت امه لا تكتم دينها ولا جمالها . قيل خرجت مرة من الكنيسة ومعها جواريها . ومرت بابنها حنظلة ، ومعه اعراب له من كلب . فقال اعرابي منهم : ان عجلتكم هذه لصبيحة . اما لهذه من فتيانكم احد ؟ فقال له حنظلة : أجمل يرحمك الله . فانها ام بعض جلسائك[3] .

وفي ضدّ ذلك كانت ام الحارث بن عبدالله بن ابي ربيعة تُسِرّ نصرانيتها من ابنها . وكانت سوداء حبشية في الارجح . وهو ما يؤخذ من قول الخليفة عبد الملك بن مروان ، وقد ذُكر الحارث يوماً بين يديه ، بعد ان ولّاه عبد الله

---

١) الكامل للمبرد ١ : ٢٥٢

٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . بريتش موزيوم Add. 23277, f° 105b

٣) الاعلاق النفيسة لابن رسته ، ص ٢١٣ :

ابن الزبير . وكان الحارث شريفاً كريماً ديناً سيداً من سادات قريش يقال له القُباع . وهو اخو الشاعر المشهور عمر بن ابي ربيعة.« فقال عبد الملك: ارسل عوفاً وقعد . لاحرّ بوادي عوف. فقال له يحيى بن الحكم: ومن الحارث ابن السوداء ؟ فقال له عبد الملك: ما ولدت ، والله ، أَمة خيرًا ما ولدت امه . »

« ولما ماتت حضر الاشراف جنازتها. وذلك في عهد عمر بن الخطاب . فسمع الحارث من النساء لغطاً . فسأل عن الخبر . فعُرِف انها ماتت نصرانية . وانه وُجد الصليب في عنقها . وكانت تكتمه ذلك . فخرج الى الناس فقال: انصرفوا رحمكم الله. فان لها اهل دين هم اولى بها منا ومنكم . فاستُحسن ذلك منه. وعجب الناس من فعله . »[1]

ولا يخفى ما في مثل هذا القول والفعل من الدلالة على سماحة خلق الحارث وشرفه وبرّه بوالدته . وهو شاهد ايضاً على قلة العداء للنصرانية في زمانه ، خلافاً لما تمثله لنا بعض التواريخ الاسلامية من عصر الخلفاء الراشدين.

واشهر من عُرف بامّه النصرانية، وشتم بولادته منها ، الامير خالد بن عبدالله القسري ، عامل العراق للامويين . ولما وليه صارفاً عنه ابن هبيرة وحبسه في سجن واسط ، قال الفرزدق معرّضاً بخالد. وكان حاقداً عليه لحرمانه اياه :

لقد حبس القسريّ في سجن واسط فتى شيظمياً ما ينهنهه الزجرُ
فتى لم تربّبه النصارى ، ولم يكن غذاء له لحمُ الخنازير والخمرُ[2]

ومن المضحك الغريب ان يعيّر مثل الفرزدق احداً بشرب الخمر ، وهو ، كما سيجيء من قول ام خالد فيه: « خميص من التقوى بطين من الخمر ».

وقد انكر بعض الرواة والمؤرخين على الامير خالد انه لم يأمر والدته بالاسلام. وكان مَن اراد تقريعه من الخلفاء والاعداء يقول له: « يا ابن النصرانية ، ويا ابن الكافرة » . ولما همّ عمر بن عبد العزيز بقلع الفسيفساء والرخام من الجامع الاموي وجعل الطين والحصى مكانها خرج اليه اهل دمشق . وهو بدير

---

١) الاغاني (طبعة الدار) ١ : ٦٦-٦٧

٢) الكامل للمبرد ٢ : ٨٨-٨٩

سمعان . وقالوا له: يا امير المؤمنين بلغنا انك تريد ان تصنع كذا وكذا. فقال: نعم . فقال له خالد القسري وكان معهم : ليس لك ذلك ، يا امير المؤمنين . قال : ولِمَ ؟ يا ابن الكافرة . فقال : يا امير المؤمنين ان كانت نصرانية فقد ولدت رجلًا مؤمناً . فاستحيا عمر وقال : صدقت[1] . وفي رسالة لهشام بن عبد الملك الى خالد ينكر عليه استعانته بالمجوس والنصارى في ولايته للعراق: « نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك »[2] . واقبح من عيره بها مسلمة ابن عبد الملك . وهو ، فيما قيل ، ابن نصرانية ايضاً . وكان ما بينه وبين خالد متباعداً جداً لاسباب لم تذكر . ولما مات اسد شقيق خالد عن امارة خراسان واعمالها ، نيابةً عن اخيه ، كتب مسلمة الى خالد شامتاً به ابياتاً شتم فيها والده اقبح شتم ، وتناول فيها والدته بقوله:

وامه همها وبغيتها هم الاماء العواهر الشُرُد
كافرة بالنبي ، مؤمنة بقسها ، والصليب ، والعَمَد[3]

يريد بالعمد المعمودية . وهذا الخطاب غريب من امير تأدب بآداب الخلافة . وكان خالد يقول : يا عباد الله ، من رأى مثل هذه التعزية ؟

وقد تضافرت الروايات الاسلامية والنسطورية على ان ام خالد كانت رومية الجنس . ولكن اختُلف في مصيرها الى ابيه . فقيل انه رآها في يوم عيد للروم . ولا شك أُعجب بجمالها ، فاستلبها ، واولدها خالداً وشقيقه اسداً[4] . وهو الارجح . وقيل ان الخليفة عبد الملك وهبها لابيه[5] . وكانت حسنة الصورة زرقاء العينين . تنزل بها احد الشعراء . فقال مدافعاً عن نصرانيتها وزرقة عينيها :

يقولون : نصرانيةٌ امُّ خالد ، فقلت : دعوها ، كل نفس ودينها .
فان تك نصرانيةً ام خالد ، فقد صُوِّرت في صورة لا تشينها ،
احبك ان قالوا بعينك زرقة كذاك عتاق الطير زرق عيونها .[6]

---

١) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ، باريس رقم ١٥٨٧
٢) الكامل للمبرد ٢ : ٢٩٨
٣) عيون التواريخ للكتبي . باريس رقم ١٥٨٧ ، ص ١٦٦
٤) الكامل للمبرد ٢ : ٢٩٨
٥) الاغاني ١٩ : ٦٠
٦) عيون الاخبار لابن قتيبة ٤ : ٥٨

ومع ذلك فقد زعم سبط ابن الجوزي انها كانت سودا. قبيحة المنظر .[1] وبمثل هذا الزور والاختلاق والبعد عن كل انصاف وانتقاد كان يُدوَّن التاريخ في الشرق .

ويظهر انها مـا لبثت ان تأدّبت بآداب العرب . وتلقنت لغتهم وفصاحتهم حتى طاع لها نظم الشعر ايضاً . وهو ما يُستنتج من رواية لابن عبد ربه قال فيها : «لما اخذ داود بن طلحة خالدًا ، فضربه ، بامر سليمان بن عبد الملك ، مئة سوط . قال الفرزدق وقد أُولع بهجائه مشيرًا الى شفاعة يزيد بن المهلب فيه :

لعمري ! لقد صُبَّت على متن خالد ... شآبيب لم يُصبَبنَ من صيّب القطر !
فلولا يزيد بن المهلّب ، حلّقت ... بكفيك فتخاء الجناح الى الوكر .

فردّت عليه ام خالد تقول :

لعمري ! لقد باع الفرزدق عِرضه ... بخسف ، وصلى وجهه حامي الجمر .
فكيف يساوي خالدًا ، ويشينه ... خميصٌ من التقوى ، بطينٌ من الخمر !»

واذا صحّت هذه الرواية — ولا شي. ينفيها — تكون ام خالد قد جمعت الى حلية الجسم حلى العقل والعلم . وقد رضع خالد مع لبانها كرم الاعراق ، وسهولة الخلق ، والبعد عن كل تعصّب ديني . ولذلك كان محسنًا الى اهل الذمّة يعرف لهم اقدارهم ، ويقلّد من يصلح منهم الاعمال الديوانية . وهو ما انكره عليه هشام بن عبد الملك، حسبما تقدم من لفظه في رسالته المشار اليها آنفًا . وقد شهد ماري بن سليمان ، احد كتاب النساطرة ، ان خالدًا « كان يقصد الجاثليق كثيرًا ويكرمه . وكان فثيون (جاثليق النساطرة) اذا دخل اليه الكوفة يجلسه على كرسي ويخلع عليه . ويطلب الحنان ويسأله الدعا. . وواقفه على شي. يسير يؤدّيه عن الخراج بالمدائن . وكتب له كتابًا وتقدم الى طارق خليفته بصيانته .»[2] وكان هذا الاحسان احد ذنوب خالد التي احتجّ بها اعداؤه حتى غيّروا رأي هشام بن عبد الملك فيه . ومن اجله ايضًا اتهمه ابو الفرج الاصبهاني بانه كان زنديقًا يولي النصارى والمجوس على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم .

١) العقد الفريد ٢ : ٢٧٦
٢) كتاب المجدل . اخبار فطاركة كرسي المشرق (طبعة رومية) ، ص ٦٦

ويطلق لهم اقتناء الجواري المسلمات[١] . وجمع في مثالبه والازراء عليه اقبح الاقاويل ، وادّعى انه كان في صباه مخنثاً قوّاداً . وان جدّته كانت أمة بغياً . ونفاه عن قبيلة قسر ، وزعم ان جده كان عبداً آبقاً من هجر . او كان اصله من يهود تيما[٢] . ومما اهاجه عليه احتقار خالد لعلي بن طالب وبغضه له ، كشأن كل الشاميين من رجال بني امية . وحكى عن سبط ابن الجوزي — وهو كثير المجازفة قليل التثبت فيما يرويه — ان خالداً بنى بجامع الكوفة فوّارة للماء . ثم دعا بقس من قسوس النصارى وقال له : ادعُ لها بالبركة . فان دعاءك ارجى من دعاء ابي تراب[٣] يعني علي بن ابي طالب . وكان صاحب الاغاني، خلافاً لاهل بيته الامويين ، مغالياً في حب الشيعة . ولذلك لم يتمالك بعد ان نقل بعض قوارص خالد في حق علي ان يقول : « اللهم العن خالداً وأخزه . وجدّد على روحه العذاب »[٤] .

ومع كل ما سُبّ به خالد بانتقاص امه — ولا تعدم الحسناء ذاماً — لم يفتر عن برّها والمبالغة في اكرامها . ويظهر انه لم يكن في زمانها كنيسة للروم الملكيين في الكوفة . وكان يشقّ عليها ان تشهد صلوات النساطرة واليعاقبة . فسألت ابنها ان يبني لها بيعة خاصة بمذهبها البيزنطي . فلبّى دعوتها واقام لها البيعة المنسوبة اليه ، وبنى حولها حوانيت بالآجر والجص . وهُدمت ، بعد قتله ، وصار في مكانها سكة البريد[٥] . قال ابن الاثير : ولما بلغه ان الناس يذمونه لبنائه البيعة لامه . قام يعتذر اليهم ، فقال : لعن الله دينهم ان كان شراً من دينكم[٦] .

وزاد ابو الفرج مبالغة في الذمّ والتشنيع ان خالداً بنى الكنيسة « في ظهر

١) الاغاني ١٩ : ٥٦

٢) الاغاني ١٩ : ٥٦–٥٨و٦٢=٦٤

٣) مرآة الزمان . بريتيش موزيوم Add. 23277, f° 213b

٤) الاغاني ١٩ : ٦٠

٥) معجم البلدان لياقوت ١ : ٦٦٢ ؛ وفتوح البلدان للبلاذري ، ص ٢٨٦ ؛ وكتاب البلدان لابن الفقيه ، ص ١٨٢

٦) الكامل ٥ : ١١٢

قبلة المسجد الجامع بالكوفة. فكان اذا اراد المؤذن في المسجد ان يؤذن ضرب لها بالناقوس. واذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى اصواتهم بقراءتهم»[١]. ولا حاجة الى تزييف هذه التهم. لان النصارى، وهم ذمة تحت رحمة المسلمين، كانوا اعقل من ان يتعدوا طورهم ويتعرضوا للتلف والهلاك. واعجز من ان يتحرّشوا بالمصلّين والخطباء. وقد نسبوا الى الفرزدق ابياتاً في هذا المعنى قالها في هجاء خالد وهي :

ألا قطع الرحمن ظهر مطيّة اتتنا تهادى من دمشق بخالد !
وكيف يؤمّ المسلمين ، وأمّه تدين بان الله ليس بواحد ؟
بنى بيعة فيها النصارى لأمّه ، ويهدم من كفر منار المساجد

وقال ايضاً يخاطب الخليفة :

عليك ، امير المؤمنين ، بخالد واصحابه ، لا طهّر الله خالدا !
بنى بيعة فيها الصليب لأمّه ، ويهدم من بغض الصلاة المساجدا [٢]

ولا شكّ ان البيت الثالث من الابيات الاولى موضوع محرّف عن البيت الثاني من بيتي الخليفة ، كما يظهر بادنى تأمل . وذكروا في تفسيره ان رجلاً من موالي الانصار قال :

ليتني في المؤذّنين ، حياتي ! أنهم يبصرون مَن في السطوح
فيشيرون ، او تشير اليهم ، بالهوى ، ذات دلّ مليح

قالوا: فلما سمع خالد هذا الشعر امر بهدم منارة المسجد ، وحطّها عن دور الناس . وقد اغفل صاحب الاغاني البيت الذي ورد فيه ذكر المنار . ونسب بيتَي المؤذن الى السري بن عبد الرحمن الانصاري ، وانه قالها في المدينة . وكان عاملها يومئذ صالح بن العباس بن محمد قال: فامر بسدّ المنار فلم يقدر احد ان يطلع رأسه حتى عُزل صالح .[٣] وهذه الرواية اوثق واصح لصدورها عن عامل المدينة نفسه كما جاء في الاغاني . فليس لخالد اذن يد في هدم المنار . وقصتها دليل على تحامل بعض الرواة والمؤرخين على الامير القسري ؛ فيجب ان تُنتقد

---

١) الاغاني ١٩ : ٥٩
٢) الكامل للمبرد ٢ : ٨٨-٨٦
٣) الاغاني ١٨ : ٦٢

كل اخباره بغاية النزاهة والتمحيص .

ومن الفكاهات انّ تطلّع المؤذنين من اعلى المنائر الى مَن في المنازل والسطوح قد وقع ايضاً في الغرب . وقد نبّه اليه احد مؤلفي كتب الحِسبة . وزعم ان محتسباً في الكوفة لم يترك مؤذّناً يؤذن في منار الا معصوب العينين . ولا شكّ ان هذا الخبر مبني على البيتين السابقين من رواية المبرّد . قال ابو عبدالله محمد السقطي المالقي الاندلسي :

« ولقد كنت اقول منذ رأيت هذه الحكاية ليت شعري لِمَ فعل هذا · حتى حكى لي جماعة من الثقاة انهم شاهدوا بمراكش قضيّة عجيبة . وذلك ان احد الرؤساء امر ليلة من الليالي حشمه وخدمه ان يتظاهروا لديه بصحن داره في السلاح التام . ليرى ما يعجبه منهم . وبين يديه شمع زاهر واضوآء كثيرة . وجعلوا يحمل بعضهم على بعض يظهرون لسيدهم ما احكموه مما طلبهم له . فبصر بهم مؤذّن من منار مسجد كان يطلع على الدار . فصاح باللسان الغربي « غُدرتم يا مسلمين . ودُخلت دار فلان . » فتسابق الناس الى الدار ووقعت من ذلك في البلد رجّة عظيمة . وتمشى الصياح في الناس . وكانت هيئة كبيرة كان سببها اطلاع المؤذن . . . كما اتفق للرجل الدهان الذي رأيته بغرناطة . وحُدثت عنه انه كان مؤذناً ايام فتآئه باحدى البنيّات . وكان يشرف من موضع اذانه على دار فيها جارية حسناء . اعجبه جمالها . ولما علمت بشأنه لم تزل تلوّح له وتشير اليه وتتناديه حتى شغف بها . فعرضت له يوماً وهو في اثناء الاذان وشغلته حتى زاد ونقص . وسمعه الناس فاحتفلوا اليه وشاع امره فاضطرته الحال الى ان فرّ عن ذلك الموضع واستوطن غيره . وترك ما كان يؤمّ صنعته . »[1]

ولا ندري متى توفيت ام حنين بعد قتله سنة ١٢٦ (٧٤٣/٤ م) . ولعلها سبقته الى اللحد منذ سُجن ، حزناً عليه .

---

١) آداب الحسبة : طبعة باريس سنة ١٩٣١ ، ص ٧–٨

دير قزمان

في شمالي حلب بالقرب من عزاز

اغفل ذكرهُ كلٌّ من ياقوت ، والبكري ، وشهاب الدين العمري . وهو ما يبعث على الظنّ ان كتب الديارات التي نقلوا عنها كانت خالية من كل اشارة اليه . ولا يُدرى من اين جاء هذا الاسم . ولمَ نُسب الدير اليه . وقد حاول ياقوت ان يردّه الى اصل عربي كدعواه في كثير من الالفاظ الاعجمية . وعنده ان قُزمان بالضم جمع قَزَم، اي الدنيء الصغير الجثة من كل شيء . قال : وهو اسم موضع . كذا دون تعيين . ومثل هذا الابهام في تعريف الاعلام كثير في كتب البلدانيين . بل لا تخلو منه معاجم اللغة في تفسير اسماء الاعيان . وهو آفة من آفات العلم الشرقي، وعقبة من اشد العقبات التي تعترض الباحث المنقّب في آثار الازمان الغابرة . وزاد ياقوت في التردّد فنقل عن العمراني انه بفتح القاف اسم موضع آخر[1] . فلا ندري اي الضبطَين اصحّ ، ولا اين موقع الموضعين ؟ ويشبه ان يكون الدير كان منسوباً الى مار قُزما (بالضم) فجعلوه قزمان . كما بدّلوا مار سرجس بماسرجسان . قال ابو نواس :

بججّك قاصدًا ماسرجسان ، فدير النوبهار ، فدير فيق[2]

واوحد من نبّه على هذا الدير ودلّ على مكانه الصاحب كمال الدين بن العديم، نقلًا عن ابي الحسن السيساطي في كتاب الأديرة . وقد انفرد هذا الكتاب، فيما يظهر ، باشياء لم ترد في بقية كتب الديارات ، وهو ما يزيد في التحسّر على فقده . ومنه عرفنا ان دير قزمان كان واقعاً شمالي حلب، ما بين جبرين وتلّ خالد، بالقرب من عزاز[3] . وجبرين هذه لا شكّ جبرين قُورَسْطايا البائدة ، من قرى

١) معجم البلدان (طبعة اوربة) ٤ : ٨٢ .

٢) معجم البلدان (طبعة اوربة) ٢ : ٦٨٤

٣) جزء من بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، خزانة بريتيش موزيوم Add. 23354, f° 103^b

حلب ، من ناحية عزاز[1]. وتل خالد قلعة كانت من نواحي حلب[2].

وروى السيساطي عن ابن جناح،من صحابة عبدالله بن محمد الامين، ابياتاً قالها في دير قزمان قال: حدثني ابن جناح قال: مضيت الى دير قزمان ومعي من آنس به من اخواني. فرأيته ديرًا حسناً طيّباً نَزِهاً. فاقمت فيه اياماً ورأيت فيه شماساً امرد كالبدر. بقد يقدّ القلوب. فانفذت اليه ليحضر عندنا فامتنع. فآنسته وجعلت لا أفارقه. وتناولت معه القربان. ودخلت معه كل مدخل الى ان أُنِس بي وعاشرني وقلبي معه. وقلت:

يا دير قزمان ، كم لي فيك من وطر قضيته فسقاك الله تحنانا !
اتت فيه أُسقَى من مشعشعة تنفي بسورتها همًّا واحزانا
تجلو الدجى بسناها ، وهي نيّرة ، تخالها في كؤوس الشرب نيرانا
حيّاك روض اريضٌ زهرهُ عَطِرٌ ، بديع نور ، يؤدّي الحسن الوانا
له روائع اشجار تجاوب في افنانها الطير مثنى ثم وحدانا
منادماً قسّه دهرًا ، وربتما نادمت قسًّا وشماساً ورهبانا
وفيهم قمر في ليل مُدرَعة على قضيب حوى حسناً واحسانا
فلم ازل انا (اسعى) في تبسّطه وقد اخذت ، بعرني منه ، قربانا
حتى استكان الى وصلي ، ونادمني ، وكان من [illegible] الذي كانا
يا دير قزمان،لا عُرّيتَ من سكن ومن سكون حبًا ، يا دير قزمانا ! [3]

---

١) معجم البلدان ٢: ١٦-٢٠
٢) معجم البلدان ١: ٨٦٧
٣) بغية الطلب في تاريخ حلب F°138b

دير حَنَينا

من اعمال دمشق

في التقاليد المسيحية أن حنانيا الرسول هو اول اساقفة دمشق. فلا غرو اذا انتسب اليه احد الاديار في ضواحيها . وقد تصرفوا في لفظ اسمه فقالوا حَنَينا بفتح الحاء والنون واسكان الياء. وورد كذلك في الشعر . ولا تزال الى اليوم تُعرف به احدى حارات الباب الشرقي من ابواب المدينة حيث كان منزله. وربما الحقوا في الشعر المدّ بآخره فجعلوه حنيناء. وعليه قول الكميت يرثي معاوية بن هشام بن عبد الملك وقد مات عنده :

فايّ فتى دنيا ودين تلمّست بدير حَنيناءَ المنايا فدُلّتِ
تملّت الدنيا به ، بعد موته ، وكانت لنا حيناً به قد تملّتِ[1]

وروى البكري ، فيما قيل ، ان الذي رُثي بهذا الشعر هو البطال احد فرسان العرب المشهور بغزوات الروم في ايام الامويين. مات بدير حنينا قافلاً مع معاوية بن هشام من غزوة. فامر معاوية الشعراء برثائه. والصحيح ما اثبتناه. ومما يدلّ عليه ان قبر معاوية بن هشام كان ملجأ معروفاً في الدولة المروانية يستجير به الخائف فيؤمَّن. لمحله من بيت الخلافة. ولما نظم الكميت قصائده الهاشميات وهجا بني امية ، امر الخليفة هشام بن عبد الملك ان يُقطع لسانه ويده. فأُخذ وحبس. ثم افلت من السجن متنكراً بثياب امرأته. وقدم دمشق. واستجار بعنبسة ابن سعيد بن العاص. فامره ان يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنينا. وشفع فيه بعض رجالات امية فنجا من القتل[2].

وقد اهمل ياقوت والبكري والعمري ذكر هذا الدير في جملة الديارات. وأشار ياقوت اليه في حرف الحاء. واقتصر على القول انه من اعمال دمشق[3]. وو.

---

١) معجم ما استعجم للبكري ، ص٢٧٢-٢٧٤

٢) الاغاني ١٠ : ١١٥

٣) معجم البلدان (طبعة اوربة) ٢ : ٣٥٠

شك ان الناحية كلها كانت معروفة باسمه . ولذلك قيل ان معاوية بن هشام قُبر فيه . وولده عبد الرحمن بن معاوية هو الامير المعروف بالداخل منشئ الدولة الاموية في الاندلس ، ولد في ناحية الدير سنة ١١٣ للهجرة (٧٣١ م)[1].

ولا سبيل اليوم الى الاهتداء لمكان هذا الدير وموقع ناحيته . وكان لا يزال معروفاً مقصوداً بالزيارة في اوائل القرن السابع ، في ايام الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم الايوبي . وقد وُفقنا للعثور على قصيدة من شعر عون الدين بن العجمي الحلبي الكاتب (٦٠٦-٦٥٦ هـ = ١٢٠٩-١٢٥٨ م) في مدح الملك الناصر ذكر فيها ثلاثة من اديار الشام ومنها دير حنينا . ننقل منها ما يأتي ، وغالبه في وصف خمرة الدير :

يا سائقاً يقطع البيداء ممتطياً ... بضامر لم يكن في سيره واني ،
ان جزت بالشام شِم تلك البروق ، ولا ... تعدل - بلغت المنى ! - عن دير مرّان . . .
واعبر بدير حنينا ، وانتهز فرص اللـذات ما ... بين قبس ومطران .
واستجلِ راحاتها تحيي النفوس اذا ... دارت براحِ شماميس ورهبان ،
حمراء صفراء بعد المزج ، كم قذفت ، ... بشهبها ، من همومي كلَّ شيطان !
كم رحتُ في الليل أسقيها ، واشربها ، ... حتى انقضى ، ونديمي غير ندمان !
سألت توماس عمن كان عاصرها ... اجاب رمزاً ، ولم يسمح بتبيان ،
وقال اخبرني شمعون ينقله ... عن ابن مريم عن موسى بن عمران ،
بانها سفرت بالطور مشرقة ... انوارها فكنوا عنها بنيران .
وهي المدام التي كانت معتقة ... من عهد هرمس ، من قبل ابن كنعان .
وهي التي عبدتها فارس ، فكنى ... عنها بشمس الضحى ، في قومه ، ماني .
سكرت منها فلا صحو ، وجُدتُ بها ... على الندامى ؛ وليس الشحّ من شاني .
وسوف امنحها اعلى ، وانشده ... ما قيل فيها بترجيع والحان !
حتى تميل لها اعطافه طرباً ... وينثني الكون من اوصاف نشوان .
خير الملوك صلاح الدين ليس له ... في الجود ثان ، ولا عن جوده ثاني [2]

ولعل توماس هذا الذي ذكره كان وقتئذٍ رأس دير حنينا ، ام بالحري متولي بيع الخمر فيه . وقد اطلنا البحث عن شاهد آخر يشير الى هذا الدير فذهبت اتعابنا ادراج الرياح .

١) المقفى للمقريزي ، خزانة باريس ٢١٣١ ، ص ٥٢
٢) فوات الوفيات للكتبي ١ : ٢٢٥-٢٢٦

مشمش دمشق

هو اهمّ فواكه الغوطة واغزرها . ومنها يحمل الى كثير من البلاد . ومنه انواع عدّ منها البدري، في القرن التاسع للهجرة ، احدًا وعشرين صنفاً في كتابه محاسن الشام (ص ١٨٧–١٨٨) لم تذكر منها الطبعة البغدادية الا عشرين فقط بعد ان حرفت اسماء بعضها . وهذه الطبعة لا تخلو بالاجمال من عدة اغلاط قبيحة . وقد اتممنا سياقة الاصناف واصلحنا روايتها وهي :

حموي . أويسي . سندياني . عربيلي . كافوري . خراساني . بعلبكي . لقّيس . لوزي . وزيري . دغمشي . كلابي . سلطاني . حازمي . ايدمري . منيني[1] . بَرَدي . بلدي[2] . ملوح . ضراط البخاتي[3] . جلاجل القلوع .

وفي الجزء العشرين من التذكرة للصفدي ، في فصول منه منقولة في مجلد من ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي ، في خزانة بريتيش موزيوم « اسماء الفاكهة بدمشق المحروسة » قابلناها على ما تقدم فوجدنا فيها نقصاً غير قليل . ولعل اصناف المشمش في ايام الصفدي ، اي في القرن الثامن للهجرة ، كانت بدمشق انزر منها في القرن التاسع، لانه لم يذكر منها الا خمسة عشر صنفاً فقط . واذا صحت روايتها كان فيها صنفان زالا من دمشق وهما « سفياني . وعلى حبّته » .

ولم يبقَ اليوم من اصناف المشمش بدمشق الا تسعة فقط . اثنان منها بنواة مرة وهما الكلابي والعربيني (العربيلي) . وسبعة بنواة حلوة وهي الحموي بين نكير واللقيس . والبلدي . والسندياني . واللوزي . والوزري . والعجمي . والتدمري .

وسيد هذه الاصناف واجودها بالاجماع ، « واقلها ضررًا » الحموي . لرقة حاشيته وحسن طعمه . وعطر رائحة نوّاره .[4] ومنه في غير حماة اغراس في الناصرة .

١) في الاصل المطبوع : منيني بالسين ، وهو غلط .
٢) هذا الصنف ساقط من المطبوع . وهو مذكور في نسخة من محاسن الشام في خزانة باريس رقم ٢٢٥٣ ، ص ١٨أ
٣) في الاصل المطبوع فراط النجاتي . وهو تصحيف .
٤) محاسن الشام ، ص ١٨٦

واخرى في بيروت ولبنان . ويسمى فيها البسوسي نسبة الى قرية بسوس من قضاء عاليه .

وفي كتاب « جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض » لامين الدولة ابي الفرج يعقوب بن القفّ ، احد اطباء الروم الملكيين في القرن السابع للهجرة ، المتوفى سنة ١٢٨٦ « ان المشمش اجوده الكبير الحب. النضيج الكثير المائية . الحلو الحب. وهو المسمى بدمشق الخراساني. »[١] واذا كان هو العجمي اليوم فلا شكّ ان الصنف تبدل او انه انقرض بالتمام من الغوطة.

ويصعب جدًّا تعليل بعض هذه الاسماء . ولا مرأ. ان الوزري اليوم هو الوزيري بالامس. وكلاهما نسبة الى الوزير والوزارة . وكان يقال للوزارة في دولة المماليك الوِزَر. وقد استعملها كذلك غير واحد من المؤرخين والكتاب . وترد كثيرًا في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.

ومما يُرتاب في صحته اسم الكلابي وهل هو منسوب الى الكلاب جمع كلب. ام كان له في الاصل صلة بابن كلّاب الذي أُضيف اليه بعض لوز دمشق وقال فيه سيف الدين المشدّ المتوفى سنة ٦٥٥ للهجرة (١٢٥٧ م):

فؤادي الى بانات جلّق مائل ، ودمعي على انهارها يتحدّرُ
يرنحني لوز ابن كلّاب مزهرًا وتحترني اغصانه وهو مثمرُ.[٢]

واذا كان نُسب الى الكلاب فلا يمتنع ان يكون لبزرته المرة ، وكثرته وابتذاله ، وهو اوفر الاشجار ثمرًا.

ويغلب على اللوزي ان تكون نواته منفلقة او سهلة المكسر. ولذلك قال فيه محيي الدين بن عبد الظاهر ، كاتب الانشاء بالديار المصرية:

ان لوزيّ جلّق عجبه ابن القوى
لم يكلفك كسره فالق الحب والنوى[٣]

والايدمري نسبة الى ايدُمر من اسماء المماليك . سمي لا شك باسم جالبه وزارعه. ولعله هو المعروف الآن بالتدمري بتحريف من العامة.

١) خزانة بريتش موزيوم Or. 3690 الفصل الثالث والاربعون في الفواكه.
٢) المشرون من عيون التواريخ للكتبي. الخزانة التيمورية ، ص ٦٥
٣) تاريخ حوادث الزمان وانبائه لشمس الدين الجزري ، باريس ٦٧٣٩ ، ص ١٠٤

وافضل الاصناف في التجارة البلدي. وهو الذي يُربَّى، ويجفّف، ويحمل الى البلاد باسم النقوع. لانه اذا نُقع في الماء كان من انفع الفواكه اليابسة واعذبها طعماً، واصلحها للمعدة. وللاطباء في هذا النقيع اعتقاد جميل. قال الرازي في الحاوي: اتاني رجل البخر فحدست ان المشمش يذهب بخره. فاطعمته من رطبه فذهب البخر. ثم كان يستعمل نقيعه دائماً. فلا احسب انه يوجد شيء اشد للتبريد منه.[1] ويؤكل ايضاً قبل ان يتم جفافه. ويقال له حينئذ «المسطاح» باسم المكان الذي يُسطح فيه اي يبسط.

ومن الاصناف المجلوبة الحموي، والبعلبكي، والخراساني. واما العربيلي، والمنيني، والبردي، فمنسوبة الى عربيل، ومنين، ووادي بردى، من قرى دمشق.

ومن عصير الكلابي خصوصاً يُتخذ القمردين المشهور في الآفاق. ذكره البدري في جملة القافات التي كانت ترتفع من دمشق الى الديار المصرية[2]، في القرن التاسع للهجرة. وهو يبسط في الشمس على الواح طويلة من خشب. فاذا خمر، وذهب ماؤه، يُقلع وتجيء منه صفائح رقيقة كصحائف الورق تطوى وتلفّ. ولذلك يقال للواحدة منها من وزن ماؤه «لفة». في اصطلاح التجار. وقد انفرد اهل دمشق بهذه الصنعة. ولا نعلم ان قطراً آخر يعصر وييبّس ويدخر على هذه الصورة.

وقد اعيانا البحث لندري لِمَ دعي هذا العصير «قمر الدين». وانما كان هذا اللقب يطلق قبلاً على جنس من المشمش المجفف في اصبهان وانطالية وقونية. قال ابن بطوطة: «اصفهان ... بها الفواكه الكثيرة ومنها المشمش الذي لا نظير له. يسمونه قمر الدين. وهم ييبسونه ويدخرونه. ونواه ينكسر عن لوز حلو»[3]. ويحكي عن انطالية ان «فيها البساتين الكثيرة والفواكه الطيبة والمشمش العجيب المسمى عندهم بقمر الدين. وفي نواته لوز حلو. وهو ييبس

١) محاسن الشام، ص ١٨٩ – ١٨٦

٢) محاسن الشام، ص ٢٦٤

٣) رحلة ابن بطوطة (مطبعة النيل) ١: ١١٩

ويحمل الى ديار مصر . وهو بها مستطرف»[1] . ولما دخل قونية قال عنها : «مدينة . . . كثيرة المياه والانهار والبساتين والفواكه . وبها المشمش المسمى بقمر الدين وقد تقدم ذكره . ويحمل منه ايضاً الى ديار مصر والشام . »[2] والارجح انه سمي كذلك باسم غارسه ومُحدِثه . وكان لقب قمر الدين من الالقاب المعروفة كشمس الدين ، ونجم الدين ، وشهاب الدين . ولعله لم يبطل في الشام الا لِضِمَّتِه وامتهانه بنسبة هذا العصير اليه . ومن الغريب ان يكون مشمش قونية جُلب يوماً الى دمشق على كثرة النقيع فيها . والاتجار به اليها كاستبضاع التمر الى هجر . ولا يقال ان المحمول الى دمشق كان من العصير الجاف ، لقول ابن بطوطة : «هم يبتسونه ونواه ينكسر عن لوز حلو » وهو نصٌ صريح على ان الميَبَّس كان المشمش بنواه . ومع ذلك لا يستحيل ان يكون ابن بطوطة سها عن ذكر العصير منه . فلما ورد اول مرة الى دمشق تلده اهل الغوطة وزاحموه بكثرة ما لديهم من الكلابي وبقي اسمه محفوظاً عندهم . وهو اقرب ما يبدو لنا في توجيه هذه التسمية .

وقد اشتهر الدماشقة بفرط اعجابهم بالمشمش وشهوتهم له . وكان القضاة وشيوخ العلم عندهم قديماً اكثرهم شرهاً عليه وتلذذاً به ـ حتى كانوا ينقطعون من اجله عن حضور المجالس والمدارس . واول من احدث بينهم بطالة الدروس في زمن المشمش القاضي نجم الدين بن سني الدولة ، بعد ان ولّاه الملك الظاهر بيبرس قضاء دمشق . «وفي البداية والنهاية لابن كثير ، رواية الطبراني» انه كان له بستان بارض السهم . وكان يشق عليه مفارقة المشمش والنزول الى المدارس . فبطّل الناس هذه الايام واتبعوه في ذلك . والنفوس انما تؤثر الراحة والبطالة . ولاسيما اصحاب البساتين في ايام الفواكه وكثرت الشهوات في تلك الايام . ولاسيما القضاة . »[3] واستقرت هذه العادة بدمشق . وفي سنة ٧٨٦ (١٣٨٤ م) كان قاضي القضاة بدمشق برهان الدين بن جماعة ، فمشى على سَنن من قبله في اللهو

---

١) رحلة ابن بطوطة (مطبعة النيل) ١ : ١٧٢

٢) رحلة ابن بطوطة (مطبعة النيل) ١ : ١٧٧

٣) خزانة باريس ١٥١٦ ، ص ٨٨

بالمشمش والتعطيل في زمانه. قال ابن قاضي شهبة : وفي سادس جمادى الاولى شرع في حضور الدروس بعد البطالة للمشمش نحوًا من خمسين يوماً.[1]

وكان الفرنج الذين يتجرون بدمشق او يجتازون بها اكثر شغفاً بهذه الفاكهة من اهلها. وفي رحلة لاحدهم نكتة لا بأس من التفكه بها قال :

« وبدمشق نوع من الثمر يشبه المشمش ويسمونه michemits اي قاتل الفرنسيين لانهم يتلفون ارواحهم بكثرة اكلهم منه ».[2]

ويظهر انه في ايام الخلافة العباسية كان يتخذ من المشمش نوع من الخمر كالتي تُتخذ من التفاح . وممن عرف بشربها اسحق بن ابرهيم الموصلي المغني المشهور . وفي رواية لابي الفرج الاصبهاني : مرّ صوت ابرهيم بن المهدي في شعره وهو :

جدّد الحب بلايا امرها ليس يسيرا

قال فطرب اسحق طرباً ما رأيته طرب مثله قط . . . حتى شرب قاطرميزه وفيه من المشمش الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً.[3]

١) الذيل ، خزانة باريس ١٥٩٩ ، ص ٣

٢) P. Bernardin Surius. *Le Pieux Pèlerin ou voyage de Jerusalem*. Bruxelles, 1666, *p.* 335

٣) الاغاني ٩ : ٦١

كتاب الطباخة

وهو مرتب على الحروف

لجمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي الصالحي الدمشقي

وهو المعروف بابن المبرّد ، من علماء دمشق ، توفي فيها سنة ٩٠٩ للهجرة (١٥٠٣ م) وهو احد شيوخ شمس الدين بن طولون ، صاحب « ضرب الحوطة على جميع الغوطة » . وفي الخزانة الظاهرية عدّة اجزاء ومؤلفات له بخطه . ومنها مجموع بقلمه سقطت بعض كراريسه ، وساق منها الحظ الينا سبع عشر ورقة في جزاز (دشت) ابتعناه قديماً في دمشق . وفيها بضع مقالات متنوّعة دعاها «كتباً» كمادة الفقهاء . وكلها مختصرة ، موجزة الشروح . وبينها كتاب الطباخة المشار اليه لا يتجاوز متنه خمس صفحات ونصف صفحة في كل منها تارة ثمانية عشر سطراً ، وتارة تسعة عشر . نسّق فيها على حروف المعجم مآكل طبقة خاصة من الناس لم تعتد غير البقول والحبوب باللحوم المساوقة . وبعض الحلاوى الشائعة في ايامه وبين نظرائه ، في منازل دمشق واسواقها . وهي لذلك لا تخلو من فائدة في تاريخ الاغذية في الاسلام، وعلى الخصوص في مدن الشام . وقد فاته كثير مما كان بدمشق من التأنق والتصنع في موائد الكبراء . والاغنياء . والمترفين ، ولاسيا ما انفرد به النصارى من التنعم او التقشف في إصلاح الاطعمة والتفنن في تنويعها . ومعلوم ما كانوا عليه قبلاً من المبالغة في الاصوام . والتجلد عليها والتشدد فيها . واضطرارهم من اجلها الى اقتراح اغذية متزّهة عن الادهان ، والالبان ، والاجبان ، والبيض ، واللحوم . كانت تُهيّأ فيها البقول والاعشاب والحبوب والقطاني بالزيت وحده . ولذلك كانت تعرف بالمآكل الزيتية او الصيامية . وربما دُعيت طائفة منها احياناً « مزوَّرة » . وهي عند الاطباء كل غذاء دُبّر للمريض بدون اللحم . او وُلّد فيه جانب من الاغذية الطبيعية بما يقاربها ببعض الحِيَل . وقد وقفنا منها على صفـات غريبة في مخطوط نادر في خزانة اكسفرد لابي محمد المظفر ابن سيّار الورّاق . جمع فيه فاوعى كل ما اتصل به من صفات الاطعمة والاشربة في عهد

الخلفاء العباسيين . ولكن شانه بكثرة تكلفه الاسجاع في سياقة الابواب والتزامها في عنوانه الطويل وهو « كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية المأكولات . وطيب الاطعمة المصنوعات . مما استخرج من كتب الطب . والفاظ الطُهاة واهل اللب ».ونسخته قديمة قيّمة.سقطت بعض اوراقها وغاب عنا معها تاريخ انجازها. وفي الباب السادس والاربعين منها: « ما يأكل النصارى من الطعام . المزوَّر في الصيام » . وقد ظرف ابن طاطبا بتسمية مثل هذه المآكل القشفة « مسيحية » في بيتين له نظمها في ذم دعوة دعاه اليها رجل يسمى الكراريسي .وقرب اليه مائدة عليها خيار . وفي وسطها جامات عليها قطر . ولم يصحبها بوارد viandes froides hors d'œuvre فسمّاها مسيحية لانها اشبهت موائد النصارى ، فقال :

يا دعوة مغبرَّة قاتمه ، كأنما من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحيّة اضحت على اسلافها نادمه[١]

وهذا نصّ ما جاء في كتاب الطباخة بلفظه ورسمه وعاميّته احياناً . ولا يخلو من فوائد للغوي :

اطريّة يعمل من العجين . ويرمى على غرف . وطبيخه مثل طبيخ الرشتى . يوضع على المرق ويغلى عليه .

بورانية طعام من الباذنجان. وهو ان يقطع الباذنجان . ويسلق اللحم في ماء يسير . ثم يوضع عليه الباذنجان حتى ينضج . ويوضع عليه الجوز والبقدونس المدقوق .

تفاحية[٢] يوضع اللحم ويقشر التفاح ويقطع ويلقى عليه. ثم يوضع عليه الحلو .

ثريد يسلق اللحم ويسقى بمرقه الخبز. ويوضع عليه اللبن والثوم والنعنع . ويوضع اللحم عليه. وكذلك ثريد غير اللحم .

---

١) ديوان المعاني لابي هلال الحسن بن عبدالله العسكريّ . خزانة بريتش موزيوم Add. 23443, f° 86-87

٢) ذكرت في الهامش بخطّ غير خطّ المؤلف..وقد ذكرها المؤلف في ضمن كلامه على السفرجلية ، لان طريقة الطبخ واحدة..

جوذابه يوخذ الرز يوضع عليه الحليب وقليل الماء والزعفران ويوضع في تنور الشوا

جزرية يسلق اللحم بقليل من الماء ويوضع عليه الجزر وفصوص الثوم والبصل المقشر . ثم يوضع عليه الثوم المدقوق . ومنهم من يضع عليه ايضاً الاسفاناخ . ومنهم من لا يضع الاسفاناخ . ويضع الجوز والبقدونس .

حصرمية تطبخ على عدة طرق . احدها ان تطبخ بماء الحصرم فقط . فيسلق اللحم ويوضع عليه السلق والقرع . ويوضع ماء الحصرم . وتخضر بالجوز والبقدونس . الثاني ان يطبخ باللبن وهي كذلك الا انها تزاد اللبن . الثالث ان يسلق اللحم . ثم تقلى الحوائج الموضوعة فيها . ثم يكسر اللبن بالمرق وتصبه عليها . ثم تضع عليها ماء الحصرم . ثم تخضرها بالجوز والبقدونس .

حلوا انواعها كثيرة جداً . منها الحلاوات المتخذة من الناطف . وهو ان تضع الدبس او العسل او السكر او الرب . ثم تضعه على نار هادية . وتحركه الى ان ياخذ القوام . ثم تخفق بياض البيض وتضعه عليها . ثم تحركه حتى يقوى فيصير ناطفاً . فاذا اردت بعد ذلك الحلاوة اللوزية وضعت اللوز المحمص وعلّقته (اي عقدته) . والجوزية الجوز . والفستقية الفستق . والبندقية البندق . والقضامية القضامة . والسمسمية السمسم المحمص . والطحينية الطحين . وتخفقها في الناطف حتى تختلط . والدهنية تضع الطحين المحمص بالدهن . واما الحلاوة العجمية فيحمص الطحين بالشيرج حتى يرخي ويغلى الدبس او غيره ويوضع عليه . واما الخبيص فيوخذ الدبس يوضع على النار حتى تظهر رغوته وتنزع . ويكسر النشا بالماء ويوضع عليه .

خوخية يسلق اللحم والخوخ . وتقلى الحوائج من السلق والباذنجان والجزر والقرع ونحو ذلك من حوائجها . ويرس الخوخ بمرق اللحم ويصفى ويوضع على الحوائج . ثم تحلّى ثم تخضّر بالجوز والبقدونس .

رمانية يسلق اللحم بيسير ماء وتوضع الحوائج . ثم يعتصر الرمان او يدق حب الرمان ويستخرج ماؤه ويوضع على ذلك ثم يحلى ثم يخضر .

رشتا يسلق اللحم ثم يوضع عليه الرشتا وبعضهم يضع فيها البصل . وبعضهم يضع الحمص . وبعضهم يضع الكسفرة الخضرا المخروطة على وجهها[1] .

رز مفلفل يسلق اللحم ثم يوضع الرز بقدر ما تغف فيه الملعقة . ثم يغلى عليه حتى تنشط الرزة . ثم ينزل ويصفى الماء ويوضع عليه الدهن ويكمر . وبعضهم يضع فيه الحمص . وبعضهم يضع التمر .

رز حلو يوضع الرز بعد غليان الماء حتى ينشط ويقارب الاستواء . ثم يوضع عليه الحلو حتى ينعقد ويذر عليه الزنجبيل وينزل .

رز برشتا تقلى في الفرن وتوضع مع الرز .

ريباسية يسلق اللحم والريباس ويصفى بعد مرسه . ويوضع على الحوائج ويكسر اللبن ثم يرق اللحم ويوضع عليه .

زيرباج يعمل بالحب رمان والدبس والاجاص والعناب والمشمش واللوز .

سماقية يسلق اللحم وتوضع فيه الحوائج من الكرفس والجزر واللفت والحمص والسلق . وينقع السماق ويرس ويصفى ويوضع على ذلك . ومنهم من يطبخها بكروش البقر ومنهم من يطبخها بكروش الغنم المحشية .

سفرجلية طبخها طبخ التفاحية وهو ان تأخذ التفاح او السفرجل تقشره وتسلق اللحم في ماء يسير وتضعه عليه حتى يقارب النضج . ثم تضع عليه الحلو واللوز والخشخاش والدهن .

سخاتير هو ان تاخذ كروش الغنم فتسمطها وتنظفها وتخيطها اكياساً . وتصول الرز وتضع معه اللحم السمين والحمص والكسفرة والزعفران والفلفل وتضعه فيها وتخيط عليه وتطبخه . فاذا استوى تقلى له

١) قال ابن بطوطة في رحلته : «الرشتا هو شبه الاطرية يطبخ ويشرب باللبن» (١ : ١٦٨ مطبعة النيل بمصر) .

الثريد باللبن والنعنع والثوم وتضعه عليه.

شعيرية وشوربا تعمل منها مفلفل وشوربا. اما المفلفل فهو كالرز. والشوربا تسلق اللحم وتضع عليه. شوربا هو ان يُسلق اللحم ويوضع عليه الرز. وبعضهم يضع الحمص. وبعضهم يضع الكسفرة الخضراء.

شُشبرك هو ان يؤخذ اللحم المخروط فيحشى في عجين ممدود كالتطاج[1] مقطع ويطبخ في الماء حتى يستوي. ثم ينزل ويوضع عليه اللبن والثوم والنعنع.

شوى يؤخذ اللحم فيدهن بالزعفران ويوضع في التنور ويسد عليه.

صلما يؤخذ العجين فيفتل ويقطع قطعاً صغاراً ويرصع بالاصبع كالدرهم ويطبخ بالماء حتى يستوي. ثم يوضع عليه اللبن ويقلى له اللحم بالبصل ويوضع عليه النعنع والثوم.

ططماج يمد العجين ويقطع ويطبخ في الماء حتى يستوي ويوضع عليه اللبن والنعنع والثوم والسمن واللحم المقلو.

عصيدة يؤخذ الماء فيغلى ويوضع فيه الرز حتى يشط ثم يُذر فيه الطحين ويُعصد[2] حتى يستوي. ثم ينزل ويوضع عليه الدهن والدبس. وان ذُرّت عليه القلوبات كان اجود.

عصفورية يسلق اللحم ثم يوضع الرز والقرع عليه ويصبغ بالزعفران.

عجورية يسلق اللحم في يسير من الماء. ويوضع عليه العجور حتى ينضج. ثم يخضر بالجوز والبقدونس والثوم.

عدس احسن طبخه ان يُجرش ثم يطبخ ويوضع فيه السلق والقلقاس. ثم يوضع عليه عند الاستواء السماق والبصل المقلو والبقدونس والخل والزيت.

---

١) رسمها هنا بالتاء والطاء بدلاً من طائين كما اثبتها في مكانها. وهذه اللفظة غير واردة في معاجم اللغة. وضبطها الخفاجي في شفاء الغليل بضم الطاء الاولى واسكان الثانية، ولم يفسرها، وقال: نوع من الطعام معروف.

٢) اي يُقلب.

غريبة يسلق اللحم . وثم ترفع اكثر مرقه وتضع على الباقي الحوائج من البصل والقرع والباذنجان وتكسر اللبن فيما رفعته وتضعه عليه . ثم تخضر بالجوز والبقدونس .

فولية يسلق اللحم ويقلى الفول بالدهن . ثم تضع عليه اللحم والمرق . ثم تضع عليه الصعتر المدقوق والكسفرة والثوم المدقوقين . ثم تنقس عليه البيض وتذر عليه الفلفل والكسفرة اليابسة ويغطى حتى يجمد وينزل .

قرعية يسلق اللحم ثم يقلى القرع والبصل بالكسفرة المدقوقة . ثم تضع عليه المرق .

قنبريسية تكسر القلبريس[1] بالماء وتضعه ثم يغلي . ويوضع فيه اللحم والرز . وبعضهم يسلق اللحم . ثم تكسر القلبريس وتضعه عليه . ثم تضع الرز .

قلقاسية تطبخ على وجهين . الاول ان يسلق اللحم ويقلى القلقاس . ثم تضع المرق عليه ويصبغ بالزعفران . والثاني ان يسلق اللحم ويقلى القلقاس ويوضع عليه . ويوضع عليه بعد النضج الاسفاناخ .

قمحية يوخذ القمح فيغلى في قليل ماء حتى ينشي . ثم يزاد ماء . ثم يلقى فيه اللحم .

كماة يسلق اللحم ثم يقلى وتضع عليه المرق وتنقس عليه البيض .

كشك تسلق اللحم وتضع الحوائج من السلق والكرنب واللفت والحمص . ثم يذر عليه الكشك ويوضع القنبيط والباذنجان . فاذا استوى تضع عليه القرط[2] والبقدونس والسذاب المخروط والنعنع والثوم المدقوقين .

كشكك[3] يسلق اللحم ثم يوضع عليه القمح ويكسر . والفرق بينها وبين القمحية

---

١) القنبريس بالنون كما كتبه اولاً : الحليب الحامض الغليظ . وفي الرسالة التامة في كلام العامة لميخائيل صباغ : القنبريسة اسم لطبيخ اللحم والبصل في اللبن الرائب (ص ٦٤)

٢) القرط نوع من الكراث يعرف بكراث المائدة

٣) كذا بخط المؤلف ولعله اراد « كشكية » فسبقه القلم .

كثرة القمح في هذه .

لبنية[1] يسلق اللحم ثم يوضع الكراث ويكسر اللبن ويوضع عليه الرز . وبعضهم يضع اللبن اولاً ثم يضع اللحم ثم الرز .

ليمونية يسلق اللحم ويوضع السلق ثم يوضع عليه الرز واللبن وعند الاستوا يوضع عليه ماء الليمون . وبعضهم يضع فيها الحمص . ويوضع عليها بعد الاستوا القرط والبقدونس المخروطين .

ملوخية يسلق اللحم وتخرط الملوخية وتوضع عليه . وتضع فيها الكسفرة المدقوقة مع الثوم والبصل المشوي . وبعضهم يحمضها بالحصرم والليمون .

نارنجية يسلق اللحم ويلقى فيه البصل والقلقاس . ثم يكسر اللبن ويوضع عليه . ويوضع عليه ماء النارنج .

نوجسية يسلق اللحم ويوضع عليه الرز والجزر والاسفاناخ .

هليونية يسلق اللحم والهليون ثم يوضع كلاهما على الآخر ويفقس عليه البيض ويذر عليه الفلفل والكسفرة اليابسة ويوضع على النار حتى يستوي .

هريسة يسلق اللحم ثم يوضع عليه القمح حتى ينشي . ثم ينسل اللحم من العظام ويهرس وبعضهم يزيدها الحليب .

---

١) من محاسن صلاح الدين الصفدي ، وقد وقع ثلج كثير في الجامع الاموي :

لا تحسبوا الثلج يرمي في جامع ابن اميه
لكنّ كانون يملا في صحنه لبنيه

(كتاب الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه . خزانة باريس ٣٣٤٥ ، ص ٩١)

خبز الارزّ

كان الخبز اكثر ما يُصنع قديماً من الحنطة ، او الارزّ ، او الشعير . وقد عدّ ابن جزلة من انواعه ما يأتي من لفظه :

« خبز الحنطة . خبز خشكار . خبز مغسول . خبز سميذ . خبز الحوارى . خبز فطير . خبز الطابون (على الحصى) . خبز الطابق . خبز القطائف . خبز الابازير . خبز الارز . خبز الشعير . »[1] ويظهر ان خبز الذرة اول ما أكل في مصر سنة ٨٩٢ (١٤٨٧م) حين اشتدّ الغلاء . فيها . واقترح العوام رقصة كانوا يرقصونها وهم يغنون :

زُوَيجي دي المخره يطعمني خبز الدره[2]

وللشيعة اعتقاد حسن في خبز الارزّ لقول الصادق فيه ، وهو لقب ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين : « ما دخل جوف المسلول مثله . انه يسلّ الداء سلّاً . » ومن صحيفة الرضا عن ابي نافع يرفعونه انه قال : « ما من شيء انفع منه . وما من شيء يبقى في الجوف من غدوة الى الليل الا خبز الارز . »[3]

ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن ابي المهلّب وهو يتغدى . فقال : ادنُ فكُلْ ، يا ابا صفوان . فقال : اصلح الله الامير لقد اكلت اكلة لست ناسيها . قال : وما اكلت ؟ قال : اتيت ضيعتي لإبّان الغراس واوان العمرة . فجلت فيها جولة حتى اذا خمدت الشمس وازمعت بالركود . دخلت الى غرفة في هفّافة في حديقة قد فتحت ابوابها ونضح الماء جوانبها . وفرشت ارضها بالوان الرياحين . ثم أُتيت بخبز ارز كأنه قطع العقيق وسمك بنّاني بيض البطون زرق العيون . . .[4]

ويؤخذ من بيتين لابن خلّاد في وصف خبز الارزّ انه كان ينقط احياناً بالحبة السوداء والسمسم . وهما قوله :

عليه من الشونيز آثار كاتب وحبّاب ورّاق تنقط بالحبر

---

١) منهاج البيان في ما يستعمله الانسان . خزانة اكسفورد [illegible] Hunt [illegible]

٢) تاريخ مصر لابن اياس ٢ : ٢٤٢

٣) نوادر الاشراق في مكارم الاخلاق ، من مخطوطات الخزانة المعلوفية ، رقم ١٦٩٣

٤) الكامل للمبرّد ٢ : ٢٩٢

ومن سمسم قد زعفروه، كأنه قراضة تبر في لجينية غرّ [١]

وكان على كل حال قوت الفقراء والبخلاء لرخص اسعاره. ولما مر ابن بطوطة بمدينة واسط نزل في رباط فيها، حتى اذا انقضت صلاة العصر «ضربت الطبول والدفوف واخذ الفقراء في الرقص . ثم صلّوا المغرب وقدموا السماط وهو خبز الارز والسمك واللبن والتمر».[٢] ومن المدن التي اعتادت اكله كثيرًا البصرة. قيل ان فتى من اهل المدينة دخل البصرة ثم انصرف.» فقال له اصحابه: كيف رأيت البصرة؟ قال: خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس. اما الجائع فيأكل خبز الارز والصحناء (ادام من السمك الصغير المملوح) لا ينفق في الشهر درهمين».[٣]

وحكى الجاحظ عن رجل من البخلاء يسمى ابن العقدي قال: «ربما استزار اصحابه الى البستان . . . فسألت ذات يوم بعض زوّاره فقلت: احكِ لي امركم . . . قال: يشتري لنا ارزًا بقشره ويحمله معه . ليس معه شيء مما خلق الله الا ذلك الارز . فاذا صرنا الى ارضه كلف اكّاره ان يجشه في مجشة له ثم غربله . . . ثم كلف الاكار ان يطحنه على ثوره وفي رحاه . فاذا طحنه كلفه ان يغلي له الماء. وان يحتطب له . ثم يكلفه العجن لان الماء الحار اكثر نزلًا . ثم كلف الاكار ان يخبزه.»[٤]

ولم تخلُ بغداد من حوانيت كان يدقّ الارزّ فيها . وفي ترجمة عبد القادر السهروردي الواعظ المتوفى سنة ٥٦٣ (١١٦٧/٨ م) انه قال: «خرجت يومًا الى بعض الاسواق . فوجدت رجلًا وبين يديه طبرزين. وعنده جماعة يدقون الارز . فقلت هل لك ان تستأجرني. فقال أرني يديك . فأريته . فقال هذه يد لا تصلح الا للقلم . ثم ناولني قرطاسًا فيه ذهب . فقلت ما آخذ الا اجرة عملي. فان كان عندك نسخ تستأجرني في النسخ . والا انصرفت. وكان رجلًا يقظًا. فقال اصعد.

---

١) ديوان المعاني لابي هلال العسكري. خزانة بريتيش موزيوم. لندرة Add. 23443, f° 56

٢) رحلة ابن بطوطة (مطبعة النيل) ١ : ١٠٦

٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٢٢١

٤) كتاب البخلاء للجاحظ (طبعة ليدن)، ص ١٢٦–١٤٠

وقال لغلامه ناوله تلك المدقة. فناولني. فدققت معهم وليس لي عادة. وصاحب الدكان يلحظني. فلما عملت ساعة قال تعال. فجئت اليه فناولني الذهب وقال هذا اجرتك. فاخذته وانصرفت.»[١]

ومن الاقاليم التي غلب فيها قديمًا خبز الارز طبرستان. واكثر طعامهم منه ومن السمك[٢]. وخوزستان. قال ابن حوقل : واكثر حبوبهم بعد القمح والشعير الارز حتى انهم ليخبزونه ويأكلونه وهو لهم قوت. وفيهم من تعود اكل خبز الارز طول السنة. حتى اذا اكل خبز الحنطة اخذه المغس ووجع البطن.[٣]

وفي اوائل القرن الرابع للهجرة كان في البصرة الشاعر المشهور ابو القاسم نصر المعروف بالخبزارزي. وهو من الشعراء المحترفين. كان يخبز خبز الارز ويبيعه في دكان له في المربد وهو ينشد ما يقوله من الشعر والناس ملتفون عليه لاستماع شعره وملحه. لانه كان اميًّا لا يتهجى ولا يكتب.[٤] ذكر الخطيب في تاريخ مدينة السلام ان ابا محمد عبد الله بن محمد الاكفاني قال: خرجت مع عمي ابي عبدالله الاكفاني الشاعر وابي الحسين بن لنكك وابي الحسن السماك في بطالة العيد، وانا يومئذ صبي اصحبهم. فانتهوا الى نصر الخبزارزي وهو يخبز على طابقه. فجلسوا يهنئونه بالعيد وهو يوقد السعف تحت الطابق. فزاد في الوقود فدخنهم. فنهضوا حين تزايد الدخان. فقال نصر لابن لنكك: متى اراك يا ابا الحسين ؟ فقال له : اذا اتسخت ثيابي. ثم مضينا . . . فجلس ابن لنكك وقال ان نصرًا لا يخلي المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه. ويجب ان نبدأه قبل ان يبدأنا. فاستدعى بدواة وكتب اليه :

لنصر في فؤادي فرط حب ... أنيف به على كل الصحاب
اتيناه ، فبخرنا بخورًا ... من السعف المدخن بالتهاب
فقمت مبادرًا ، وحسبت نصرًا ... اراد بذاك طردي او ذهابي
فقال : متى اراك ، ابا حسين ؟ ... فقلت له : اذا اتسخت ثيابي

---

١) مجلد من تاريخ الاسلام للذهبي . خزانة بريتش موزيوم Or. 51, f° 2a
٢) مسالك الممالك للاصطخري ، ص ٢١٢
٣) المسالك والممالك لابن حوقل ، ص ١٧٢
٤) وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ٢٠١-٢٠٢

فلما وصلت الرقعة الى نصر املى على من كتب له بظهرها الجواب . فلما وصل الينا قرأناه فاذا هو فيه :

منحت ابا الحسين صميم ودّي . فداعبني بالفاظ عذاب
اتى ، وثيابه كالشيب بيض ، فعُدن له كريعان الشباب
وبغضي للمشيب اعدّ عندي سوادًا لونه لون الخضاب
ظننت جلوسه عندي لعرس فجدت لهُ بتسبيك الثياب
وقلت : متى اراك ، ابا حسين ؟ فجاوبني : متى اتسخت ثيابي
ولو كان التقزّز فيه خير لما كُنّي الوصيّ ابا تراب (١

يريد بالوصي علي بن ابي طالب . ومثل هذا الشعر من اُمّي عجب من العجب .

خبز الابازير

من جملة الاطعمة والاشربة التي اخذها الصليبيون عن الشرقيين خبز الابازير . وقد ترجموا اسمه بالحرف الواحد pain d'épices وهو عجين يُتخذ من الدقيق والعسل وبعض الابازير العطرة . تحدّق عليه قطع من الفواكه المربّاة . ويُصنع على اشكال متنوعة غاية في الحسن والظرف . ومنها رقاق تشبه الالسنة مغشّاة بطبقة صقيلة من السكر الابيض . ولذلك يدعى لها السنة السنانير langues de chats . وقد اشتهرت مدينة ديجون في فرنسة بهذه الصناعة وتفننت بها كل التفنن . وهي اليوم قاعدة تجارتها . وهو احدى خصائصها وطرائفها .

وفي بعض المخطوطات ان صنعة خبز الابازير هي كصنعة خبز ارنين بالسواء [٢] . وصفتها ان يؤخذ مائة وخمسون درهمًا من دقيق السميذ وتعجن بخمسين درهمًا من دهن الخلّ . وهذا الدهن هو الشيرج يُغلى على النار ويُطرح

١) ارشاد الاديب لياقوت ٢ : ٢٠٦-٢٠٧
٢) روضة العطر لمحمد بن محمود بن حاجي الشرواني . خزانة الفاتيكان رقم ٨٧٧ . ص ٢٢٢

فيه قلب الجوز وقلب اللوز مرضوضاً ليزيل رائحته وطعمه[1]. ويضاف الى العجين ثمانية وثلاثون درهماً سمساً مقشوراً مقلواً. ويترك مستوراً حتى يستوي ثم تعمل منه اقراص.[2] واذا خُبزت وأُحكم نضجها تجيء حمراً كالدنانير . ولذلك قال عبدالله بن الحجاج :

يا سيدي ، هذي الغواني التي　　وجوهها مثل الدنانير
خفيفة من نضجها مثله　　كأنها خبز الابازير (٣

وللمأموني الشاعر يصف خبز الابازير وما رُصع فيه من الحبوب والقطع :

خبز الابازير مُنى كل مَن　　بترّهات الاكل يشتهر
وعندنا منه اتراس من الفضة　　قد رصّعها الجوهر
كأصحُنِ الكافور قد حشدت،　　وذُرّ في اوجهها العنبر (٤

ومن الابازير والاشكال التي كان الخبز ينقّط بها : الملح . والشهدانج وهو بزر شجر القنب . والشونيز اي الحبة السوداء . والعناب . والانجدان وهو السرخس . والسمسم . وقد جمعها كلها المأموني الشاعر في ابيات له في الخبز نفسه ، فقال :

الملح ما اكثر ابزاره ،　　لا ملح اهل الزهد والنسكِ
كأن شهدانجه بينه　　حبّات رومي من السلك
كأنما الشونيز من فوقه　　ما نَقّت الفضة في السبك
كأنما العناب في وجهه　　تنقيط قرآن على الصك
بأنجدان نُضّ من مهرق ،　　وسمسم قد فضّ من سلك
يشبه من ثني ابازيره ،　　اذا تأملناه ، او يحكي
سحيق كافور مَشوبٌ به　　قراضة العنبر والمسكِ (٥

---

١) نهاية الرتبة في طلب الحسبة (المشرق ١١ [١٩٠٨] ٥٨٧)
٢) روضة العطر لمحمد بن محمود بن حاجي الشرواني . خزانة الفاتيكان رقم ٨٧٧ ، ص ٣٢٢
٣) مختارات من ديوانه لبديع الزمان الاصطرلابي . باريس رقم ٥٩١٣ ، ص ٤٦
٤) يتيمة الدهر للثعالبي (طبعة دمشق) ٤ : ١٠٣
٥) يتيمة الدهر للثعالبي (طبعة دمشق) ٤ : ١٠٣

دهن النارجيل

كان اسم الدهن يُطلق ايضاً على كل الزيوت المستخرجة من النباتات والحبوب وبعض الثمار ؛ كدهن الشلجم ، ودهن السمسم ، ودهن الخلّ وغيرها . ويراد بدهن النارجيل ما يعرف اليوم باسم cocose et végétaline ، وهو عصارة النارجيل المشهور بالجوز الهندي. وقد اعتاده الناس منذ سنين، وبعضهم يؤثره على السمن لغنائه عنه ، مع رخصه ، وخفته على المعدة. وللشرقيين مزية السبق في استعماله لاصلاح الاطعمة ، والاستضاءة به ، واصلاح الشعور. وقد وصف ابن بطوطة في كلامه على النارجيل في الهند طريقة استخراج دهنه . فقال:

« اما كيفية صنع الزيت فانهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره ويقطعونه قطعاً ويجعل في الشمس . فاذا ذبل طبخوه في القدور واستخرجوا زيته وبه يستصبحون . ويأتدمون به . وتجعله النساء في شعورهنّ. وهو عظيم النفع .»[1]

وقد راجعنا بعض المخطوطات الموضوعة في الطبخ وإصلاح الاطعمة. والابواب المعقودة في كتب الطب على منافع الاغذية وانواع تهيئتها . فلم نجد اشارة خاصة اليه. ولكن لا نشك انه كان شائعاً عند كل الاقوام . ولم يكن مطبخ من مطابخ الوزراء والاغنياء فضلًا عن الفقراء ، يخلو منه لاعتياد الناس تناوله خصوصاً في طبخ الارز. ولنا على ذلك نادرة رواها اسحاق بن اسماعيل عن الوزير يحيى بن خالد البرمكي ، قال:

« حدثني ابي انه كان يتغدّى مع يحيى بن خالد البرمكي يوماً اذ طلب ارزة اشتهاها. فامر الطباخ باتخاذها بدهن النارجيل فغلط الطباخ وجعل مكان الدهن نفطاً واتاه بها فلما وضع يده فيها قال ارفع. ولم يقل شيئاً سوى ذلك.»[2]

ويترتّب على هذا الغلط ان لون دهن النارجيل كان وقتئذٍ قريباً من لون

---

١) رحلته (طبعة النيل بمصر) ١ : ١٦٠

٢) المحاسن والمساوئ للبيهقي ٢ : ١٦٦-١٦٧

النفط حتى اشتبه على الطباخ ، بخلافه اليوم ، فانه ناصع البياض ولذلك كان في اول وروده لبيروت ، فيما نذكر ، يُغشّ به السمن احياناً ، ولم يُنتبه له الا بعد ان استغنى به بعض جالبيه .

وقد اذكرنا حلم يحيى البرمكي وعفوه عن طبّاخه نادرة اخرى قرأناها للشابشتي بروايته عن الشاه بن ميكال ، قال :

« كنا يوماً عند اسحق بن ابرهيم بن مصعب فقدمت المائدة . وكان قد تقدم بعمل هريسة . فقدمت اليه الهريسة فنظر اليها فرأى شعرة فاوما الى بعض غلمانه بشيء لم نفهمه . فما لبث ان جاء بطيفورية عليها مكبة . فوضعها ورفع المكبة فاذا يد الطباخ بدمها في الطيفورية . فرفعنا ايدينا وتنغص اكلنا مما ورد علينا . وقمنا وليس منا احد ينتفع بنفسه . ثم اجتمعنا بعد ذلك بدهر على مائدة محمد بن عبد الله بن طاهر . وكان قد تقدم باصلاح لون اشتهاه . فعمل له وجاء به الطباخ بنفسه حرصاً على التقرب من قلبه . فلما قرب منه عثر بعجلته فافلتت الطيفورية على محمد فصارت ثيابه وما تحته من فرش آية . فقام للوقت فغير ثيابه واغتسل وعاد الينا بوجه طلق لم يؤثر فيه ما جرى وجلس على المائدة ثم قال علي بفلان الطباخ . فجيء به وهو لا يشك في حلول النقمة . فقال له احسن قد زعناك . انت حر لوجه الله عزّ وجل . وفلانة الجارية لك وقد زوجتكها وامر له بصلة وكسوة . فاقبلنا بالدعاء له . وتعجبنا من فعله وذكرنا فعل اسحق . »[1]

---

١) كتاب الديارات . نسخة برلين ، الورقة ٥٢

كتاب الحسبة

لجمال الدين يوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرّد الدمشقي
في تعداد صنّاع دمشق وباعتها في القرن العاشر للهجرة

تقدّم ذكر مجموعه الخطي الذي نقلنا عنه كتاب الطباخة (ص٣٧٠)، ومن مضامينه ايضاً « كتاب الحسبة » في سبع ورقات. سرد فيه جزافاً دون تنسيق حِرَف دمشق وكل ما يُتعيَّش به من الاسباب والسِلَع في ايامه. واقتصر على اصول الصناعات منها والتجارات، بغير تفصيل لما يدخل تحتها وتنطوي عليه من الفروع. وليس فيه اقلّ اشارة او تفسير لما كان يجري فيها من ضروب الحِيَل والغشّ والتدليس. وهي التي كان من جملة فروض التحتسب البحث عنها وإزالتها وقد سبق الى وهم المؤلف أن في ذكر كل صنعة وكيفية غشها اذى في التطويل، كما يجيء من لفظه. ولذلك امسك عن الزيادة، واكتفى بتكرار الوصية دائماً بالتقوى، وعدم الغش، وحسن العمل، في الحسبة على كل المعايش بالاجمال. شأن الفقيه لا المؤرخ. ولهذا السبب خلا كتابه من كل فائدة، فيما عدا فائدة تعداد طوائف الصناع والتجار في حاضرة الامويين، منذ اربعة قرون ونصف قرن. وقد فاتنا خصوصاً معرفة انواع الاسلحة، والانسجة، وطرائف الثياب، التي اشتهرت بها دمشق. ولا تزال بعض طرائق صناعتها منسوبة اليها في اللغات الغربية. وجملة ما كان باقياً من اصناف الحياكة في اواخر دولة المماليك نيّف ومئة صنف لم يشأ المؤلف ان يعدّ منها بالتفصيل الا عشرة من القطن فقط. ومع اعتقادنا انه عرف اشياء وفاتته اخرى من صناعات بلده، لم نتمالك، بعد مطالعة كتابه، من التحسّر لما صارت اليه الفيحاء من الاتضاع والانحطاط. بعدما ان استباحها تيمورلنك نهباً وتدميراً. ونقل معه الى سمرقند مَهَرة صنّاعها واسرار حذقهم في كل فن. وقبل ان ننقل متن كتاب الحسبة. رأينا ان نقدم عليه كالتوطئة مقالة في معناه في المجموع نفسه دعاها « كتاب الصنائع » ذكر فيه ارآء الفقهاء في افضل الصنائع في الاسلام. لا تخلو تلاوته من بعض الفائدة

والاغراب. قال بلفظه وعامّيته احياناً ، كما خطّ بقلمه :

« اعلم ان الصنائع كثيرة . وقد اختلف العلماء في افضلها . فقيل افضلها الحراثة والزراعة . لان الانسان يتوكل على الله ضرورة في ذلك . وبها قوام الناس والمعايش . وحاجة الناس اليها داعية الصغير والكبير حتى الدواب والبهائم والطير والذر وغير ذلك . وآكتها الارض والبذر وآلة الحرث . وقيل افضلها العطر . فان عمر رضي الله عنه قال : « لو اتجرت لم اتجر الا في العطر . ان فاتني ربحه . لم يفتني ريحه . » وقيل الافضل التجارة مطلقاً . والتجارة تارة تكون في البلد وآكتها المال فقط . وتارة تكون في غير البلد وتحتاج الى المال والدواب . وقيل افضل التجارة في اللبن . ورد في حديث « لو اتجر اهل الجنة — ولا يتجرون — ما اتجروا الا في اللبن » . وذلك لان الذي يتجر في اللبن لا يزال يحب الخصب للمسلمين .

وما تكره التجارة فيه الاقوات من القمح والشعير ونحو ذلك . وورد في حديث « من احتكر لم يمت حتى يضربه الله بالجذام » . ولان المتجر في ذلك يحب الغلاء . والتجارة في الحرير والذهب والفضة وما فيه ضرر على المسلمين . وتحرم التجارة في محرَّم كالخمر والمتزير والسلاح للاعداء .

واما الطباخة فهي صنعة تحتوي على حسن وقبيح . واما الحياكة فكذلك تحتوي على حسن وهو عموم النفع . واما القبيح فلما فيها من الدناءة والوضع . وقد قيل انها من فروض الكفايات . واما النجارة فهي صنعة حسنة حتى قيل ان زكريا كان نجاراً وقد صنعها نوح . واما الخياطة فهي صنعة حسنة وقد دعت لها مريم . واما السمانة والقامية (١ فهي حرفة تحتوي على حسن وقبيح . وكذلك بيع الفاكهة والقطوبات وغير ذلك .

واخس الصنائع الخراسون . والكيالون . ويدهم الجمالون . والحمالون . والصيارفة . والبزادرة . والحجامون . والمنشون . والدباغون . والرملية (٢ . والمشعوذون . وكره احمد رحمه الله كسب الحجامة والحياكة . وكسب الماشطة . ويحرم اجر النائحة والمغنية .

ومن الصنائع ما هو محمود . وهو الحيازة . والعطارة . والقراية . والنجارة . والزراعة . والخياطة . ومنها ما هو قليل البركة . وصاحبه مغلوب في الغالب . كالحريرية . والقباقية . والذهبية . والبارودية . والحلاجين . والحطابين . والسقايين . فذلك لما فيها من المعاصي والمفاسد الخفية . والله اعلم .

كتاب الحسبة

يحتاج المحتسب الى معرفة الاحكام من الصلاة . والصوم . والزكاة . والبيع . والشرآء . والنكاح . والطلاق . والمباح من الاطعمة والمحرم . والمباح من الاشربة والمحرم . وما يكفر به الانسان وما لا يكفر . والذبائح وشروطها . والشهادات والاقرار . وجميع هذه

---

١) القامي بائع القوم وهو الحنطة والحمص والخبز وسائر الحبوب التي تخبز .

٢) البزادرة جمع بازدار حامل الباز وبائعه من طيور الصيد . والمقلشون في اصطلاح العامة من يقلش الجلود اي يقشرها . والرملية هم الذين يدّعون علم الغيب بالخط على الرمل .

الاحكام ليأخذ الناس بها . ويحتاج الى معرفة الصنائع وجيدها من رديها وغشها . وخالصها من مغشوشها

ثم اعلم ان ارباب الصنائع انواع كثيرة :

الاول الحاكة . وهم مائة صنف

الاول حاكة القطن . وهم عشرة أصناف :

الاول حاكة البطاين . وغشهم بقلة الصناقة . وشد ذلك بالمعجين

الثاني حاكة القطن الرفيع

الثالث حاكة العائم

الرابع حاكة الأزر

الخامس حاكة الفوط والشدود (١

السادس حاكة المناشف

السابع حاكة اللحف

الثامن حاكة التفاصيل المعربانية (٢

التاسع حاكة الثياب الكركية

العاشر حاكة المختم من القطن . وهؤلاء الحسبة عليهم في الجودة .

الثاني حاكة الكتان وهم اكثر من عشرين صنف :

الثالث حاكة الحرير وهم اكثر من اربعين صنف . وهؤلاء الحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش وعدم الخلوة بالصبيان وغلق الابواب عليهم معهم

الرابع حاكة الصوف وهم اكثر من عشرين صنف . والحسبة عليهم في الجودة

الخامس حاكة البسط وهم اكثر من عشرة اصناف .

السادس حاكة الخيش والعدول وهم اكثر من خمسة اصناف .

الثاني التجار . وهم عدة اصناف . من يبيع الثياب التي لم تستعمل من كل ما تقدم . والحسبة عليهم في التقوى في المعاملة . والتقوى في البيع والشرى . ومن يبيع الخلقان المخيطة والمستعملة . والحسبة عليهم كذلك

الثالث الجوهرية . وهم اصناف . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش . وادخال شيء في شيء

---

١) الفوطة ثوب يلبسه بعض اهل المشرق ويأتزرون به في مكان السراويل ، كالإحرام والمئزر لاهل المغرب . والشدود جمع شد وهو نسيج من حرير يتخذ للمآزر والمناطق .

٢) التفصيل قطعة من النسيج تُقدَّر لثوب واحد ، بمعنى العباية في اصطلاح الحاكة اليوم . قال ابو الفتح بن عبد السلام المالكي :

اهدى لنحوي من خيط ثيابه مُجمَلًا فاغناني عن التفصيل

والمعربانية نسبة الى عفربا من قرى دمشق

الرابع — العطارون . وهم من يبيع العطر والابازير . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش . وادخال شيء في شيء

الخامس — الطباخون . والحسبة عليهم في النظافة . وغسل الاواني وتغطيتها . وعدم الغش بالردي . والرفق في البيع

السادس — القامية . والحسبة عليهم في النظافة . وتغطية الاواني . والتقوى في البيع والشرى

السابع — الفاكهانية . والحسبة عليهم في التقوى في البيع والشرى . وعدم ادخال الردي في الجيد

الثامن — النقلية . والحسبة عليهم في تغطية الاوعية . وعدم خلط الردي بالجيد والتقوى في البيع والشرى

التاسع — الدقاقون . وهم الطحانون والحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش

العاشر — الخبازون . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش

الحادي عشر — الحبوبية . وهم من يبيع الحبوب كلها . والحسبة عليهم في التقوى . وعدم الغش بالردي

الثاني عشر — التراسون . والحسبة عليهم في ترك الشيطنة في الليل . والرفق بالدواب . وترك الكلام الفاحش

الثالث عشر — الجمالون . والحسبة عليهم في الرفق بالدواب . والتقوى في انفسهم

الرابع عشر — الحمالون . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الخيانة

الخامس عشر — النجارون . والحسبة عليهم في التقوى . والنصح في الصناعة

السادس عشر — المعارية . والحسبة عليهم في التقوى والنصح

السابع عشر — الحدادون . وهم اصناف كثيرة . والحسبة عليهم في التقوى والنصح

الثامن عشر — الابارون . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش

التاسع عشر — الفواخرة . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش

العشرون — الوراقون . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش

الحادي والعشرون — البياطرة . والحسبة عليهم في التقوى وحسن الصنعة

الثاني والعشرون — السقطية . والحسبة عليهم في التقوى وحسن المعاملة

الثالث والعشرون — الفُقّاعية . والحسبة عليهم في التقوى . وتغطية الاواني . والنظافة . وعدم الغش . وكثرة الماء

الرابع والعشرون — الشراباتية . والحسبة عليهم في النظافة . وتغطية الاواني . وعدم الغش والتنقيص

الخامس والعشرون — الاطبآء . والحسبة عليهم في التقوى . والنصح . والمعرفة . والتوانح والتأني

السادس والعشرون — الجرائحية . والحسبة عليهم في التقوى . والمعرفة . والنصح . وجودة الادوية

السابع والعشرون — الشأبة . والحسبة عليهم في المعرفة . وعدم خلط شيء بشيء . والغش

الثامن والعشرون	الشماعون . والحسبة عليهم في التقوى . وعدم الغش
التاسع والعشرون	باعة الخرير والخيطان . والحسبة عليهم في المعاملة وعدم الغش بالردي
الثلاثون	الحلوانية . والحسبة عليهم في النظافة . وجودة الطبخ . وتغطية الاواني . وعدم الغش
الحادي والثلاثون	باعة الصابون وعماله . والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش وخلط الجيد بالردي
الثاني والثلاثون	السماسرة . والحسبة عليهم في الصدق . والامانة . وعدم الشيطنة
الثالث والثلاثون	الخضرية . والحسبة عليهم في النظافة . وحسن المعاملة
الرابع والثلاثون	اللحامون . والحسبة عليهم في النظافة . وحسن المعاملة
الخامس والثلاثون	الشرابحية . والحسبة عليهم في النظافة . والاصلاح . وعدم السرقة
السادس والثلاثون	القزازون . والحسبة عليهم في الجودة . وعدم الغش
السابع والثلاثون	القباقبية . والحسبة عليهم في الجودة . والاصلاح . وعدم الغش
الثامن والثلاثون	الدهانون واصحاب الدهون كله . والحسبة عليهم في الجودة . وعدم الغش . والاصلاح
التاسع والثلاثون	باعة اللبن والجبن ونحو ذلك وعماله . والحسبة عليهم في الجودة . وعدم الغش . والنظافة . والتغطية
الاربعون	ضرّابة اللبن . والحسبة عليهم في الجودة . وحسن العمل
الحادي والاربعون	باعة الطيور . والحسبة عليهم في التقوى . والصدق
الثاني والاربعون	الشهود . والحسبة عليهم في الرفق . وقلة الطمع . والديانة
الثالث والاربعون	المؤذنون . والحسبة عليهم في معرفة الاوقات . والامانة . والمباشرة
الرابع والاربعون	النحاسون . والحسبة عليهم في التقوى . وحسن الصنعة وعدم الغش
الخامس والاربعون	المناخلية . والحسبة عليهم في الجودة . وعدم وضع الخشن
السادس والاربعون	الغرابيلية . والحسبة عليهم في الجودة
السابع والاربعون	اصحاب الخانات . والحسبة عليهم في الامانة . واجتناب المناكر والمحرمات
الثامن والاربعون	حمّامية . والحسبة عليهم في الامانة . والنظافة . والسخونة . والرفق بالناس
التاسع والاربعون	الزبالون . والحسبة عليهم في عدم مضايقة الناس . والتقذير عليهم
الخمسون	السكرية . والحسبة عليهم في المعاملة . وعدم الغش
الحادي والخمسون	باعة السلاح وعماله . والحسبة عليهم في الجودة . والاتقان . وعدم الغش
الثاني والخمسون	الذهبية . والحسبة عليهم في التقوى . وعدم الغش . وعدم الخلوة بالصبيان
الثالث والخمسون	الخياطون . والحسبة عليهم في الاتقان . وحسن العمل
الرابع والخمسون	الطواقية . والحسبة عليهم في الجودة . وحسن العمل
الخامس والخمسون	الزرابيلية . والحسبة عليهم في الاتقان . وحسن العمل

السادس والخمسون السراميجية (١ . والحسبة عليهم في الاتقان . وحسن العمل
السابع والخمسون الأخفافية . والحسبة عليهم في الجودة . وحسن العمل
الثامن والخمسون الحياكون . والحسبة عليهم في الجودة . وحسن العمل
التاسع والخمسون الدقاقون (٢ . والحسبة عليهم في المعرفة . والجودة . وعدم التقطيع
الستون الكتبة . والحسبة عليهم في الجودة . وعدم التعفيش
الحادي والستون باعة النزل . والحسبة عليهم في التقوى . وعدم الغش
الثاني والستون الأتباعية . والحسبة عليهم في التقوى . وعدم الغش
الثالث والستون الدباغون . والحسبة عليهم في الجودة والاتقان
الرابع والستون الحراس . والحسبة عليهم في الحفظ والامانة
الخامس والستون العنبرية . والحسبة عليهم في النصح وحسن العمل وعدم الغش
السادس والستون السيورية . والحسبة عليهم في حسن العمل وعدم الغش
السابع والستون المصالحية . والحسبة عليهم في النظافة وحسن العمل
الثامن والستون اصحاب الكوامخ والمخللات . والحسبة عليهم في حسن العمل والنظافة
التاسع والستون القُرَبيَّة . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن العمل وعدم الغش
السبعون الحردفونية (٣ . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن العمل
الحادي والسبعون السروجية . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن العمل
الثاني والسبعون الاشاطية . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن العمل
الثالث والسبعون الجوخية . والحسبة عليهم في التقوى في البيع والشرى . وعدم التخيير بما اشتُري الى اجل وترك الحنث
الرابع والسبعون الطيبية . والحسبة عليهم في عدم الغش
الخامس والسبعون الرحولية . والحسبة عليهم في الاتقان وعدم الغش
السادس والسبعون باعة الحبال وعمالها . والحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش
السابع والسبعون الحصانية . والحسبة عليهم في جودة العمل والنظافة
الثامن والسبعون عمال السنبوسك ونحوه . والحسبة عليهم في العمل والنظافة وعدم الغش
التاسع والسبعون الرملية . والحسبة عليهم ان يتنعوا بالكلية . او يكونوا على حال متصلحة للناس
الثمانون المشعوذة . والحسبة عليهم ان يتنعوا او يكونوا على حال متصلحة
الحادي والثمانون مجلدة الكتب . والحسبة عليهم في الجودة والاتقان وعدم السفتجة (٤

---

١) السراميجية صناع السروجة ، وهي المعروفة عند العامة اليوم بالصرماية

٢) الدقاقون هنا هم الذين يدقون الانسجة والاثواب بالمطارق لصقلها . وكانت بعض هذه الصنعة تسمى قديمًا بالقصارة واصحابها بالقصّارين . ولكنهم كانوا يدقون الثياب ويحوّرونها اي يغسلونها ويبيضونها

٣) لم نستطع ان نجد تفسير هذه اللفظة واية صناعة كانت

٤) يريد ، لا شك ، بالسفتجة حشو التجليد بالسفاتج والاوراق

الثاني والثانون المقالون . والحسبة عليهم في حسن الصنعة والاتقان
الثالث والثانون النخاسون وباعة الرقيق. والحسبة عليهم في الصدق والامانة وعدم التدليس والوطء قبل الاستبراء
الرابع والثانون المؤدّبون . والحسبة عليهم في حسن التعليم وان يكونوا من الرجال المزوّجين
الخامس والثانون المبيّضون . والحسبة عليهم في الاتقان
السادس والثانون الحكاكون والبخاشون . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن العمل
السابع والثانون البارودية . والحسبة عليهم في حسن العمل
الثامن والثانون السكاكينية . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن الصنعة
التاسع والثانون السنّانون . والحسبة عليهم في الاتقان وحسن الصنعة
التسعون الصيّاغ . والحسبة عليهم في الامانة والاتقان وحسن الصنعة
الحادي والتسعون الحصرية وعمال القفاف والمكانس . والحسبة عليهم في الاتقان والجودة
الثاني والتسعون الصيادون . وهم اصناف كثيرة . والحسبة عليهم في التقوى وتعاطي اسباب الحل من الذبح ونحو ذلك
الثالث والتسعون الصيارفة . والحسبة عليهم في المعرفة والامانة وتعاطي اسباب الحل
الرابع والتسعون الدهيناتية . والحسبة عليهم في حسن العمل وعدم الغش
الخامس والتسعون المواشط . والحسبة عليهن في العمل وعدم تعاطي المحرم
السادس والتسعون الكحالون . والحسبة عليهم في المعرفة والصدق وجودة الادوية
السابع والتسعون القطانون . والحسبة عليهم في الجودة والصنعة
الثامن والتسعون باعة الكتان . والحسبة عليهم في الصنعة والجودة
التاسع والتسعون الكوافيّون . والحسبة عليهم في الصنعة والجودة
المائة القضابون . والحسبة عليهم في الجودة وحسن الصناعة
الحادي والمائة الحجارون والترابون . والحسبة عليهم في الجودة والامانة وعدم تحميل الدواب ما لا تطيق
الثاني والمائة الحطابون . والحسبة عليهم في الرفق بالدواب
وعلى الجميع الحسبة في الديانة والتقوى وتحرير الميزان والصنج
ولولا اذى التطويل زدنا على هذا وذكرنا كل صنعة وكيفية غشها

شعر يوسف غصوب

« القفص المهجور » ، و « العوسجة الملتهبة » ، و « جمال » على ضوء « الشعر الخالص »

بقلم سعيد عقل

لو كنت ممن يجترّون السنوات ١٩٢٠—١٩٢٧ ، لأعجبني من شعر يوسف غصوب في « القفص المهجور والعوسجة الملتهبة » أبيات تحسب في الأدب العربي بناءً وروحاً :

... مدُّوا الدمقس لها ، طول الطريق ، على أواسنٍ من خيث الماء والدود
... والخمر تسربُ من كوب ، من شفةٍ ، إلى التراقي كعقدٍ غير منضودِ

ولكنتُ أدلّل ، بمثل هذين البيتين ، على أن بين يدي شعراً عربياً لا غبار عليه ، وأروح وفي خلدي أني امتدحت الرجل ؛ ولكان نبا عن « ذوقي » كلُّ ما في الديوانين من « عجمة » لا تقبلها الضاد... فأيُّ هذيانٍ هو هذا البيت :

قربت ساعة اللقاء، [illegible] في دجى الليل كبرياء النهارِ ؟

أنا أفهمُ أن « تقربَ ساعةُ اللقاء » ، لأن العرب قالوا على هذا الغرار ، أو — عفوكم — لأن هذا القول على غرار العرب . اما أن يكون « للنهار كبرياء » و « كبرياء تغيض » ... فهو روحٌ غيرُ عربي :

« وإذا القلب لم يكن عربيّاً أوشك الشعر أن يشيع فساده ! »[1]

« وفضيلة الشعر مقصورة على العرب »[2] .

ولو كنت من المجترّين سنوات ١٩٢٧—١٩٣٠ ، يومَ مدرسةُ جبران وابي ماضي تلهب « بجديدها » حماسة المتخلفين ، لنظرت في ديوان يوسف غصوب آسفاً أقول ، وقد أمسكت في حيلة ناصية الحقيقة : « نحن في القرن العشرين ،

١) شفيق جبري في القرن العشرين .
٢) الجاحظ .

عصر العمل وخدمة الانسانية ، فأيّ حكمة في طبع ديوان ليس فيه حكمة واحدة ؟ » ورحتُ أقول متغنياً : «أين غصوب من هذه الروائع :

والعدلُ في الناس يبكي الجنّ لو سمعوا بهِ ، ويستضحك الاموات لو نظروا(١

واستدركُ ، وقد استشهدتُ ، من « الرابطة القلمية » بنـاثرها ، لأعود إلى « العميق العميق » من الحكمة :

أيّهذا الشاكي وما بك داءٌ ، كن جميلاً ترَ الوجودَ جميلا ! (٢

ذلك أن الشعر ، عهدَ انفتاح العيون على أدب جاليتنا الأميركية ــ المتأثرة أبدًا ببشري التوراة ــ كان حكمةً او نصيحة أو وعظة . كيف لا ، والمتخلفون لم يكونوا يطربون إلّا للحكم او يسامرون إلّا الحكماء . ونحن ، تلامذة المدارس يومئذ ، المطوّفين ، على يد الفرنسية والانكليزية ، في الأدب اليوناني ، او الفاتحين ، أقلّه ، للعيون الظمأى على الأدب الاوربي الحديث ، كنا ــ واساتذتنا في العربية مَنْ هم ! ــ نُرغم على استظهار وعظة ابن الوردي « الرائعة » :

اعتزل ذكر الاغاني والغزل . . .

كنا نعرف ، على يد الفرنسية ، أن الشعوب في بدء امرها مزيجٌ من فروسية ووثنية ، من عواطف خشنة على أنها كبيرة ، وقصص حرب مبالغة على أنها واقعة ، واساطير آلهة على أنها جميلة ، تنعكس كلها في قلوب الموهوبين فتكون : الملحمة .

وتدخل الشعوبُ ، وقد خفتت جلجلةُ الخيـل والاسنة ، مُدنَها الساكنة وبيوتَها الآمنة ، مطمئنةً على ذاتها تذكر وتحب وتحنّ ، فترقّ العواطفُ ، وبدق ما بينها فيكون : الشعر الغنائي .

وتغرق الشعوب في المدنية ، ويُباعَد ما بينها وبين فروسية الجاهلية ، فتتضاءل العواطف الكبيرة ، ولا يعود يوقظ النفوس إلّا « رؤية » الأبطال الذين غابوا في ضباب الماضي فيكون : المرسح

١) جبران : المواكب

٢) ايليا ابو ماضي

وتهرم الشعوب ، سنّة البقاء ، فلا الملحمة تجدي ولا الغناء ينفع ، ولا المرسح نفسه يحث . الشعب يحتضر ، والشعب كالفرد كلاهما يلذّه ، وقد دقت ساعة الموت ، أن يسمع حكمة الدهر ويتوب ، فتكون : الحِكَم .

أجل كنا ندرس كل ذلك . لكن الزمام في أيدي الصحف السطحية واساتذتنا المنكمشين ، كالجيل الهرم ، على الحكمة .

كان الأمر طبيعيًّا ، كان كل شيء في محله : الحياة في قلب الناشئة ، والاحتضار في الجيل المولي . وكان من الطبيعي أن يصفق الجيل المولي للحكمة وأن يتجه طلبةُ الأمس — قرّاء اليوم — إلى أدب الحياة ، أدب يأبى المواعظ ويأبى الحكم .

وما إن ننفلت من المدارس حتى يختنق أدبُ أميركة بعد ازدهار ، اللهم إلّا في العراق حيث لا جيلًا جديدًا يذكر إلى جنب هذه الوفرة من النفوس المولية .

❁

ولو كنتُ من المجترّين السنوات ١٩٣٠—١٩٣٥ ، عهد التخمة من الحفلات التكريمية والتأبينية ، يوم التمذهب « بالنقمة على المبخرة » يحسب تجديدًا وابتكارًا ، لكان لي وراء ديوان غصوب شاعر ولا كالشعراء ، ولقلت في الكتاب : « هو أول ديوان يظهر في العرب منذ الجاهليين إلى شوقي ويخلو من من المديح والرثاء .. » هذا كأنّ غصوب أتى — من هذه الناحية — عملًا فذًّا .

ذلك أن العرب أعوزهم من المؤهلات للشعر قوة الخيال ورقةُ الشعور : الميزتان اللتان ترافقان الميتولوجيا[1] عند الشعوب فجاء شعرهم « صحافة »[2] .

الصحافي في عصرنا يتمدح زعيم الحزب ، والشاعر العربي يتمدح الأمير . الاول يقوم على أثر مأتم سياسي كبير ، بتعداد مناقبه نثرًا ، والثاني يسرد سجايا فقيده نظمًا . ذاك يعمد في صحيفته إلى الدعاية لحزبه أو لنفسه ، وهذا يعمد في « قصيدته » إلى الفخر بقبيلته أو بنفسه . ذاك يحف من الحفلات المدنية

---

١) راجع للمؤلف : المرسح — المشرق المجلد ٣٠ الجزء الاول

٢) لامنس

ملاحة هذه وتلك من السيدات الارستقراطيات ، وهذا يشبّب بهذه وتلك من نساء الحي . الاول ينهش في مقالاته كرامة خصومه السياسيين الذين لا يفتحون له صناديقهم ، والثاني يهجو بقصائده أميرًا قطع عنه دنانيره . و إذا اتفق أن يجيء مقال « صحافي الأمس » نظمًا ، فلأن النظم سهل الحفظ يمكنه أن يجوز البلاد إلى البلاد فيؤدّي ما قصد بالصحافة من شهرة وتشهير . ولو كان للعرب مطابع وورق لما تكلفوا نظم هذه « المقالات » التي دُعيت « الشعر العربي » ، يوم كان الشعر منهم ما هي المطبعة منا.

و إذا يكون يوسف غصوب شاعرًا لا صحافيًا فلا نعدها له حسنة ، ونحن نأبى أن نجمل من الطمن على « الشعر الصحافي » مذهبًا أدبيًا ننضوي تحت لوائه، وكأننا أتينا العجب العجاب.

نحن في مثل هذا الموقف نكتفي بالقول : « إن يوسف غصوب كان شاعرًا عهدَ ظلّ اكثر « شعراء » العربية صحافيين ».

واجماعاً أنا لا امتـدح من غصوب أنه في بعض نظمه عربي الديباجة ، عربي الفكر ، كانا البقـاء على الاسلوب الواحد حسنة ؛ وانه هجر الحِكَم ، كانا وجودُهُ حيًّا في جيلٍ حي يحسب فوق المتاد ، وأنه لم ينظم في المناسبات، كانا الميل إلى الشعر دون الصحافة يعدّ اكثر من دعوة في قرارة النفس .

إن يوسف غصوب هو — لا اكثر ولا أقـل — أول من نشر في العربية ديوانًا يمكنُ نقده على ضوء الشعر.

وبعد ، ما قيمة غصوب ؟

أصدر الشاعر اللبناني ثلاث مأثورات شعرية : « القفص المهجور » و« القفص المهجور والعوسجة الملتهبة » ، و « جمال » .

قد نذهب ، إذا تصفحنا الأثرين الاولين ، إلى ان « القفص المهجور » هو الديوان نفسه ينشر مرتين . على أن نظرة أدق ترينا ان بين الجزء الاول من الكتاب الثاني « والقفص المهجور » الأصلي فرقًا تهمنا معرفتهُ ، لأنه — على

صغره — صورة لظمأ الشاعر الى الرقي الفني .

شعر غصوب ؟ لا تنطبق نظرية التساوي في الجوهر[1] بين القصيدة ونفس صاحبها ، انطباقها على شعر غصوب ونفسه .

غصوب عالَمٌ صغير قلق ، عالم تحليلي (analytique) لا تأليفي (synthé-tique) ؛ لا يعرف — سُنَّة الحيّ من النفوس والفنون — ان يرى قرارًا ، فهو أبدًا حنينٌ إلى علٍ ، واندفاعٌ إلى علٍ ، وبلوغ شيء من عَلٍ .

وكذلك قصيدته فهي قطعة خافقة ، تحليلية — لا تأليفية — في إتيانها على أجزاء الحالة الشعرية جزءًا جزءًا ، وهي أبدًا دأبٌ فنّي وعمل ظاهر الترقي ، وأخيرًا بلوغ شيء .

نرسل ضوءًا على هذا القول :

إن مبدأ التساوي في الجوهر بين القصيدة ونفس صاحبها — وإن يكن المبدأ الذي لوحظ في كلّ الفنانين الكبار ، من صرامة رومانية ڤرجيل ، شاعر « الشعب الملك » ، التي رافقتها صرامة الطريقة في « الإنييد » ؛ إلى « دندية »[2] بودلير التي رافقتها « برناسية » الشكل في « أزهار الشر » — لا يُعدُّ مذهباً خيرًا على الأدب ، الّا بقدر ما تكون عليه نفس صاحبه من غنى .

أمّا غصوب ، موضوعنا اليوم ، فهو من الغنى ، في بيتٍ ، على الرغم من تواضع إثرائه ، اكيدِ الوجود ، ثبتِ الكيان ، مطلوقِ النوافذ على الآفاق .

غصوب ليس من تلك النفوس النادرة ، التي أُعطيت رسالة إنهاض عصر من العصور ، تشقّ أمامهُ آفاقاً بكرًا ، وتركزه — عفوَ العلم — في فلسفة راهنة ، حيث غبطة الركون الى وجودٍ ثبت ، او على الأقل إلى إيمان ثبت . لا وغصوب هو احدى النفوس التي تشاهَد كل يوم ، على انها طليعة ، لا تنهض بجيل ولكنها تحلق في جموده شكّاً ؛ لا تركزه في نعيم راهن ، ولكنها ترسل أمامه شعّة على اللذة الأبدية . وبكلمة ليس غصوب ينبوعاً مستقلّا يكفي ، بجدّ

---

١) راجع للمؤلف مقدمة « المجدلية »

٢) مذهب يقوم على تأنّق الروح والتصرّف

ذاته ، عِطاش الجيل ، لكنه مرحلة واحدة من الطريق القائمة على ضفة الساقية تنساب من الينبوع ، مرحلة من مراحل تمثل شعراء الحياة وتعوّض ، بمجموعها ، عن الينبوع الأكبر.

ولا يستخفّ أحد قيمة هـذا النوع من الشعراء ، الذين دعوتهم شعراء الحياة — مقابل شعراء الإيمان — فهم وحدهم يمكنهم بسهولتهم ولذة قراءتهم ، أن يزحزحوا الجيل عن ضلالِه ، ويعوّدوا أعينَهُ الوميضَ الناعم استعدادًا للفجر الرحب وللإيمان الثبت.

قلت : غصوب عالمٌ قلِق يخلع على القارئ قلقهُ فيوقظ، ويحثّ، ويكتفي. أعني أنه يحرّك ، لا يرجد . ولا يهمّه الأفق الذي تحطّ عليه أنت ، ما دام لا يؤمن بأفق بعد ، ويكتفي بأن رماك في الفضاء ، ورماك متحركًا قلقًا :

على غارب الاحلام . . . . ذهبنا . . . . فجزنا بحار النور . . . . .

إن هذه الفِلَذ من القصيدة الاولى صور أمينة لهذا الصعود ، الصعود ليس الّا . وإذا يقول في آخر القصيدة :

ونحيون أفرادًا لكم من نفوسكم عوالم . . .
على صِلة بالروح . . .
فتجلى لكم ، قبل الممات ، غوامضٌ بحار بها من لا يرى فوق ما يرى

فلا تظنّها منه استقرارًا ، ونعيشُ معها « تجلى غوامضه ، يخفى بحارٌ به من لا يرى فوق ما يرى ».

وغصوب عالَم تحليلي ، فكأنّ نفسه قِطع يمكن انتقاؤها كلًا على حدة ، فترى الحياة عنده حالةً حالةً : فحنين ، وظنّ ، ووحشة ، وجائزة ، وخيبة ، وخطر زوال . فكأن الحياة التي يدخلك أيّاها غصوب حجرةٌ لا يعبق بوجهك منذ تفتح بابها ذلك الجوُّ الذي يريد الشاعر انزاله عليك ، شأن ما يحدث لك عند شعراء الإيمان ، بل يظلّ منها شيء هادئ عن ترتاح إليه نفسك ، حتى إذا أخذ الشاعر يطوّفُ بك على كل زاوية منها ، وحائط ، وطنفسة ، وبساط ، اكتمل لك جوُّ القلق وكنت من الحجرة — وقل من الحياة — مغمورًا مثله بالجوّ الذي يريد . آخذ مثلًا قصيدته « جنة الأحلام » ، والعنوان بمجـدّ ذاته يغري النفوس

التأليفية . لكن غصوب ، غصوب التحليلي ، يقدّمه لي تحليلياً ، قطعاً قطعاً . فإذا أنا قد « طفتُ في جنة من الأحلام » ، وإذا معي « شقاء قلبي » ، وإذا أنا « في فسيح من الأرض » ، وإذا السماء « عُقدت بأوراق وزهر » ، وإذا « النور فائض » ، وإذا اشياء واشياء تمرّ أمامي حتى يكتمل لي الجو التحليلي . . .

وشأن يوسف غصوب في القصيدة هو شأنه في البيت فبيته نفسه تحليلي ، ولهذا قلّما يخلو من النثرية إلى جنب الفِلذ العجيبة :

على غارب الاحلام . . .

ألا ترى نفسك في هذه الفلذة من البيت الأول من القصيدة الاولى مغموراً بجوّ شعري خالص ؟ فتزاوج اللفظتين العجيب ، ولا عهد لنا به ، والألفات الثلاث الممدودات كالاحلام الطوال ، والحروف الحلقية كالعين والحاء ، والانغية كالميم ، والهادرة كالراء ، كل ذلك يؤلف جوّاً موسيقياً عجيباً يجعل لهذه الفلذة ميزة تكاد لا تجدها في العربية ، وتعدّ بين أرقى الفلذ الخالصة في غير العربية .

أما تمام البيت :

. . . في سانح الضحى (ذهبنا) مع الآمال (نسعى) إلى المنى

فهو نثرية ، وتكفي هذه (الذهبنا) وهذه (النسعى) لتعكير ما انزلته الفلذة العجيبة . وإن في هذا البيت . مزيج من الخلوص والنثرية ، صورة مصغرة لشعر يوسف غصوب .

وغصوب حنينٌ إلى علٍ ، واندفاع إلى علٍ ، وبلوغ شيء من علٍ . وتلك نتيجة القلق الذي رأيناه عنده ، وما من أحد يقلق لحالة ويريد بقاءها ، او يرضى استبدالها من مثلها .

وهكذا نرى في « جمال » ، آخر منتوج غصوب ، كثيراً من « الاستقرار النفسي . » فجوع « نفسه المتمّ » ، الذي تجلّى لنا في الاثرين الأولين ، ينتهي هنا الى مثل الايمان بشيء : سمّه « الجمال » او سمّه « كمال الخليقة » بل « التوهّم بكمالها » إذ لا تجد في هذه القصيدة ـــ التي عليها أن تمثل جمال الحياة بما في الحياة من حسن وقبح ـــ اشارة الى عيوب في المرأة ، بل تجد الجمال اللامتناهي ، الجمال المطلق .

والقصيدة نفسها — كقطعة فنيّة — تنتهي — شأنَ نفس الشاعر المستقرة شيئاً — إلى مثل استقرار في الفنّ .

ذهبت إلى أن فنّ غصوب في هـذه القصيدة تقدّم ولم يتبدّل ، لقد ملك زمامه وتمركز واستقرّ ، وقلّ نثريّة — وليس في الآداب شعرٌ خالص تام الخلوص — وبكلمة ان فن غصوب توّج حنينه إلى عَلٍ ببلوغ كثير من عَلٍ .

نسهب قليلاً في درس جمالية(1) غصوب وتطوّرها :

تطالعنا منذ القصيدة الأولى « الشعراء »فلذٌ كثيرة من الشعر الخالص كان بوسعها أن تسند جماع القصيدة لولا الطريقة التحليلية وما يتبعها من سهولة — وسبحان يوم صارت فيه «السهولة» هفوةً ، « والصعوبة » مزيّة ؛ على أن لا يحمل السطحيون قولي محملاً لا أقصده . فإذا قال الجاهليون المحدثون بأن الصعوبة من شروط الفن ، فلا يعنون بالصعوبة تلك التي تنتج عن الألفاظ العويصة ، أو عن التركيب اللغوي المعقّد . الصعوبة التي اعني هي صعوبـة الجوّ التي ترافق دوماً من يحاول أن يحدّ اللامحدود .

ومن الأدلة على هذه السهولة عند غصوب ، وقل هـذه التحليلية أيضاً ، أنك تجد عنده من حروف العطف — تلك الحروف التي تؤذن بجمل مستقلة — الشيء الكثير . قال :

فجزنا . . فكان . . . وتلمسنا . . . وحلّت . . . وطهّرنا . . . وأودعنا . . . ولطف . . . وقال . . .

كل ذلك في أبيات قلائل من قصيدة واحدة .

ومن الادلة على التحليلية هـذا الاسترسال في الوصف الذي يرافق طريقة غصوب حتى إلى « جمال » فيجعل أبداً من الشطر الثاني من بيته نعتاً طويلاً فهو يقول :

وحلّت بنا روح الإلـه ، فقلبنا كمهبط وحي (فاض بالنور والهدى)
وتبنون للاوطان مجـداً مخلّداً ، بشعر (قوافيه من القلب والنهى)

(1 Esthérique

وتغرب حتى تستحيل شرارة (تغي‌ء مع الانوار في منبع السنى)

...

عرفت من قبل فيه صادحاً (في اناشيد الهوى يسترسل)
أو فراشات (إذا ما كلفت نقل اسرار الهوى، تمتثل)
مستديرات، حيارى، (كلما حرك النصن الهوا، تنتقل)
وترى في القفص الخالي، لما منظراً (فاضت لديه المقل)

ومثل هذه الشواهد كثيرة في ديوان غصوب. أمّا في «جمال» فنادرة.
أفاقت على فجر عجيب ونفحة سماوية (من راحتيك تضوع)
فنحن ضراعات اليك، واعين شواخص (في احداقهن وميض)

على أن هذه الواصفات الفضلة هنا تزيد المسند غنىً، كما ترى في «سماوية من راحتيك تضوع».

ومن الأدلة على التحليلية أيضاً هذا التشبيه، والتشبيه المسبوق بأداته. ففي الأربعة الأبيات الأولى من قصيدة في جوّ «الوحشة» ثلاثة تشابيه بثلاث كافات:

«كسراج... كالشموع... أو كمين...»

أمّا في «جمال» فلا تقع، رغم رحابة القصيدة، إلّا على تشبيه واحد:

..............كأنه شراعٌ بآفاق الخيال يسير

الانتها. بنعت طويل، استعمال أدوات التشبيه، السهولة، وبكلمة كلّ هذه النثرية في شعر غصوب هي ظواهر تمثلُ ما اعطته إياه طريقة العرب التحليلية. فإذا نلاحظ أن هذه التحليلية، هذه النثرية، كادت أن تمحي تماماً في «جمال»، ندرك أيّ وثبة قام بها فنّ غصوب.

على أن يوسعنا أن نرى في بعض قطع من شعره الأول تنبؤاً بهذه الوثبة. ففي «جنة الأحلام» أبيات تبلغ من الخلوص أرقى ما تصل إليه «جمال»، وكدت أقول أرقى ما يصل إليه شعر أوربة الخالص:

هذه غاية الأماني / هلّا رقدةٌ في ظلالها / بسلام /
تتلاشى انفاسُنا / في هدوء / دونما حسرة / ولا آلام /
(مثلا) تفقد الزهور شذاها / حانئات / في جنة الأحلام /

إن «الها.» من «هذه» فحروف اللين التي تبلغ الخمسة في الشطر الأول

وحده ، فاليائين المعليتين في « غاية وأماني » والقطع قبـل آخر الشطر الأول بكلمة ، وقبل آخر الشطر الثاني من البيت الأول بكلمة ايضاً ، إلخ . إلخ . وهذه المحاكاة المتشوّقة بين هاءات « هذه وهلّا وظلالها » والمتلاشية بين الشين والسين في « تلاشى وأنفاسنا » والمغنية كالنغم في دالَي « هدو. ودوماً » المسنودتين بحرفي لين ، ثم هذا البيت الأخير المتصاعد نفساً في شطره الأول بين حرفي حلق خافتين (الهائين) ، المتهدّم شوقاً في شطره الثاني بين حرفي حلق أقوى (الحائين) ، كل ذلك ينزل عليـك جوّ حالة من الغبطة تشتاقها الروح إلى حدّ التلاشي ، وينزله جوّاً يبلغ من الخلوص حدّاً قصيّاً .

وبعد فيوسف غصوب قد رفعه حنينُه إلى عَلٍ ، من حالة « القلق» إلى شيء من « الاستقرار » . ودفع بفنّه من عروض الشعر العربي المزيج من الشعر والنثرية وقل : المزيج من عنجهيّة الصحراء وصوفيّتها ، الى حدود جمالية الشعر الخالص ، اندفاعَ لبنان ، بعد الحرب ، من سُباته ، إلى الإيمان برسالته التي ، وإن لم تتخلَّ عن الجزيرة اللاهبة ، تكمّل عملها في حوض البحر المتوسّط الرحب الماضي ، والرحب الرسالة .



اخبار حلب وحوادثها

من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥

اخذاً عن يومية المعلّم نعوم البخّاش

المخطوطة الوحيدة، نشرها وعلق عليها
الاب فردينان توتل اليسوعي

المقدمة

عنوان المخطوط ووصفه

هذا الكتاب ناقص في اوله وفي آخره . فليس عليه عنوان ولا اسم المؤلف . لكن فحواه وخطّه يهدينا الى معرفة اصله . ، فهو الدفتر الذي جمع فيه المعلّم نعُوم البخّاش الحلبيّ حوادث ايامه ، اذ كان في منتصف القرن الماضي ، يعلّم الاحداث في الشهباء . ومن اجل ذلك سمّيناه يوميَّة .

طول الكتاب ٢٠ سنتيمترًا ، وعرضه زهاء ١٠ . وهو مقروض ... اطرافه . وعدد صفحاته ١٥٨ ، كلّ صفحة مقسومة الى اعمدة ثلاثة .

وفي كل عمود جزءان : الاعلى ، وهو متوّج بالتواريخ ، وفيه العدد الدال على الاسبوع في مرتبته السنوية الكنائسية اخذًا من عيد الفصح فما بعد ، ويتبعه العدد المشير الى مرتبة الأحد اخذاً من عيد العنصرة فما بعد ، ومن ثمَّ ذكر الاعياد المهمة الواقعة في الاسبوع . ويتبع ذلك لائحة التلاميذ مسنّنة على عمود في يمينه رُقِم عدد الاولاد من اسرة واحدة ، وفي يساره عدد الاسابيع التي واظب فيها التلميذ المذكور ، في اسابيع كذا اخذًا من عيد الفصح فما بعد . وايام تموز وآب وايلول فيها الاحصائيات كما في سائر ايام السنة مما افاد انهم لم يصرفوا فيها الاولاد للعطلة المدرسية ، شأننا اليوم .

اما جزء العمود الاسفل ففيه ذكر وقائع حلب محررةً باختصار يوماً فيوماً ، واسبوعاً فاسبوعاً ، وشهرًا فشهرًا ، وسنةً فسنةً . اولها مؤرخ يوم السبت ٢٢ كانون الاول سنة ١٨٥٥ ، وآخرها السبت ٢٢ ايار سنة ١٨٦٥ . فتحوي اجمالًا ذكر حوادث عشر سنوات تقريباً . قلت تقريباً لان الكتاب مبتور ليس بأوله وآخره فقط ، ولكن بالصفحات الممزّقة منه ايضاً ، وبالايام التي لم يتمكن المعلم البخاش من كتابة وقائعها اذا عاقه عائق .

ولا ترتيب في الموادّ سوى مراتب وقوعها بالزمان . فيسردها البخاش مبتدئاً الاسبوع بالاحد اوّله ، ويذهب بها الى غاية السبت ، اذ يؤرّخ اليوم والشهر من السنة الميلادية الغربية والشرقية ومن السنة الهجرية . وقد يعود عند وداعه الاسبوع فيتذكر ما فاته ذكره في يومه فيدوّنه . وربّما اكتظت المواد فضاق بها العمود ، ففاضت على الهوامش وتعسّرت قراءتها لدقة خطّها . لكنها على الاجمال واضحة للبلّور المكبّر .

اما الورق المستعمل في الكتابة فعادي . وقد يأخذك العجب لحسن حفظه بالرغم من عشر سنوات تداولته فيها يدا المعلّم البخّاش ، ثم ايدي الناس الى ان بلغ الينا . فيشهد لصاحبه بالصبر والعناية البليغة .

وربّما كان جزؤه الناقص خفياً الى اليوم في بعض الخزائن او الدكاكين في حلب ، كما ظلّ هذا المخطوط مخفياً الى ان اقتنته المكتبة الشرقية من الشيخ الترمذي بائع العاديات في حلب . عسى ان نشرنا هذا يستفزّ همّة من يكون بين يديهم باقي اليومية فيحفظونها او يودعونها من يحفظها من الضياع الى ان يتسنى نشرها لناشرٍ فتأتي تكملةً لما نطبعه منها .

المؤلف واسرته — المعلم وتلامذته

اسرة البخّاش حلبيّة سريانيّة كاثوليكيّة . اشهر ممثليها في عصرنا المطران جبرائيل ، اسقف خلسيس والوكيل البطريركي في القطر المصري ، ومقامه الاسكندرية ؛ ثم الاب ميخائيل المقيم في مدرسة الشرفة ؛ والخوري اسطفان الوكيل البطريركي في زحلة . والمرحوم نصري بخّاش الموظف سابقاً على عهد

الاتراك ووزير المالية في الدولة السورية ، والمتوفى في بيروت منذ سنوات[1].

سألنا مطالعة سجلات الطائفة في حلب لنعرف تاريخ ميلاد نعوم البخاش ، مؤلف اليومية ، فلم نوفّق الى ذلك لعدم وجود السجلّات ، وراجعنا من الشيوخ معاصرينا من تعرّف الى المؤلف كالسيد مخائيل ثابت الحلبي لنقف على تاريخ وفاته ، فذهب الى القول انها قد حدثت نحو السنة ١٨٧٣ .

على ان اليومية تذكر تاريخ ابتداء السنة الثلاثين من فتح المدرسة (٩ تشرين الاول ١٨٥٦) فاذا افترضنا ان نعوم اخذ يعلّم من نحو السنة العشرين من عمره ، فيكون عمره في سنة ١٨٦٥ التي تنتهي اليها اليومية التي بين يدينا ستين عاماً . واذًا فقد كان من معاصري الادباء الحلبيين انطون صقال (١٨٢٤) ورزق الله

---

١) قصدنا الى زحلة وزرنا الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف المتخصّص في درس اصل الاسر الشرقية ، وسالناه التعليمات عن اسرة البخاش وغيرها ممن يأتي ذكرهم في هذا الكتاب فقال ما حرفيّته : « بيت البخاش اصل جدهم من الهند من قبيلة عربية مسيحية كانوا مشهورين ببخش اللؤلؤ . اي ثقبه لان تجارة اللؤلؤ كانت مشهورة في مناوص الهند فلقبوا بالبخاش . وجدهم كان يسمى بقطر البخاش وتفرعت الاسرة وهي من السريان الكاثوليك وتفرقت في حلب ومرعش ودمشق ومصر وزحلة

والخوري روفائيل بخاش في حلب وضع شجرة العائلة »

وذكر الاستاذ المعلوف علاوة على من ذكرناهم من اسرة البخاش « نصري بك ابن فتح الله كان كاتب السلطان عبد الحميد الخاص . ثم نفي الى ادنه مدة ١٢ سنة ، واقيم من بعدها معاونًا لوالي ازمير ، ومتصرفًا في مرسين ، ومتصرفًا في القدس وتوفي في مرسين نحو ١٩١٣ وله من العمر ٦٢ عامًا ، وترشح ٣ مرات لمتصرفية لبنان » .

وجاء ذكر جرجس البخاش في ص ٣٥ من المجلة البطريركية ١٥ تموز سنة ١٩٣٣ وهو احد الاحد عشر المقتولين في الاضطهاد الذي حدث في حلب سنة ١٨١٨ ، وجاء في المسرة سنة ١٩٢٥ للاب جبرائيل بخاش تفسير انشودة العرس في الشهباء :

« ولك الله يساوي دص دص بروك منيح ها بيبا ها » .

وضبطها بالنقط السرياني والاحرف العربية :

« وخ الله نشاوي دوص دوص دبورخ منيح حبيبا ها » .

وترجمتها : فليوفقك الهي افرح وابتهج فانه قران نعم القران يا احباء هللوا .

وهذه الانشودة هي باقي ما بقي من الشواهد على استعمال اللغة الارامية في البلاد في الزمان الماضي الى ان سادت فيها العربية . ويسوغ لفت النظر اليها في مقدمتنا على « اليومية » فتضاف الى عشرات النكت والحوادث والاخبار الموجودة فيها .

حسون (١٨٢٥) وجبرائيل دلال (١٨٢٦) وفرنسيس المراش (١٨٣٥) وعبد الله المراش (١٨٣٩).

كان للآباء الفرنسيسكان مدرسة قد انشئت منذ عهد بعيد.

وكان في جوار الكنائس لسائر الطوائف الشرقية دور موقوفة لتعليم الاولاد. ولعل البخاش تعلّم في احدى تلك المدارس. لكنه لم يتعلم اكثر من القراءة والكتابة، ولم يتقن العلوم الصرفية والنحوية والبيانية. ومع ذلك فقد قضى حياته في التعليم، واستحق شكر ناشئة زمانه، وزاد على افضاله فضلاً لم يجاره به اديب من ادباء الاساتذة في عصره وهو تأليف اليوميّة.

وعُرف المعلّمُ البخاش بخطّه البديع. والكتاب الذي ننشره عنه شاهد على تناسب الاجزاء في الكتابة واتقان حروفها وتنسيق اشكالها ولك في الصورة التي طبعناها عنه الدليل الواضح. ومن آيات ما كتبه البخاش فاتحة القرآن على حبة الرز، والاشعار التي زيّن بها جدران الدور، وعناوين الصور في الكنائس. وطالما سخّروه بكتابة المكاتيب ورسم الاحرف على الاقمشة الغالية الثمن لتُطرَّز وتُزركش بالحرير الملوّن والمقصّب. ان ذلك الخط البديع يفسر كيف بلغ البخاش الى المنزلة التي احلته من الحلبيين محلاً رفيعاً. ومراجعة اسماء التلامذة المدوّنة في اليومية تبيّن ان اهمّ الاسر الحلبية عهدت الى ذلك الرجل البسيط بتعليم اولادها. وربما جلس بينهم الرجل المتزوج والمرأة ام البنين ليتلقنا القراءة والخط مع اولادهما. اليك اسماء التلامذة الوارد ذكرهم في اليومية مرتبة الترتيب الابجدي، وقد قابلنا مؤخرًا في حلب بينها وبين لوائح اسماء اعضاء الاخويات في دير الآباء اليسوعيين المزدهرة اليوم فالكثير منها موجود في تلك اللوائح فاشرنا اليها بنجمة. وبعض الاسماء ليست في سجل الاخويات. لكن لها ممثلون في يومنا ايضاً، وبعضها اندثر اثرها من الشهباء:

آدم*، ابرص*، ابو خليل، ادلبي*، ارمني، ارميا، اسود*، اسير، الطنجي*، امون، باسيل*، بخاش*، بتراكي، بتهم (?)، براهمشاه*، بردخجي*، برغود، بصال، بطق، بليط، بغدادي، بغدو، بندقي*، بندلي،

تاجر ، تاجر اوغلي ، تركاني* ، توتل ، تيناوي* ، ثابت ، جانجي* ، جد ، جره* ، جليا ، جمل* ، جنبرت* ، جنبير ، جن ، جهامي* ، حاتم ، حجار* ، حجه ، حداد* ، حفار ، حكيم* ، حلاق* ، حمصاني ، حمصي* ، حموي* ، خانجي ، خاطي ، خشفه ، خوري* ، خياط* ، داود اجيك ، دب ، دباغ ، دقاق* ، ديراوزتين ، دير بطرس* ، دير ميكلويل ، رباط* ، ريان ، رحال ، رعد ، زريق ، زلعوم* ، زنكيه ، سالم* ، ساله ، سرور ، سليمان ، سقال* ، سهان ، سوكياس* ، سيوفي* ، شاشاتي* ، شامي* ، شاهين ، شدياق* ، شعراوي ، شقال* ، شمعون ، شماس* ، شهاسيه ، شماع ، شوكتلي ، صاجاتي ، صائغ* ، صعب ، صندوق* ، صوفي ، طحان* ، طرابيشي ، ظاهر ، ظلط* ، عازار* ، عجيي ، عبد المسيح ، عجم* ، عرقتنجي ، عزيزه* ، عزور* ، عكاوي ، عكوش ، عصيني ، غضبان ، غزال ، غزاله ، فتال* ، فجله ، فرا* ، قسيس* ، قصاب ، قندلفت ، كبابه* ، كتابه ، كباج ، كلداني ، كلزي* ، كنيدر ، كوسا ، كوركوريح ، ليان* ، مارون ، مشاطي* ، مشحور* ، معري ، ملتلت ، موصلي* ، ميشيل ، ميليا ، نجار ، هارون ، هزاز ، هلال ، هنديه ، وانيس ، وكيل* ، يعقوب ، يرغاكي .

نعوم البخاش بين الكنائس والبيوت والبساتين

الاخبار الطائفية والحوادث المحلية في عشر سنوات

كان البخّاش يصرف سويعات كل يوم بالتعليم فيشير اليها قائلاً : « قريت » وينصرف عنها الى القيام بواجباته الدينية . فيسمع القداس تارة في كنيسة السريان ، وطورًا عند الموارنة اذا ما اراد التبكير ، فيتفرغ لتلبية دعوة عرس او وليمة او تنزه . ولم يفته الا في النادر حضور الزياح ، وسماع الوعظ مساء الاحد . ولم يكتفِ بذلك بل كان يقيم في بيته مراسيم الشهر المريمي ، وتساعية القديس فرنسيس كسافاريوس ، ويصوم الصيامات بنشاط . فانتخب رئيساً لاخوية المذبان الشهيرة في حلب .

ولم ينسَ ذكر حادث من الحوادث الكنائسية الخطيرة كاتفاق الروم مع سائر الطوائف الكاثوليكية في اتباع الحساب الغريغوري . وافهم بالروم الملكيين

الكاثوليكيين كما يسمونهم في حلب.

وكان المطارين في حلب بين السنة ١٨٥٦ والسنة ١٨٦٥ على الروم الكاثوليك: ديمتريوس انطاكي (١٨٤٣–١٨٦٣). وبعده بولس حاتم (١٨٦٣–١٨٨٥). وعلى السريان يوسف حائك وبعده جرجس شلحت (١٨٦٢–١٨٧٤). وعلى الموارنة يوسف مطر (١٨٥١–١٨٨٢) . واما الارمن فلم يكن عليهم مطران الى ان سيم اسقفاً سنة ١٨٦١ غريغوريوس بليط. فذكرهم نعوم البخّاش في كل فرصة سانحة، وخاصة عند وقوع حادث خطير متصل بحياة الطائفة او في سياسة البلدة.

ولم يتغافل عن المكانة التي ارتقت اليها السلطة القنصلية في ايامه لمّا كان القنصل يُرسل اليسقجي، او الترجمان، الى السجن فيأمر باخلاء سبيل السجين من غير مراجعة الحاكم التركي؛ ولمّا كانت الوفود من مسلمين ومسيحيين يتظلمون الى القنصل من جور الباشا في احتكار القمح وبيعه ١٠٠ غرش الشنبل، ورفعه قيمة الضرائب والمكوس. فجاء كلام البخّاش مصداقاً لما كتبه القنصل الافرنسي گيس في مؤلّفه المعنون حالة سورية السياسية (ص ١٠٢ فما بعدها) قال عن القنصل في البلاد السورية « ان الظروف قد تلجئه الى القضاء والحكم والامر والتأخير، مع كونه اجنبياً فليس له سلاح سوى ذكائه ونفوذ الدولة المنتمي اليها.»

وعلى عهد يوميّة البخّاش كان القناصل الافرنسيون في حلب: يوحنا المعمدان جوفروا (١٨٥١–١٨٥٤)، وادوار گراسه (١٨٥٤–١٨٥٦)، والكونت دي بنتيفوليو (١٨٥٦–١٨٥٩)، وشاتوي دي لافوس (١٨٥٩–١٨٦٣)، وڤيكتور برتران (١٨٦٤–١٨٧٨).

وبين سنة ١٨٥٥ و١٨٦٦ تتابع في حلب الولاة: اشقودره لي مصطفى، والحاج محمد كامل، ورشيد، واسماعيل، وعصمت، وثريا. وهذا الاخير كان اطولهم مدة في الاقامة في وظيفته. وقد احدث في المدينة اصلاحات نال بها الشكر، منها تبليط بعض الطرقات، وادخال العربات (الكروسات)، ومدّ سلك التلغراف، وحماية الصناعة، والعدل في الناس. فوفى البخّاش كلّا منهم

حقه من الذكر .

هي الاخبار والحوادث تناولتها الالسنة ايام لم تكن صحافة سيّارة فعرفت الينا قومة البلدة وقعدتها ؛ وافادتنا عن احوال السكان اذا سافر البريد او بارحت قافلة ، او شُلّحت على الطريق ، او تحرك وفد المسيحيين زوّار دير مار جرجس ، او زوّار الاراضي المقدسة ذهاباً واياباً . ولفت نظرنا الى صغائر ماجريات اليوم كدخول الاحداث من ذكور واناث المدرسة وتلقنهم مبادي القراءة والخط ، الى غير ذلك من الافراح والاتراح ، ايامَ كانت الناس ترتشف كؤوس المسرّات ممزوجة في الاعياد العائلية في خطبة او اكليل او عماد يحتفلون بها طبقاً لتقاليد قديمة ، ولهم من طول الزمان وضيقة نطاق الاشغال الوقت للشورة قبل الخطبة ، والنقش بعد الاكليل ، والعَبرة بعد العرس ، سحابة ايام عديدة مديدة ، يدعون اليها الجيران والاقارب والمعارف ، وفي مقدمتهم المعلم مربّي الاولاد ! وكانت الجماعة المسيحية الحلبية ، على وفرة عددها ، محصورة ضمن عائلات معدودات في احياء محدودة ، موقعها بين الكنائس . فكان للمعلم في ذلك المحيط الضيّق المكانة الرفيعة ، فيدخل البيوت معتماً بعمامته الزرقاء يجرّ البابوش حتى المصطبة ، فينزعه عند عتبة المجلس ، ويصعد فيتصدّر الديوان . فيسمع ، ويسمّع ؛ ويقرأ ويقرّي ؛ ويكتُب ، ويكتِّب .

وفي غضونها كانت الدريهمات تنساب الى جيبه فيجمعها ويصرّها ، ويتاجر بها ، وباب المعاملات مفتوح بفضل قلمه وخطّه البديع ، فيكتب المكاتيب الى بغداد ، ومرسيلية ، وبرّ الاناضول ، ودمشق ، وبيروت ، له ولغيره . فينمو المال بين يديه ، والاصفر الرنان يكنه من كرّ دار على سنوات ثلاث . ولم يحل اهتمامه بتهذيب الناشئة دون معرفته حركة الورق وارتفاع قيمة النقود وسقوطها فالليرة المجيدية تبلغ ١٢٠ غرشاً ، والانكليزية تصعد من ٩٦ غرشاً الى ١٢٧ ويتبعها غيرها من العملة كالمجيدي والقمري والالطي . وبالنسبة اليها تتسعر الحاجيات والكماليات : الحنطة ، والسمن ، والفحم ، والحطب ، والسكر ، والقهوة ، والتبغ ، والاقمشة ، والالبسة .

وقد كتب عنها مدوّناً يوماً بيوم كلّ حدَث جديد ، مما جعل جريدته مرجعاً

في هذه الناحية من الحياة الحلبية على عشر سنوات . وقد اكتفينا الآن بالاشارة الى ذلك ويجده القارئ في موضعه ويومه عند مطالعته المؤلَّف .

اما منتزهات المعلم نعوم فهي بساتين حلب ورياضها المنبسطة على ضفتي القويق نهرها ، وعلى مجرى القناية ، وفي واحة عين التل . لا يكاد يمضي يوم من ايام الاسبوع الّا والمعلم يتحوّل الى صياد السمك والطيور . والعناية التي بذلها في ألاّ يفوته ذكر ضربة ضربها ، او حادث حدث ، خلال صيده دليل على ولعه الغريب بهذا اللهو الذي امتلكه واستعبده .

فغالى وزاد ، واملّنا في تعداده العجين ، والذبابة ، والدودة ، والعلق ، وسائر ما استعمله طعمةً في الصيد ، وعلّمنا اسماء الرقراق ، والبراق ، والمزورق ، والانكليزي ، والشبّوط ، وغيرها من الاسماك ، في باب الجنين ، وبستان الحصرم ، والقطانه ، وبستان الباشا ، والخلاص ، وعبدي افندي ، والشيخ فارس ، وباكر باشا ، والحجازي ، وكزبلا ، وابي الوفى ، والمصلّى ، وابراهيم آغا ، والزقازيق ، وبابازيد ، والقوّاس ، والشيخ طاها ، والشيخ يبرق ، والعويجي ، والقبار ، والريحاوي ، والدباغة ، والوضيحي ، وما وراء باب الله من امكنة بعضها تحوّل في يومنا الى احياء آهلة بالسكان ويكاد اسمها يضيع مع اثرها . فسوف نذكرها مع البخّاش ونعلّق على ذكرها التعليلات التي بلغت الينا عنها .

واهتمّ البخّاش اهتماماً متواصلاً باحوال الجوّ . فارّخ وقوع المطر ، والصحو ، والبرد ، والحرّ ، وربّما اشار الى درجة ميزان الحرّ برقمها ، فوضع مادة لا يستهان بها المقابلة بين انواء زمانه وغيرها .

قد نسمع الشيوخ بيننا يقولون ان المطر كان في ايام شبابهم اغزر منه اليوم في بلادنا ، وها هي اليومية تمكننا من التحقيق في القضية .

لغة البخاش — قيمة الكتاب الادبية

قلنا ان المعلم نعوم البخاش لم يتعلّم اصول اللغة العربية فاهمل قواعد الاملاء وان لغته انما هي اللغة الحلبية الدارجة . وهل من عيب في روايتها على علاّتها ، كما وردت في الجريدة ؟ كلا . وذلك لان النشر العلمي الصحيح يلزم الناشر

رواية الاصل كما خرج من قلم محرره ما لم يكن مانع معقول دونه ، وان اصحاب النهضة الثقافية الحاضرة صاروا يهتمون بدرس اللغات المكانية ، لان من ميزاتها في اللفظ والتركيب ومن المقابلة بينها تتكوّن ميزات اللغة العربية الفصحى في تطورها . فصارت هذه الناحية من نواحي العلوم العربية جزءا من فقه اللغة وتاريخها ، مما دعا بالمستشرقين الى العناية بها وتدوينها لكل بلدة او اقليم من الاقاليم الناطقة بالضاد .

فان راجعت مقال كيفماير في الموسوعة الاسلامية في مادة « العربية » Arabie وجدت صفحات طويلة مكتظة بالتعليقات على اللغات المحلية . واللغة الحلبيّة فيها مختصة بتنبيهات ومراجع عديدة . فقد يكون من نتيجة قصر النظر والجهل احتقار لغة نعوم البخاش وفيها آثار اشبه بتلك النقود التي يكتشفونها في الحفريات وعليها صور الملوك واسماء الآلهة التي شاع ذكرهم في بلادنا ايام استعمال تلك النقود ، فهي لسان حال الزمان الماضي ، وترجمان احواله ، وسند تاريخه .

وان في لغة نعوم البخاش الحلبية الفاظاً تسرّبت في استعمال الناس كالنقود وبعضها من اصل ايطالي كالسكولا ، والنازتا ، وبعضها من اصل افرنسي كالكلاسه ، والبراسولات ، وبعضها من اصل تركي او مشتق اشتقاقاً تركياً كاليسقجي ، والقاطرجي ، او من حدث تاريخي او اجتماعي كالفسافسة والبراصنة الخ ، فسوف ننبه اليها وننفرها في حينها . وذكرها يذكرنا الدول او الحوادث التي تتابعت في الشهباء منذ القرون الماضية الى يومنا . فأمحى او سوف ينمحي اثرهـا الّا في الكلمات التي بقيت في اللغة العاميّة ارثاً من الاقدمين فلمَ نهمل شأنها وهي مدوّنة التدوين القيّم بقلم رجل ثقة !

فسنبقي اذاً لغة البخاش كما هي . وربما صارت هي وحدها الداعي لابقاء المتن الاصلي ، ونشره من غير نقصان ، اذا لم يكن داعٍ لنشره سوى لفت النظر الى الكلمة او الى التركيب في اللغة العامية الحلبيّة .

لقد نوهنا بعيوب اليومية . فانها مجموعة اخبار وحوادث وجيزة . بعضها لا اهمية له ولا رابطة بينها سوى الزمان الذي وقعت فيه وربما أُوخذنا في نشرها وكنا قد فكرنا ان نقتطف منها الاهم ونكتفي بالنزر اليسير . ولكن بعد

نسخ المخطوط رأينا مادته جديرة بالطبع.

اولاً: لانّ المصادر التاريخية الباقية لدينا من ذلك العهد قليلة نادرة. وهذه العشر السنوات التي تشمل حوادثها دفتا المخطوط لا تستغرق الا صحيفات من تاريخ «الطبّاخ» فإن لم يكن لهذه اليومية قيمة الا قيمة السالنامة المفصلة فلا بد من ان نحفظها من الضياع بنشرها. وقد نرى المستشرقين يحرصون على امثالها اشدّ الحرص.

ثانياً: ان في سرد الاعلام تفكهة للحلبيين خاصة، فيتعرفون الى اجدادهم. وفي تدوين الوقائع البسيطة التي اشرنا اليها تسلية لهم في حلب وفي المهجر، فلن يسأموا ذكر نوبة اجقباش وأكل «الكلاسه» بمستحلب البزورات. وسوف يأتي ذلك عند وقوعه مع التعليقات، اخذاً عما اختبرناه شخصياً من حياة مدينة حلب، مسقط رأسنا.

ثالثاً: ان اجتهاد البخّاش في تدوين كل مادة في يومها والمقابلة الاسبوعية بين التاريخ الميلادي والتاريخ الهجري ترفع يوميته الى مكانة تاريخ محكم الحلقات تسهل مراجعته والاستناد اليه اذا أحسن نشره ووضعت له الفهارس، فضلاً عن ان مصدر وقائعه هو الشاهد العيان. من اذا شك في صحة خبر نبّه الى الشك فيه وقال هكذا سمعنا او قال سعدي هذا يكون من الامر، فبيّن مواضع الشك واليقين.

ففي نشره افادة لتاريخ البلاد عامة، ولتاريخ المسيحيين خاصة، فيحلّ محلّاً متواضعاً ولكن جديراً ان يبقى في المكتب في جوار سلسلة ما نشره المرحوم الاب انطون رباط في مجموعة آثاره الافرنسية المعروفة (*Documents Inédits*) وفي ما نشر بعد الحرب الكبرى كالنبذة في حوادث لبنان والشام ١٨٤٠–١٨٦٢ (المشرق سنة ٢٧ لشيخو) وكمذكرة المطران يوسف اروتين (المجلة البطريركية سنة ١٩٣٣ لقرألي) وككتاب شهداء حلب وتاريخ الشام لميخائيل بريك (نشرات المسرة) وتاريخ حوادث الشام لمخائيل الدمشقي الذي نشره الاب لويس معلوف اليسوعي سنة ١٩١٢. على اننا سوف نهمل ما لا نرى افادة من نشره او ما كان فيه ذكر حادث مفجع ماسّ بكرامة بيت من البيوتات

الحلبية المعروفة الحيّة برجالها في يومنا ، ونرسل القارئ الى المخطوط المحفوظ في المكتبة الشرقية ، اذا ما اراد الاطلاع على اليومية بكمالها . وسوف نبيّن في مواضعها التغيّرات المهمة التي نحدثها في الاصل ، ولن نصلح من غلطات الاملاء الا الكبرى وسنحذف التاريخ الشرقي لقلة الفائدة من تكراره اسبوعاً فاسبوعاً . اما التاريخ الهجري فربما خالف بيوم واحد التاريخ الموقّع في سائر البلاد الاسلامية ؛ فلم نصلحه ، ومعلوم ان ذلك الخلاف سببه عدم ضبط الحساب في الأهلّة.

وسوف نترك ايضاً من كل صفحة جزءها الاعلى (راجع صورة المخطوط) وننشر من جزءها الاسفل كل عمود من الاعمدة الثلاثة مع رقم صفحته التي وضعناها له بالمخطوط والعدد ١ يدل على العمود الاول و٢ على العمود الثاني ، و٣ على العمود الثالث فاذا رأيت ٩٣ فافهم من ذلك العمود الثالث من الوجه التاسع من المخطوط .

وربما اتينا على تعليق في المتن ذاته ، فوضعناه بين علامة [ ] او وضعناه في ذيل الوجه طبقاً لما نراه اجابة للمقام . وهذا التعليق يكون من تأليفنا ما لم ننسبه الى غيرنا . ولله الشكر .

المراجع

Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique : Karalevski, *Article Alep*. et Tournebize, *Article Alep, Diocèse Arménien d'Alep*.

Encyclopédie de l'Islam : Sobernheim, *Article Halab*.

Ritter, *Erdkunde*, T 17.

Guys : *Etat Politique de la Syrie*.

منظومة الشيخ وفا : في اوليا. حلب ، مخطوط في المكتبة الشرقية .

شيخو : حلب ونهضة الآداب فيها . المشرق سنة ١٩٠٦ ص ٦٢٩ و٦٩١

قسطاكي الحمصي : ادباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر ، المطبعة المارونية ، بحلب .

راغب الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ٧ مجلدات

كامل الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ، ٣ مجلدات .

منتخبات من يومية نعوم البخّاش الحلبي

من ١٦ كانون الاول ١٨٥٥ الى ٢٧ ايار ١٨٦٥

[١] ـــ الاحد ، رحت عيدت عيد البربارة[١] . ومرفع الميلاد غربي . ومساء [حضرت] زياح [في كنيسة] ارمن . ويومها راحوا على سبوع[٢] بيت الحلاق . وانعزمت للعشا . بيت شكري قصاب وكان عندهم عبرة عروس[٣] ونوبه وتمّينا لبكره س ١٢ عصمليه[٤] . ـــ الاثنين ، قرّيت [الاولاد في المدرسة] . ـــ الثلاثاء ، نيقلاوص درت عيّدت . ورحت بعد الظهر [بستان] الريحاوي . واجا كبابه فتح الله ورجعنا مساء . جبت كرسين[٥] . واهلي انعزموا وراحوا سبوع بيت غزالة الى بيت عبدالله ثابت . وتمّوا[٦] الى الساعة ٢ من الليل [اي بعد غروب الشمس] وراحوا سهروا بيت البطق . ـــ الاربعاء والخميس ، اروح مساويه للصيد . ـــ والخميس ليلة الجمعة انعزمت لعبرة عروس بيت الوكيل وتمّينا الى الساعة ١٢ بالليل فكان آجق باش[٧] . ـــ الجمعة ، حبل حنة والاولاد قلال ورحت الساعة ١ وفتح الله كبابه [الى بستان] الشابندر وبعده [الى بستان] كور مصري وبعده [الى بستان] الحجازي ورجعنا مساء وجبت سمكة واحدة .

---

١) في هذا العيد تصير حفلات عائلية للاولاد يفرحون بها كما يفرح الاولاد الافرنج في عيد مار نقولا .

٢) كانت الاعياد تدوم اسبوعاً عند وقوع حدث خطير في العائلة كقدوم عزيز من السفر او اكليل او ولادة ، فالبيت مفتوح والسفرة ممدودة للزوار .

٣) العروس بعد الاكليل تبقى عند زوجها فاذا خرجت بعد انقضاء الزمان المعين حفت بها الاهلون وزارت الاقارب .

٤) عصليه اي عثمانية او نحو الساعة ٦ صباحاً افرنجية .

٥) كرسين ؟ هل تكون اللفظة افرنسية الاصل cresson وهو نبات يخرج في السواقي فيؤكل ام هو اسم سمك ؟ .

٦) تمّوا اي بقوا .

٧) آجق باش اي مكشوف الرأس وهو زعيم النوباتية وكان جوقه مشهوراً .

وبدينا الرياضة بيت[١] ظاهر الساعة الثانية [بعد الغروب]. — السبت ، رحت صبحية [الى بستان] القبار والماء موحّل شويّ. والساعة ٥ اجا باسيل وفرنسيس وشوكتلي وما قعد ، راح.

– السبت ، في ٢٢ كانون الاول سنة ١٨٥٥ في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٢٧٢

— والاربعاء ، رجع طحّان وتمّ عندي . والسبت شفت بالريحاوي حاجة قرنبيط[٢] مصوّبه وعانشه وجبتها للبيت عايشه وبعده ذبحناها[٣].

[١٣] — الاحد ، رحت للصيد ورجعت الظهر . وبكره[٤] اخذت تتون رطل ٥ سعر ٢٤ ورطل ٥ سعر ١٧ ورطل ٣ سعر ٧ ورطل ٢ سعر ٨ مشروب المنا. وتغديت. ورحنا [الى بستان] العويجي [مع] كبابه ونبليط. — الاثنين ، ما قرّيت. ومساء الريحاوي... وبالسهرة انفشلت اصبعت ايدي. — الثلاثاء ، تغديت بيت كوبا. — الاربعاء ، بيت البطق. — والثلاثاء ، قعدت لوسيا بنت غزاله مع اخوها تقرأ وردت عيدت لوسيا والميلاد. — الخميس ، رجعت مسّدت ايدي عند المسّك وحط هبرة على اصبعتي. — والسبت ، احسن[٥]. وولدت غرة بنت كوبا مراة رزق الله حمصي جابت[٦] بنت.

---

١) يدعون في حلب احد الكهنة الوعاظ الى البيوت فيجتمع فيها الناس المجاورون لسماع الوعظ ولا يتكبدون مشقّة الابتعاد عن حيّهم .

٢) اسم طائر .

٣) لم نحذف الا القليل من وقائع هذا الاسبوع الطفيفة وهو الاول من اليومية وسوف تحاشى تغيير الاصل في الصفحات الاولى ، ما امكننا الامر ليكون القارئ على بيّنة من اسلوب المؤلف ونختصر فيما بعد كل ما نراه فضلةً لا فائدة منها . اما التعليقات المطوّلة فسوف نجمعها في ذيل الكتاب لئلّا تزيد الحواشي في المتن اكثر مما يقتضيه المقام، ولان تلك التعليقات سوف يحتاج اليها القارئ في الكتاب كله خاصةً في تعريف الاعلام وانسابها فالاصلح ان تُطالع في الذيل.

٤) بكره اي صباحاً باكراً .

٥) احسن اي تحسنت حالة اصبعي

٦) اي ولدت .

– السبت ، في ٢٩ كانون الاول ١٨٥٥ في ١٩ ربيع ٢ ١٢٧٢

[١٣] – الاثنين ، عقب[١] السنة وفطرت بيت الضاهر . . . وعيدت باسيلات[٢]. وولدت مراة فرنسيس شوكتلي وجابت بنت. ومسحت ساعة[٣] بيت الضاهر. – الثلاثا ، عندوا بيت سالم [ابنهم] وسموه قسطاكي. – الاربعا ، ولدت مراة يوسف كونلي وجابت بنت. وبنت الهندي مراة فتح الله جنبير جابت بنت. وطحان بدي يكتب ويروح قعد عند بن المرديني. – والثلاثا ، بعد الظهر رحت مع بيت الضاهر وتفرجنا على الفرجه قدام دكان توما زيني عزيه . وبعده رحت بيت الناتوز وابن عمي فتح الله فتح مخزن بخان بيت الناتوز بشراكة ثلاثة معه وبعده رحت [الى حي] الكتّاب عيدت – والاربعا ، قريت ورحت الريحاوي جبت فرخ . – الجمعة ، برد وبرز ووصل درجه اربع البرد . – الثلاثا ، ابتداء سنة ١٨٥٦ سنة مباركة ان اراد الله فايدة[٤] الخيرات ومدرت السرور والبركات .

– السبت ، في ٥ كانون الثاني ١٨٥٦ ، ٢٦ ربيع ٢ ١٢٧٢

وقالوا لي ان اقعد بمدرسة السريان بعلافة[٥] ٢٥٠ والسكنه ونصف علافة الاولاد الذين بأجره ما رضيت يكون معلوم. وكان عندنا ليلة راس السنة خالتي وابنها وانا كنت معزوم بيت الضاهر ورجعت وحدي . – والاثنين ، توفي جرجس بليط الله يرحمه . – والسبت ، [توفي] جرجس مطر ابو المطران يوسف مطر .

[١٤] – الاحد ، الغطاس غربي. الميلاد شرقي. يوم السبت بدي الشليح[٦] والاحد كان ثلج. ودرت عيدت والساعة ٧ قبروا ابو المطران مطر وكان ثلج

١) عقب اي آخر يوم السنة .
٢) باسيلات اي كل من كان اسمه باسيل من الاقارب .
٣) فكان اذن البخاش ساعاتياً ايضاً !
٤) فائضة .
٥) العلافة ما كان يتقاضاه المعلم لمعيشته اليومية .
٦) الشليح اي الجليد .

وطلعوا وراه ببرصولات[١] ، ارمن وسريان وموارنة وافرنج[٢] . — الاثنين ، ثلج وكملنا العيديات . وفطرت عند نعوم عبجي وتغديت بيت البردخجي جات[٣] . وانكسرت قبقابتي[٤] وما وقعت . ومساء رحت للصلاة وكان مار اسطفانس رئيس الشمامسة ووقفت شوي ورحت . — الثلاثا ، الاولاد قلال ورحت مساء القنار قدام السكر[٥] اخذت فرخ مقدار اوقية واحد ورجعت تعشيت بيت المجوري وكان خيري ودلال وصادر . ومساء اكلنا كلاسه[٦] بيت الضاهر بزورات . — الاربعا ، اكلناها بحلب اللوز وكتر[٧] نظمتها . — الخميس ، قعدوا عندي خاجيك واخوه داود المجريين البغادله جابهم نعوم عازار .

— الخميس ، في ١٠ كانون الثاني غربي ١٨٥٦ في ٣ جمادى الاول ١٢٧٢

وصاجاتي نعوم مريض الان وسمعت تاكيد اخذ القرص[٨] الموسكوب من العصلي . وكان [العسكر العثماني] مقدار الف ١٥ : باشي بوزق عده ١٠ ونظام

---

١) برصولات اي شمسيات ، واللفظة دخيلة من Parasol .

٢) لا يزالون في حلب ينمون في المآتم كهنة جميع الطوائف فيزيدون الحفلة فخامة .

٣) جات نوع من الطعام المطبوخ بالفرن وهو في وعاء كبير . ولعل الكلمة أخذت عن الافرنسية jatte وهو نوع من الصحون .

٤) القبقاب مداس من الخشب مركب على دفتين يعلو سطح الارض نحو ١٠ سنتيمترات ويقي الرجل من الوحل والماء في الشتاء .

٥) السكر اي موضع حصر مجرى الماء .

٦) الكلاسه glacé وهي ايضاً لفظة دخيلة وكانوا يصنعون الكلاسه او الدندرمه عند سقوط الثلج . ٧) كتر او كاترين هي اخت المعلم نعوم البخاش .

٨) جاء في تاريخ لافيس ورامبو الافرنسي في المجلد ١١ ص ٢١٦ في حرب القرم : اطلقت المدافع للمرة الاخيرة في اسية الصغرى عند قرص . كان الروس قد حاصروها منذ شهر آب ولم يقوَ عمر باشا على فك حصارها . فألجاته المجاعة الى التسليم في ٢٥ تشرين ٢ . فاستاض المسكوب بذلك النصر شيئاً من كرامته التي فقدها بانكساره . وقبل القيصر ان يدخل بالمحادثة مع خصومه وفتح باب المفاوضات في سبيل الصلح .

وقرص مدينة عدد سكانها يناهز في ايامنا ٢١٠٠٠ وهي قاعدة ولاية قرص الواقعة بين بلاد تفليس شرقاً وارزروم غرباً وبلاد الكرج والبحر الاسود شمالاً وأريفان جنوباً . كانت ملك الاتراك فاحتلها الروس ثم ردوها للاتراك سنة ١٩٢١ . ومنها الخط الحديدي يمتد الى تفليس . وهي في موقع على ملتقى الطرق وفي مركز عسكري خطير

٥. وتضايق [العثمانيون] الجوع جدًا والموسكوب لافت ومحيط من كل جانب [بلدة] القرص. وفضلوا تيترتوا[1] كل نفر من الاهالي والعسكر ١٦ درهم طحين. وصيّروا معدّل على هذا فوجدوا يكفاهم يوم ١٧ ، كل يوم ١٦ درهم طحين. وارسلوا طلبوا مدد العصلي فقالوا لهم : سلّموا . فحال وصول الجواب ارسلوا يقولوا الى مقدام عسكر الموسكوب اسمه قره قوف ان كان يقبل شروطهم فيسلموه القرص والا فيخرجوا دمهُم على كفّهم حتى يقتلوا ويقتلوا وينهبوا . والشروط اولًا يطلقوا المجريّين ، لان بينهم [اي بين المسكوب] وبين النمسا عدونه ، فاذا مسكوهم يقتلوهم. فهؤلاء يطلقهم [المسكوب] ووليم باشا له الحرية ١٠ اراد يروح لا احد يستاسره. وكريم باشا وفرحات باشا يرموا سلاحهم ويسلموه. ففضل القره قوف الشروطات. واخذ معه زخره : بقصمات ولحم ورز وسمن . [ودخل القرص] وفرق على العسكر والاهالي حتى شبعوا وبدوا يخرجوا ويرموا سلاحهم قدام القره قوف ويمشوا. فالباش بوزق اطلقه كلّه ؛ والنظام الف ٥ اخذها واطلق المجريّين واعطى سلاح الباشاوات وخيل لمركوبتهم وعيّن زلم ١٥ لكل باشا لخدمته بعلافتهم وله الحرية اين ما اراد يروح لبلاد الموسكوب ، غير مستاسر. والمذكور طلب ان معه ٢٥ نفر من حكما وتراجمين وكتاب وهؤلاء يطلقوهم . فاجابوه لطلبه وحالًا ركبوهم بكروصه ووصّلوهم لقبل ارزروم ورخوا لهم. ووليم باشا تم بالموسكوب. [وكان] من كثرة جوعهم فضل بطوالة الوردي دواب ٣ والباقي اكلوهم من الجوع واكلوا كلاب وقطاط وجرادين[2] .

[٢] — الاثنين ، مطر. — الثلاثا ، هواء زائد بارد وقريت وكتبت . — الاربعاء ، كان صحو ورحت مساء القبار جبت [قطعة]. — الخميس ، عيد

---

١) فضلوا تيترتوا اي لم يبقَ لهم لسد رمقهم.

٢) من المعلوم ان الحلبيين دخلوا في الجيش العثماني الذي حارب في القرم. ومن المعقول ان يكون البخاش قد استقى هذه التعليمات عن بعضهم عند رجوعهم الى ديارهم.

قال الطباخ في تاريخه ، الجزء الثالث ، ص ٤٤١ : وخرج لحرب القرم من حلب الف وخمسمائة جندي وكان قائد العسكر الحلبي علي بك بن يوسف بك شريف وكان خروجه في ١٠ جمادي الاولى من سنة ١٢٧٠

مار انطانيوس غربي رحت صبحية القبّار . . . وكان بارامون النطاس والاولاد قلال واخت غزاله بطّلت[1] هذه الجمعة .

– الخميس ، في ١٧ كانون الثاني ١٨٥٦ ، في ١٠ جمادى ١ ١٢٧٢

[٢'٣] ــ الاثنين ، اجا بصأل يكتب وكان صحو ورحت ساويه القبار . ــ الثلاثا ، غيم شفاف . ــ الاربعا ، غيم شفاف ومطر قليل . ــ الخميس ، مطر نخناخ . ــ الجمعة كان بيان بولس[2] . وكسحنا الداليه وركبنا لوح بلور ٣ وليله مطر وافر وبكره غيم وهوا . وبعده مطر وبعده غيم بعد الظهر وبعده ضوّت وبعده شمس مطر نخناخ وبالليل ملبّده . ــ السبت ، ضباب وبرد وهوا . وغيم ومطر نخناخ . واجا الباشا باشة حلب[3] حمدي باشا . ــ والجمعة سافر اسماعيل[4] باشا . وتفرجت عليه من الشابندر[5] واجى الساعة ٤ وكنت نائم الصبحية بالشابندر وما جبت شي .

– السبت في ٢٦ ك٢ ١٨٥٦ ، في ١٩ جمادى ١ ١٢٧٢

واخذت لاختي مريم طاقة شامية سعر ١١٨ وردي ملبوس العافية ونجّرنا صندوقة ٢ بن خالتي وكسحنا الدالية وانعزمنا بيت البطق للغدا وكسحت النسرين يوم الاثنين الجمعة التي بعدها .

[٣'١] ــ الاحد ، مطر ودرت بالصايح[6] وتغديت وكرزه[7] بيت البطق ،

١) بطّلت اي تركت المدرسة.   ٢) عيد اهتداء القديس بولس.

٣) في قوله باشة حلب اراد « الوالي » مميزاً بينه وبين غيره من الباشاوات.

٤) ترجم « الطباخ » (٣ : ٤٤٢) لاسماعيل رحمي باشا وثيقةً رفعها اسماعيل للاستانة بين فيها انحطاط المعارف في حلب وضرورة انشاء مدرسة رشدية فيها ، وكلامه يؤيّد ما قلناه في المقدمة.

٥) كان « باشة » حلب يدخل ويخرج باجة وعظمة فيمر بالجميلية ثم على جسر الناعورة وهناك بستان الشابندر يقف فيه الناس للفرجة . فتمر العساكر وعليها تخفق الاعلام وتتقدمها موسيقى الجيش العثماني.

٦) الصايح في عرف الحلبيين الحي والنفظة مشتقة من صاح ، ولعلها في اصل استعمالها تفيد الازقة التي فيها يصيحون وينادون ليجذبوا الزبائن . وهي الواقعة بين السويقة وزقاق الاربعين والجديدة.

٧) كرزه اخت المؤلف.

عزبة ومساء زيارة [كنيسة] ارمن. ومساء سهرنا بيت الضاهر ولعبنا عمي عيش[١] وكان عتهم نعوم ضاهر. — الاثنين ، كان مطر ونزلنا التفاح بالصناديق وربطوا الداليه اولاد حاج طاها [البستاني] . — الثلاثا ، مار انطانيوس شرقي درت عيدت. — الاربعاء ، مطر وقريت وركبوا فوق عواميد الهيكل الركايز [في كنيسة السريان بعد احراقها سنة ١٨٥٠]. — الخميس ، السكاره[٢] فتحت وسكرت مثل العادة. انعزمنا كلنا بيت كوبا للمرفع الاحد وليل الخميس سهرنا بيت الضاهر للساعة ٨ ونصف ولعبنا بالورق دق[٣] ٢٦ ودقونا[٤] كلهم وتوفي بن عمي جرجي بخاش بخائيل موت الغفلة الله ينجينا ويرحمه. — الجمعة ، مات بن فيروز اسطفان الله يرحمه هـذا وابوه صاروا كاثوليكيه من مدة والان مات كاثوليكي.

– الجمعة ، في ١ شباط ١٨٥٦، في ٢٤ جمادى الاول ١٢٧٢

— والسبت ، ماتت مرات التيناوي. — والجمعة ، رحت صبحية ومساء النهر زايد وموحّل وطالعت سلّال ٢ وقبوضي من القبار من الظهر للعصر. — الاربعا ، تعشيت بيت الضـاهر واجا لهم صحارة[٥] برتقال من انطاكية واضافوني [برتقالة] ٢. — السبت ، سمعان الشيخ كان مطر ما رحت مكان.

[٣] — الاحد ، انعزمنا بيت كوبا للمرفع من بكره كلنا ورحنا الساعة خمسة وفطرنا وتغدينا وقتها ورحنا دورة مشو الشيخ طاها وصفّينا بالقبار[٦] عند اول عراف وكان لويس وجبرا اجيرهم. — الاثنين ، صلاة الشوبقونو[٧] وصمت وان اراد الله بكمل وقعد عندي بن فرنسيس شوكتلي. — الثلاثا ، اجا يكتب

١) عمي عيش اللعب المعروف عند الافرنج Colin Maillard

٢) يخرج فيه الناس فيتنزهون في البساتين. وربما شرب بعضهم المدام فسكروا فنسب اسم ذلك اليوم اليهم وهو واقع قبل الاسبوع الاول من الصوم.

٣) دق اي دور. ٤) غلبونا.

٥) صندوقة.

٦) صفّينا اي انتهى بنا السير الى بستان القبار.

٧) شوبقونو اللفظة سريانية ومعناها الغفران.

بن حجه وراحوا يقلّبوا[1] عروس لابن عمي فتح الله امه ومرة الناتوز فريده وكرزه اختي.ــ الخميس ، تغيّر الدنو وصار غيم ، وماء النهر موحّل ومـا في سمك ، ورحت ، غير قبوضيّات ما في. وكل ليلة اروح.

ــ السبت في ٩ شباط ١٨٥٦، في ٣ جمادى ٢ ١٢٧٢

وكان [عيد] مـار افرام سريان وموارنة مار مارون.

[٣] ــ الاحد ، كز سريان. ــ الاثنين ، كتبت [الاولاد في المدرسة] ــ الثلاثا ، رحت صبحية الشابندر جبت ١ تريس (؟) بالعجين وما قريت. ــ الاربعاء ، سمعت ان تجمعوا اهل الصايح كبارهم ورتبوا بان لا احد يطلع يسهر بلا ضو او فنر[2] والذي يخرج بلا فنر يؤدّبوه. وختموا كلّهم. لان قبل ليله شافوا واحد دخل بيت ما هم قرابه له فربطوا الباب بجبله من خارج وتركوه وموجود حتى اجو الرجال من السهره شافوه وخجل كثير الله ينجينا... وكنيسة السريان عمال يصيروا قبة الهيكل الوسطاني وما خلصت. وختمت بان يصير برجب الورقة والدفتر وطلعت الترابيه[3]. وخبّروا عن صلح [في حرب القرم] ورفع السلاح شهر ٣ هكذا من الطرفين ورواح ومجي. عند بعضهم.

[٤] ــ الاحد ، رحت [بستان] القطانه مع الياس حومي .. حوك [الصنارة] ورجعنا باب الجنين وبعـده العويجي وجبنا زروبات ٥ ورجعت للصلاة عنـد السريان وبدو تبليط الخورس رخـام يكون مصنوع ــ الاثنين ، اجا زهورات للباشا ان يكتب عسكر باللاشي يوزق بغروش هكذا سمعنا. وطلبوا الترابيه. وتقاتل سالمه ونقولاكي جامي وقلعت[4] سانه [من المدرسة].ــ الاربعا ، اجا ريقا زلت عجوري... كتبت ورقة وحول ٣٠٠ لـوسان مخزوم اخت الخانم مراة خوري جرجس صباغ ولم قبضت الدراهم الان. ــ الجمعة ، درب الصليب عندنا اي السريان.

---

١) يقلّبوا اي ينظروا هل هي موافقة فيطلبوها للزواج.

٢) لم تكن البلدية قد تنظمت بعد لتهتم بشؤون تنوير البلد في الليل.

٣) الترابية اي الضريبة على الاملاك. ٤) قلعت اي طردت.

– السبت ، في ٢٣ شباط ١٨٥٦ ، في ١٧ جمادى الثاني ١٢٧٢

وسمعت ان سلطان النسا وسلطان الموسكوب رايحين الى عند نابليون سلطان فرنسا بباريز لاجل عقد الصلح هكذا سمعت من الكازيتا.

[٤٢] – الاحد ، جبت فرخ ١ براق من [بستان] الزقازيق. – الاثنين ، بديو يبلطوا الخورس بالنصف رخام وقبّة الهيكل ما خلصت، [في كنيسة السريان] – الثلاثا ، صارت جمعية عند يوسف بك[1] يوسف باشا . [فاجتمع] الروسا. وكذّبوا مطران الموارنة[2] وطلع تزته من الباشا وما هو شي. مناسب ، الله يسترنا. – الاربعا والخميس والجمعة والسبت ، برد وافر زايد كثير وثلج ولاجل البرد ما قدرت اروح [الى الصيد] غير الاثنين والسبت وجبت درهم ٢٠ اليومين – والاثنين والثلاثا ، مطر وافر مبحبح. – والجمعة ، ودّيت الحساب لجرجي ضاهر ووصلني ٤٠ غرش من يعقوب خلعة ما رضيت رجعتهم لعمته.

– السبت ١ اذار غربي ١٨٥٦، في ٢٤ جمادى الثاني ١٢٧٢

وولدت سوسه دلال مراة يوسف حمصي وجابت بنت.

[٤٣] الثلاثا ، بديت مراة فرنسيس شوكتلي تقرا وتكتب [في المدرسة] وسمعنا مات مخائيل دياربكرلي بدياربكر الله يرحمه. – الخميس السكاره ، روم ، وصار حبة ثلج بعد الشمس ونهارها جايه القنصل الفرنساوي ، ويومها معزومين الروسا. والتجار لقراءة فرمان جايه من عبد المجيد عن التساوي [بين] النصاره واليهود والاسلام سوا ما في فرق بينهم غير الديانة وحاوى ١٣ او ١٧ بند لقد نعرف ان ساكوا بوجبه. والخراج بطّال وشهادة اليهودي والنصراني تسلك على المسلم. وتونصل الفرنساوي الذي اجا اسمه بنتيفوليو والذي قبله

---

١) كذا . ولعل يوسف بك قائد الجنود الحلبيين الـ١٥٠٠ الذين اشتركوا في حرب القرم في مصاف الجيش العثماني. راجع الطباخ: اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء. الجزء ٣ ص ٤٤١ .

٢) المطران يوسف مطر المولود سنة ١٨١٤ ، المرسوم كاهنًا سنة ١٨٣٨ واسقفًا على موارنة حلب في سنة ١٨٥١

وانعزل موسى كراسه. بديت رياضة مار فرنسيس[١] عندنا وعند بيت الياس ضاهر الله يتقبل.

[٥^١] الاحد ، مرفع الروم تغديت بيت الدلال جات جاج وشوربه ومساء صار مطر وكز سريان.

— والاثنين ابتداء صوم الكبير روم في ١٧ اذار ١٨٥٦، في ٣ رجب ١٢٧٢

وسافر فتح الله عبجي الى عينتوره وقعد عندي تيناوي وغزال وحصاني ووصلني خلعة نصر الله دلال ٤٥ جوخ وتفصيلة بزمك لكرزه اختي ومنديله لفافه وخلعة فرنسيس ضاهر جوخ دراع ٤ ٣/٤ ... ومن يعقوب خلعه ليره انكليزيه ٩٩ غرش من والدته. — السبت ، خلصوا المستقرضات[٢] وبطق مرض الاربعا. هزة الحيط الله يشفيه. — الجمعة ، ولدت مراة فرنسيس عجوري جابت بنت. — الاربعا ، انتهت رياضة مار فرنسيس كسفاريوس عندنا وايضاً بيت الضاهر انتهت وعمال يغلقوا[٣] قبة الهيكل الوسطاني بكنيسة السريان وخلص الخوروس وبديو بتبليط السباط بركه قدام هيكل الوسطاني.

[٥^٢] — الاحد ، تغدينا ورحنا بعد الظهر [مع] كبابه وبليط وجهامي الى [بستان] بيازيد[٤] وكانوا عمال يقطعوا اشجار من العويجي من طرف النهر، ردار. وقالوا مطلوب الف ٦ سمر[٥] للدواب لاجل الانكليز. ... — الاثنين ، تفرجنا على خال مركوبلي مات وقبروه الله يرحمه. — الخميس ، بعد الظهر رحت الغسول واخذت الولاد. — الجمعة ، رحت الجناز. — السبت ، البشائر [او سبت

١) هي تساعية مار فرنسيس كسفاريوس حفظها الحلبيون عن الاباء اليسوعيين قبل الغاء الرهبانية اليسوعية في اواخر القرن الثامن عشر، ومارسوها في غياب المرسلين اليسوعيين لان هؤلاء لم يرجعوا الى حلب الا سنة ١٨٧٣ (راجع تاريخ ارسالية الآباء اليسوعيين في سورية للاب جوليان ٢ : ١٧٢).

٢) المستقرضات هي الايام التي يستقرضها شباط من اذار.

٣) يغلقوا اي يسدوا

٤) عند الناعورة ، قبلي قبة الشيخ سراج الدين في زاوية الاطاني « دفن فيها الشيخ بايزيد من الكرام الاوليا، معدود »

٥) سمر هو شجر له شوك.

النور] والاولاد تـلال ورحت القبار والريحاوي[1] وما جبت شي. ورجعت [حضرت] قداس العصر. وخلصتْ قبة الهيكل الوسطاني هذه الجمعة وبلا صليب براسها حطوا واحد عياره لحين ما يركبوه ويصيروه. وجابت صبي مراة نعوم عبجي وسموه رزق الله.

– الاحد ، عيد الكبير غربي في ٢٣ اذار ١٨٥٦، في ١٧ رجب ١٢٧٢

ودرت عيدت وشلحت الفروه وكان هوا بارد. ــ الاثنين، رجعت لبستها... سافر مطران يوسف مطر مطران الموارنة ومعه قس لويس حكيم الى الجبل لان بده يصير مجمع عند البطرك. وتوفت مدول اجيرتنا. بنت بنت عمتي جابت صبي وماتت هي واياه الله يرحمها... ــ والسبت ، سمعنا ان بمصر كتبوا نظام ٤٠ الف ومنهم الاي نصاره الف ٤ بيرالاي ويوزباشيه واون باشيه وكلهم نصارى هكذا سمعنا. ــ الجمعة ، ولدت مراة دير اروتين وجابت بنت.

[٦[1]] ــ الثلاثاء ، ولدت مراة نصري خوري وجابت بنت. وسمعنا ان الصلح تم وارسل عبد المجيد ظهورات بطلب الباشي بوزق ١٥٠٠ الذين طلبهم سابقاً. ــ الجمعة ، وصلني خلعة عبدالله وكيل طاقة برصلي[2] بلفافه منديله.

– السبت ، في ٥ نيسان ١٨٥٦ ، في ٣٠ رجب ١٢٧٢

واولها الاحد انخطبت بنت صندوق بنت هيلانه الى ابن الحجار والاثنين انفكت هم فكوها.

[٦[2]] ــ الاحد ، ذبحنا طيور قوال ٣ وبعد الظهر [لعبنا] طاولة بيت سالم. ــ الخميس ، رحت جسر العويجي وبيت بارك [الانكليزي] واضافوني خسات ٣ وولدت مرات الخياط جارتنا وجابت صبي ونهارها صيروا قداس وزياح بالشياني [في كنيسة الفرنسيسكان] وراحوا كل الفرنساويه. وبعد القداس صار دعا لنابوليون سلطان الفرنساويه لان المذكور اجاله ولد ذكر وضربوا له طواب

١) جاء ذكره في منظومة الشيخ وفاء في اولياء حلب قال :

والفاضل المحترم الريحاوي بستانه المنترهات حاوي

٢) شغل مدينة برصه.

عدة ١٠١ وبعده صار بالو عند الفرنساويه. وكان باشة حلب والفريق وعلي باشا وموزيقه واجق باش. وصار فنطزيه عظيمه. وبديو يزينوا الشيخ يبرق لان بده الباشا يصير بالو بالشيخ يبرق[1] ويزقفه قماش والذين عمال يزينوه الكمركجي ورزق الله عجوري والذين يجيبوا اللوازم فيليب كوسا والياس انطون وبرتيه[2] وعمال ينظموا الشيخ يبرق. — الجمعة ، ودعت سركياس لان المذكور رايح للقدس ومعه العيله وسخروني بمكتوب الى مخائيل انطاكي. — الخميس راح جرجي ضاهر من طرف القونصل [يحمل] خبر الى الباشا رسمياً انه صار صلح وذكر اسمه في التذكره قونصل المسكوب واخذ جرجي ضاهر من الباشا علبة ذهب.

– والتاريخ السبت في ١٢ نيسان غربي ١٨٥٦

واختمت الشروط بين الدول في ٢٧ اذار غربي هكذا سمعنا. وبعد نعرف عما يجد ويومها ضرب الباشا طواب لاجل خبرية الصلح. واروني بيت اليان حمصي كتاب كتابة طرابلوس بعقد وهو كتاب قانون كنائسي يخصهم.

---

١) الشيخ يبرق مقام في حي الشيخ ابي بكر. كان مزاراً . وقد ذكره ابو الوفاء في منظومته فقال (ص ١٢ من المخطوط)

والشيخ يبرق الرفيع القدرِ وهو براق عند من لا يدري
رباطه فيه مقار المرضى يمرض حالهم مناماً عرضاً
يبيت فيه ازمن العليلُ ياتيه ليلا هاتفٌ دليل
يقول يا هذا دواك في كذا فافعل لما قلت يزل عنك الاذى
بالقرب من رباطه قد دفنا مَنْ امهُ فخر النسا وارتحنا
ذكره ابن الحنبلي في سفره في العلما منوهاً بقدره

ولما كان مقام الشيخ يبرق شرحاً صالحاً للترعة صار الناس يقصدون اليه لا للصلاة ولكن لترويح النفس فيأكلون ويشربون ونظموا الاغاني على اسمه فقالوا :

جاني بالشيخ يبرق جاني وحوله كبه بصواني
جايب معه كبه بكشك بتقلي زي النيرانِ
شحكيلك عن المالبق اكلن بالبصل بليق
والباعن يبلى بتمليق رايح يقطع مصراني » .

٢) برتيه. استعمل المعلم البخاش العلامة السريانية للكسر القصير دليلاً على اللفظة الافرنسية é.

[٦ٓ] ـــ الاحد ، رحت الى [بستان] الدباغة وكان فتح الله كبابه وما طالعت شي. وفتحوا بجنينة القطانه قهوة وقطعوا الجنينة بجيط... ورحنا [بستان] الناعوره [وبستان] المصلي... وكان زينه بالبلد يوم وليله ـــ الاثنين والثلاثا والاربعا ، داروا اوراق عزيمه للبالو بالشيخ يبرق للتجار والافرنج. ويختم قومسيون فرد ختم جمعية وانا تفرجت من بيت الضاهر من السطوح على الحراقة والقتاش وانصرفوا الناس الساعة ٥ والنصف عصليّة وانجمعوا الساعة ١١ من النهار وشكرالله قرأليِ وقع وداسته البغلة وفصدوه. وسمعنا ان اناس تجاوزوا الحدود اي راحوا لغير مكان المعيّن الذي لهم بالشيخ يبرق . قلعوهم . واناس دركاوهم واناس ضربوهم كفوف. ـــ الخميس، اجا خبر من اهل مرعش حرقوا الانكليزي الذي عندهم موجود لاجل مهات الانكليز واولاده وبناته وامراته لماذا لا نعلم بعد نعرف. وهيكل الوسطاني اليوم خاص [في كنيسة السريان] وسطانيه بركة سماط نواعم.

– والتاريخ السبت في ١٩ نيسان ١٨٥٦ ، في ١٤ شعبان ١٢٧٢

[٧ٓ] ـــ الثلاثا ، سمعنا ان نابلوس قاموا على الافرنج ومرادهم قتل القناصل فركضوا ولحقوا المراكب وكسروا اهل البلد بنديريتهم وقالوا ان ازمير ايضاً قتلوا واحد جنناز وبعض فرنساويه والله ينجينا من شر هذه السنة. ـــ الخميس ، الاولاد وقلال رحت صبحية الريحاوي وتلاقيت مع مراة كوبا وبناتها ولوسيا واولادها ولويس وفطرت معهم قديد ورز بعسل وحليب ورجعت. وسمعت طلب الياكوسا بنت الياس اسيون اخت مراة الياس ضاهر.

– الخميس التاريخ في ٢٤ نيسان غ ١٨٥٦، في ١٩ شعبان ١٢٧٢ .

واسلام بلدتنا مزربنين[١] الله اكبر منهم.

– الاحد، عيد الكبير غربي في ٢٧ نيسان ١٨٥٦، في ٢٢ شعبان ١٢٧٢

[٧ٓ] وردت عيدت وتغديت جات بيت غزاله وصار وقتها بخة مطر وبعده عيدت. ـــ الاربعا ، اجا انطون فرقوعه من مصر وحده فطرنا شعيبات

١) مزربنين اي يبسون بوجهنا كانهم يضرون لنا شرًّا.

بالبيت عندنا. — الخميس ، الصعود غربي وردت بالصائح وتغدوا عندنا بنات اختي لوسياء وبناتها ومراة ابن عمي يوسف وابنها ويومها كان الناطور ناظم [نزهة] بستان للتجار [بستان] ابراهيم اغا وكان نوبة اجق باش. — الاربعا ، بديت رياضة شهر المريمي عندنا بالبيت. — اولها سافروا الزوار لدير مار جرجس وراحت مراة انطون حموي وبنتها وانطانيوس عازار ايضاً وراح مقدار صناعيه ٥٠٠ للدير... تعد عندي حمصاني وابن دير ميكائيل كتابه وبطلت سوسه [من المدرسة] لان قريب نقشها. — الجمعة ، ارسلت مكتوب لانطانيوس لادنه.

[٧^أ] — الاثنين ، جاورپوس روم والاولاد قلال وردت عيدت. — الثلاثا ، قريت وكتبت. — الجمعة ، ولدت بنت عجوري غرة مراة رعد وجابت صبي. — الخميس، بالليل اخذوا جحش بن صندوق ونهبوا دكان الصايغه قالوا مقدار ٢ الف غرش والاتان ٧٠٠ وما نعرف من هو الذي نهب

– والتاريخ السبت في ١٠ ايار ١٨٥٦، في ٦ رمضان ١٢٧٢

[٨^أ] الاحد رحنا بستان القواس... وضربنا ترغل ١ وسك انكليزيات٣ — الاربعا ، اجوا ازوار واجوا اولاد البردخجي نعوم وعبدالله وشكر الله من برصه وسلمت عليهم وتمشيت عندهم. — الخميس ، سلّمت على عازار ومراة انطون حموي واجا بن نجم خال الاولاد البردخجي وصار لـه زمان مسافر. — السبت ، صبحت عيني عمال ترجمني ووصف الحكيم ماء بارد وقال حماوه. واكلت درهم ٠٩ معجون الورد الله يعطي الشفى ان كان يتمجد اسمه الكريم.

– السبت في ١٧ ايار ١٨٥٦، في ١٣ رمضان ١٢٧٢

— والاثنين ، اجا ابو تركماني من ادنه. — الخميس ، تصالحوا بيت الظاهر مع بيت مخائيل صايغ يكون معلوم. — والسبت ، دفعت للحكيم الجد الصغير ١١ [غرشاً].

[٨^ب] — الاربعا ، اجا يوسف حجه من ازمير — والخميس سقيت تنينة(١)

---

١) كان بعض الطبيبين يقصدون لدواء اخترعوه او حفظوا سر تركيبه فيسقونه للرعبة او غير ذلك.

الى نيقولاكي من بيت قرألي.

– السبت ، في ٢٦ ايار غربي ١٨٥٦ ، في ٢٠ رمضان ١٢٧٢

وانعزمنا ليلة الاحد بيت البطق بالو ما رحنا وكان قونصل الفرنساوي ونوبة اجق باش.

[٨^٢] — الاحد ، رحنا بستان القواس واولاد الضاهر وعجوري وثابت واخذت انكليزيات وبياضه وهم اصطادوا ترغل وسمرمر ومساء قلينا وشوينا. — الثلاثا ، اجا سوكياس من القدس واجوا بيت اسكندر البغادله واجا قسيس موصلاوي من مدرسة رومية ابن البتي اخو يوسف بني. . . — الخميس ، اخر زياحات عيد الجسد وكان مطر كل النهار مطر وافر وبرق ورعد. — والجمعة ، عيد قلب يسوع وانتها. شهر المريمي.

والسبت في ٣١ ايار غ ١٨٥٦ ، في ٢٧ رمضان ١٢٧٢

واجانا جبنه من عند صلابا رطل ٦ سعر ٨ ونصف وبعثت الحساب الى جارنا نعوم سالم. وكان عرس انطون كردي.

[٩^١] الخميس اجا عسكر خياله مقدار ٨٠٠ من ارزلوم وانعزمت لمشورة مدول ضاهر من انطوناكي وقلت ان اراد الله اروح. — السبت ، انعزمت لبيت الوكيل عبرت عروس بن يوسف رباط وقلت ان اراد الله اروح.

– وكان التاريخ في ٣٠ آب غربي ١٨٥٦، في ٢٩ ذو الحجة ١٢٧٢

[٩^٢] — الاحد ، كنت سيران بالليل بيت الوكيل لبكره وكان عبرة امراة بن يوسف رباط وصليت الاولى عند الموارنة ورحت صبحية [عند] باب الجنين [للصيد] ورحت الساعة ٣ وقت الظهر وبعد الظهر رحت مشورة مدول ضاهر وسمعت ان نصرالله دلال كان عمال يلعب بالطاولة ام بالضامة فنزل عليه نزل وانفشل فمه وارتعبوا اهل بيتهم وما راحو لمشورة ابن بطرس جمجي وانا رحت قبل المغرب شرفت[1] عليه. شي. مبين الله ينجينا . — الثلاثا ، رحت

١) شرفت عليه : اي عدته .

وحدي للصيد الى بستان الشيخ طاها وضربت بالتفنكه التي لبكري شيخ البستانيه وما جبت شي.. ـــ الاربعا ، اخذت تتن بستاني رطل ٥ سعر ١٢

— السبت في ٦ ايلول غربي ١٨٥٦ ، في ٧ محرم ١٢٧٣

ـــ الجمعة ، اجا عسكر مقدار الف واحد هكذا سمعت والخميس جابت صبي مراة حنا دير اروتين.

[٩^٢] الخميس كنت معزوم بيت نعوم ضاهر لعبرة مدول بنت اخوه ورحت س ٨ وتمينا للثلاثة عصليه. وجاب جبرا فستق رطل ٣ سعر ٦ والنصف.

— السبت التاريخ في ١٣ ايلول غربي ١٨٥٦ في ١٤ محرم ١٢٧٣

ـــ والاربعا ، جابت صبي مرات نقولا هلال بنت زمريا. ـــ والاثنين ، مراة فتح الله بطق صبي . ـــ والسبت ، توفت مراة حنا صايغ ام مخائيل وجبرائيل الله يرحمها. واجا نصرالله خوري من بيروت. ـــ الثلاثا والاربعا ، اخذ الحساب الياس جامي لابوه.

[١٠^١] راحوا اهلي بيت نعوم سالم كان نوبة اجق باش وانعزمنا الى نقشة مدول بنت الياس ضاهر.

— السبت في ٢٠ ايلول ١٨٥٦، في ٢١ محرم ١٢٧٣

ان شاء الله سنة مباركة.

[١٠^٢] ـــ الاحد ، ماتت بنت يغمور مراة بن يهنا عروسة سنة.

ـــ الخميس ، سمعنا مات بطرس بأزاوغلي الله يرحمه بديار بكر او بالموصل.

ـــ الجمعة ، جبنا عنب صندوقه ٢ غرش ١٠٧ وكبسناه عرق ان اراد الله تعالى مشروب الهنا والسرور.

— السبت في ٢٧ ايلول ١٨٥٦، في ٢٨ محرم ١٢٧٣

وكتبت مكتوبين لادنه ومرسيليا وطلع يوسف قاق من عند اهله وافترق منهم. ورفعوا حيط بين كور مصري. والشابندر لان اشتراه مشوكه (؟) بن الياهو بجوت.

[١٠^٢] ــ الاحد ، انعزمنا كلنا لعاد ابن البطق وراحوا اخواتي وانا رحت لسبوع بنت الحمصي وانبسطنا وكان الاچي باش. ــ الاثنين ، سبوع النسوان وراحوا اخواتي معهم للسبوع ورجعوا س ٥ من الليل.

– السبت في ٤ ت الاول ١٨٥٦، في ١ صفر ١٢٧٣

وسافر الاحد اولها فتح الله كبابه الى سعرت مع الشماس عبوش الله يكون معه. وفتح الله بن نعوم غزاله مريض الله يشفيه . ــ الخميس ، كتبت عرضحال الى حنا نعمان الى ادوار بارك [الانكليزي]. ــ الاربعا ، توفي الشماس انطون شماع الله يرحمه في ١٩ ايلول. والسبت صار حريق بيت المطران الموارنة بيت مطر واحترق مربع وناموسيه ولبش المربع وكانت مراة اخو المطران بالناموسيه وجايبة بنت قبل يومين ثلاث وارتعبت وهي بنت ضوناتو انطون.

[١١^١] ــ الاثنين ، مطره وافره رعد وبرق وصعقات. ــ الخميس توفت مراة دير اروتين الأم. ــ الجمعة مسا: عيدت خاريطون.

– في ٩ ت الاول ١٨٥٦، في ١٠ صفر ١٢٧٣

انتهى ٢٩ وابتدا ٣٠ سنة لافتتاحي المكتب ان اراد الله ينجينا لامثالها بجاه اسمه العظيم. ... سافر شكر الله بردخجي الى بحر الاسود يوم المطر. وانا انعزمت ... ١٠٠ ... يوم الاحد ومعي خواتي بعد الظهر واوعدت ان عشت اروح.

[١١^٣] الاحد ، ويومها سافروا يوسف شوكتلي الى اسكندرونه مصر ومتى شكر الله تتون في البلاد ومراته معه للدوره والتنزه والقس موسى معلم مدرسة التي للموارنة[١] . ــ الخميس ، توفت مراة انطون خاطي اخت اليان ضاهر. ــ الجمعة . توفت سوسه بنت رزق الله حمصي امها بنت كوبا عمرها ١٤ مرضت يوم واحد وماتت صبية الله يرحمها . وماتت بنت الياس بخاش صبية الله يرحمها.

---

١) مدرسة الموارنة نقلها المطران يوسف مطر وكان من معلميها جرجس زوين والخوري موسى كرم والقس انطون معوض والقس اوغسطين عازار وغيرهم. راجع ترجمة المطران يوسف مطر في كتاب برنامج اخوية القديس مارون ليوسف خنار غانم، ص ٢١١

– السبت ، في ١٨ ت ١ ١٨٥٦ ، في ١٩ صفر ١٢٧٣

[١١٢] ــ الاحد ، عرس بن عيواظ لابن بنة جبرا زرزور. ــ الاثنين ، سافر فتح الله بليط ومعه واحد اخر حتى يلحقوا بولاكي الرومي انكسر وغط المذكور عليه دين للبليطماية الف ولعبدالله باسيل ٣٤ الف ولبيت غيرهم الف ٣٠ ولعبدالله ثابت الف ٣١ الله ينجينا من التلغبص[1]

– السبت في ٢٥ ت الاول ١٨٥٦، في ٢٦ صفر ١٢٧٣

ــ والسبت ، كتبت مكتوب وارسلت لاجل مساوق القطن بولسه ليره مجيديه ١٠٠ من كركور سيوفي وبديوا بالديوان[2] وكيل مخائيل وخشنه وبراهمشاه من الثلاثا.

[١٢١] ــ الخميس ، كتبت مكتوب لادنه بارسال القطن الى سلامبول لانطانيوس بن اختي.

– والسبت في ١ ت ت ١٨٥٦، في ٣ ربيع الاول ١٢٧٣

– والسبت ، رحنا جسر الحجاج وكان الحجاج جاين وضرب تفنك. ــ والجمعة ، واحد نمساوي واجه الباشا وراح شيخ بيرق ضربوا له طواب عده ١٢ واجت من اللاذقية برباره ليان وتكلل الياكوسا . ــ السبت جميع القديسين غ [حساب غربي] على بنت الياس اسيون مدول.

[١٢٢] ــ الاثنين ، بديت تقرا مدول حمصي وتكتب وروظه مرات نصري شوكتلي بديت تقرا.

– والجمعة التاريخ في ٧ ت ت غربي ١٨٥٦، في ٩ ربيع الاول ١٢٧٣

واجت برباره اليان من اللاذقية وشوي مريضه . ــ والسبت ، حرقت الفتر بيت سيان.

[١٢٣] الاثنين ، ماتت ام نعوم صاجاتي اخت البطق انطون. ــ الاربعا ،

١) التلغبص اي عدم الترتيب في الشغل.
٢) ديوان المتوري نقولاكي الصايغ او جرمانوس فرحات.

اجت مراة مخائيل انطاكي من اسكندرونه وبنتها التي اخذها ملحم . والاحد مساء سلمت على بربارة ليان وارسلنا مكتوب لادنه لاجل توقيف المنكسه والقطن وكوبا احسن من اول وطاب الحمد لله . — والخميس ، زارت كزه عند لوسيا بنت اختي ومراة سالم مريضه والان طابت .

— والتاريخ السبت في ١٥ ت ت ١٨٥٦ ، في ١٦ ربيع الاول ١٢٧٣

— والجمعة ، اجت البوسطه وذكروا ان النسا ما فضوا [بلاد] الفلق والبغدان لان ما جرت الشروط . واثنين فرنساويه اجوا لاسلامبول لاجل التلغراف سمموهم وماتوا . وصدر اعظم عزل ذاتـه وشيخ الاسلام طلب العزلة ايضاً . والانكليز ما انعطى لهم امر لاجل درب الحديد . والدنيا ملبغصه وباسلامبول مزربنين الاسلام وعمّال سب نابوليون والصليب والنصارى والله ينجينا من شرهم . وكان مزمع يصير حرب مهول بين الدول ونابوليون ما بيريدوه اهل فرنسا . هكذا سمعنا كأن الصلح ما ختم على خير ، الله يكملها بالخير . ومراة عبد الله ثابت جابت صبي ومراة دير اروتين ولدت وانتقل انطون دير اروتين ابو الاولاد الى الحوش العالية فوق باب كنيسة الموارنة .

[١٣١] — الاحد ، باركت لكوسا بالعروس ويومها اجا نعوم بخاش من الشام ومساء سلمت عليه . — الاربعا ، عطست وتغير كيفي . — الخميس ، شربت جاي البرتقال . — الجمعة ، سويت معجون الورد درهم ٤٠ ودست بالاكل على حجر ترعزع درسي[1] كذلك باذناب الفجل وكذلك بالرز . — السبت ، رجعت جاي البرتقال لان الختقة ما راحت . — والجمعة ، نوب كثير كثير . وقس بولس طاب . ومراة الوكيل وغزاله وكوبا للان مرضا وغيره سالم علقت على الاثنين يكون معلوم .

[١٣٢] — الثلاثا ، مات بن فيلكروز بروسپر الله يرحمه .

— السبت في ٢٩ ت ت ١٨٥٦ ، ١ ربيع الثاني ١٢٧٣

وطلبوا مني ٨٥ لاجل البدلية انقضت بتسكرة ٢ و٦٠ غرش . واجا كتاب

١) اكلت طعاماً فيه حجر او حصاة .

من انطانيوس بغلاقة مسواق القطن.

[١٣²] ــ الاحد ، دفعت البدليه لقندلفت[1] السريان يوسف دنبكلي ٦٠ ــ والسبت ، نيقلاوص غ شلفوه الى الاحد في ٦ كانون الاول ١٨٥٦ في ٩ ر ت ١٢٧٣. ــ الاربعا ، دفعت الى كسبار قاطرجي كلز ليره انكليزيه عدد ١٢ سعر ١٢٤ بناء شراكة بيني وبينه. ــ والسبت ، كتبت الى خواجه كورونلي اوراق[2] ٢ كورونلي وكنيدر وشركاهم بحلب خط مشق ورفيع.

[١٤¹] ــ الاربعا ، شربت زيت خروع درهم ٢٠ وما اشتغل الا قليل وبالليل دواء من عند انطون جد الصغير. ــ والخميس زيت ايضاً مثل الاول ودهن القبار وورق النارنج على معدتي قضى شغله وركن الجمعة الحمد لله. وتوفي يومها رزق الله فتح الله عبجي وكان له عليل مقدار سنة والنصف والله يرحمه

ــ السبت لوسيا غربي في ١٣ كانون الاول ١٨٥٦ ، في ١٦ ر ت ١٢٧٣

ــ والاربعا اجاني توتون ٢٠ وزعرور ٦ من كلز من كسباز القاطرجي.

[١٤²] ــ الثلاثا ، بدو صوم الميلاد وانا ما صمت فقط الاربعا[3]. ــ والجمعة تعد عندي بن الياس عرقتنجي نعوم وكان البربارة. ــ الخميس ، الاولاد قلال ودرت عيدت نيقولاوص ومساء رحت الدباغة مع نعوم الخوري الاطرش.

ــ السبت التاريخ في ٢٠ كانون الاول ١٨٥٦ ، غربي ٢٣ ر ت ١٢٧٣

ــ الخميس ، سمعنا انه بده يصير ميري على التتون الاتة ٨ غروش والعرق ايضاً والان ميري التتون من ٢ الى ٤ الى ٦ وكسبار جاب ملفوفات ٦ ارمقان سعر ١٠.

[١٤³] ــ الاحد ، ضربت عصفور ٤ بالحوش فرد دكه[4].

ــ السبت في ٢٧ كانون الاول ١٨٥٦، في ٣٠ ربيع ثاني ١٢٧٣

ــ والجمعة ، فطرت بيت الياس ضاهر قراص وقدير وتغديت بيت البطق

---

١) والقندلفت كان يسلمها لوكيل الطائفة لكي تُدفع لخزينة الحكومة.
٢) قد تكون على هذه الاوراق عناوين كتبها البخاش عوض الطبع.
٣) فقط اي : الآ   ٤) دفعة واحدة.

مع الشيخ الرويتني وذكروا عن تعليم عطش ناري[1] من اول الجمعة الى الان ما صار.

[١٥'] — الخميس، راس السنة ١٨٥٧ سنة مباركة فايضة الخيرات ومدرة السرور والبركات.

– السبت في ٣ كانون الثاني ١٨٥٧، في ٧ جمادى الاول ١٢٧٣

[١٥'] — السبت، بالليل كان عرس فيكوره الى بنت موسى موليناري في ١٠ كانون الثاني ١٢٥٧ وولدت مرات نعمة الله غزال وجابت بنت وركبوا عواميد ٤ لهيكل مار جرجس.

[١٥'] — هذه الجمعة ركبوا للهيكل الركايز فوق العواميد لاجل القبة.

– والسبت في ١٧ ك ٢ ١٨٥٧، في ٢١ جمادى اول ١٢٧٣

واجا امر[2] لبطرس حمصي ان يأخذ بنت عمه بطرس روزين.

[١٦'] — السبت، ارسلنا ورقة البولسه شحن القطن ومعها التعريفه لانطانيوس

– في ٢٤ ك ٢ غربي ١٨٥٧، في ٢٨ جمادى الاول ١٢٧٣

وسوسه مراة الياس كوبا جابت بنت.

[١٦'] — الاحد الروم قراو منشور باتباع الحساب الغربي من بطركهم وسمعنا ان الموسكوب اتبع ايضاً من راس ٥٧١١ وبخشش علايف العسكر يوم ١٢ وايضاً الكمارك هكذا سمعت. — والاثنين، مساء انعزمنا بيت عمي فتح الله بخاش بنوبه الى بكره وعشا وكان بيت الناتوز وستوها خطبة رزق الله ابنه بعتاب لان المذكور خطب بنت آكوب تاجر اوغلي. — السبت، سعد الذابح واول ٥٠. — والجمعة، اجا رزق الله ثابت من السفر وجابت صبي بنت بنت عمي مريم بنت جبرا بخاش مراة الكردي صبي (لها صلة)

---

١) اي اطلاق العساكر الرصاص على سبيل التمرين فيعلمون عنه الناس لئلا يتعرض هؤلاء لمواضع التمرين فيصابوا برصاصة طائشة. ٢) تفسيح.

شذرات

معهد الآداب الشرقية

منهاج الدروس للسنة ١٩٣٧ــ١٩٣٨

نال المعهد ، اعتباراً من هذه السنة الدراسية ، رعاية جامعة ليون. فاصبح من حقـه ان يولي طلّابه شهادات بالشؤون الشرقية معادلة لشهادات الليسانس الرسمية . اما شروط الانتماء اليه وموعد القاء المحاضرات والدروس فلا تزال كما كانت ، على ما لخّصناه في مشرق السنة ١٩٣٤ (ص ١٣١–١٣٣).

واما منهاج الدروس في السنة الحالية ١٩٣٧–١٩٣٨ فهذا تفصيله :

١ً اللغة العربية وآدابها

ا ــ عواصم الأدب العربي : السلسلة الخامسة :

قرطبة ، غرناطة ، اشبيلية ، عواصم الأدب الاندلسي.

١٥ اشولة يلقيها فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف ، من ١٣ كانون الثاني الى ١٢ ايار ١٩٣٨ ، على الترتيب التالي :

١ – فتح اسبانية

٢ – قُرطُبة :

ا – بلاط الأمويين الاندلسيين : عبد الرحمن الثالث ، الحَكَم الثاني . . .

ب – الحركة الادبية : ابن عبد ربّه .

ج – الحركة الفلسفية والعلمية : ابن حَزْم ، ابن رُشد ، ابن ميمون .

٣ – إشبيلية :

ا – بَلاط آل عبّاد : المعتمد بن عبّاد .

ب – الفنّ والموسيقى والشعر : ابن حمديس ، ابن هاني ، ابن زيدون .

ج – الحديث والتصوّف : إبنا العربي .

٤ – غَرناطة :

ا – بلاط النصريين بني الأحمر .

ب – الفلسفة والعمران : ابن طفيل ، ابن خلدون .

ج – الشعر : ابن الخطيب – قيمة الموشحات الشعرية .

٥ – نظرة عامة في المدنية الاندلسية

ب — تمهيد لدرس الغراماطيق المقارن في اللغات السامية

٣ امثولات يلقيها الاب ه. فليش اليسوعي ، خريج مدرسة الدروس العالية ، والحائز على شهادة مدرسة اللغات الشرقية الحية ، ومعهد التصريف اللغوي . من ١٩ الى ٣١ ايار ١٩٣٨

٢ التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية

ا — المدنية اليونانية-الرومانية في سورية

٨ امثولات تمهيدية « لشهادة التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية ، في المعهد اليوناني-الروماني » ، يلقيها الاب رنه موترد اليسوعي ، مدير معهد الآداب الشرقية ، من ١٥ كانون الاول ١٩٣٧ الى ٩ شباط ١٩٣٨ ، على الترتيب التالي :

محاضرة تمهيدية (٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٧) : جوبيتر البعلبكي ، استنادًا الى ابحاث الاب سبستيان رونزڤال .

١ – اشهر التواريخ وأبرز النزعات في الامبراطورية السلوقية .

٢ – اصطباغ العبادات الفنيقية والسورية بالصبغة اليونانية ، في صور (ملقارت ، اشمون ، أسترتو) ، وبيبلوس (أدونيس ، ڤينوس) ، وبيريت (بعل مرقد) ، ودمشق (زفس ، أترغاتيس) .

٣ – الحياة المدنية ، الألعاب ، المسارح .

٤ – عن السوريين من الفكرة والفن في العصر اليوناني-الروماني .

وهناك تمارين عملية تتمم هذه الدروس .

ويلحق بها محاضرة للاب ميربان اليسوعي ، الاستاذ في كلية اللاهوت (٢٣ شباط ١٩٣٨) بعنوان : هيكل القديس سمعان العمودي الصغير : التصميم والفسيفساء . (نتيجة حفريات السنتين ١٩٣٦ و١٩٣٧) .

ب — العرافة في العصر اليوناني القديم

٥ امثولات يلقيها الاستاذ فلاسيلير ، المحاضر في كلية الآداب في ليون ، من ٢ الى ٢٦ اذار ١٩٣٨ ، على الترتيب التالي :

١ – اساليب العرافة الاستقرائية ، وانواعها . صفة العرافين .

٢ – العرافة بالمشاهدة السرية . في بلاد اليونان وفي سورية .

٣ – دلف : تاريخ العرافة فيها : ازدهارها وانحطاطها .

٤ – دلف : اسلوب عرافتها.

٥ – العرافة والفلاسفة : افلاطون ، ارسطو ، اتباع زينون وايقور ، فلوتارك ؛ النصرانية – نتائج البحث.

وهناك تمارين عملية اسبوعية تتمم هذا الدرس.

ج – الصليبيّة في التاريخ والشرع في القرون الوسطى

٤ اسئولات يلقيها الاستاذ ميشال ڤيلي، حامل شهادة الليسانس بالادب والحقوق ، وشهادة الدروس العليا ، من ٢٤ كانون الثاني الى ١٤ شباط ١٩٣٨ ، على الترتيب التالي :

١ – اصول الصليبيّة وانشودة رولان.

٢ – الحملة الصليبيّة الاولى ، وتأسيس الامارات الفرنجية في سورية.

٣ – حقّ الصليبيّة ، وصليبيّات الغرب.

٤ – آخرة الدول الفرنجية في سورية . – النتيجة.

يتبع هذا الدرس محاضرة للاب غوستاف نيرون اليسوعي ، الاستاذ في كلية اللاهوت (١٧ كانون الثاني ١٩٣٨) عنوانها : شارلمان والبابوات والشرق.

د – بلاد العرب السعيدة
في بلاد اللؤلؤ والبترول

اسئولتان للاب هنري شارل اليسوعي ، حامل شهادة الدروس العليا ، واللغات الشرقية الحيّة ، في ١ و ٧ كانون الاول ١٩٣٧.

٣ اللغات الشرقية القديمة

يحق لطلّاب هذا المعهد ان يتابعوا دروس الكلية الاكليريكية في جامعة القديس يوسف في ما تعلّق باللغات الشرقية القديمة :

اللغة العبريّة : يلقي دروسها الاب پول موترد اليسوعي ، الاستاذ في كلية اللاهوت (الثلاثاء والسبت).

اللغة السريانية : يلقي دروسها المونسنيور ميخائيل الرجي ، رئيس كهنة الكاتدرائية المارونية (الخميس).

اللغة الارمنية القديمة : يلقي دروسها الاب مصيريان اليسوعي ، الاستاذ في كلية اللاهوت (الخميس ، من كانون الاول الى نيسان).

٤ً علم الشؤون الارمنية

تاريخ ارمينية ومؤسساتها من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر

١٠ امثولات يلقيها الاب مصيريان اليسوعي من ١١ ك٢ الى ٢٢ اذار على الترتيب الآتي:
مصير الشعب الارمني بعد فقده استقلاله:

١ – الإطار السياسي لتاريخ ارمينية العصري : ارمينية في الحروب التركية - الفارسية ، والروسية - الفارسية . – الشاه عبّاس الاول والارمن . – ملوك كَرَبَاغ . – ملحمة اسرائيل اوري وداود بك . – محاولات التخلّص على عهد كاترين الثانية .

٢ – حياة الشعب الأرمني : المجتمع العام . – القوافل التجارية . – الارساليات الغربية في ارمينية . – انبعاث الديورة الوطنية ومنافساتها .

٣ – الآداب الارمنية : اللغة ، وادب الانتقال . – المنشدون الأرمن . – محاولات الطباعة . – الاب مخيتار وأثره . وهناك تمارين عملية تتمم هذا الدرس .

هرمان هردر ١٨٦٤–١٩٣٧

نُعي الينا عن فريبورغ (بريسغاو) الدكتور هرمان هردر مدير مكتب النشر المعروف في العالم العلمي قاطبة باسم هِردِر . توفّاه الله في ١٩ تشرين الاول من السنة الحالية عن ٧٣ سنة خدم فيها العلوم والآداب الكتابية الكنسية خدمةً جليلة بمنشوراته المتعدّدة ، وبما اتصف به من سعة نظر ، وصدق عزيمة ، وثبات متواصل . كلّها صفات اخذ بها في ادارة مكتب النشر الشهير الذي كان جدّه قد انشأه في فريبورغ سنة ١٨٠١ ، ثم ترك ادارته الى ابنه والد الفقيد ، منذ السنة ١٨٣٩ الى السنة ١٨٨٨ . وفيها ورث الفقيد ادارة العمل . فاتمّ المنشآت ، واقام البناية الفخمة الماثلة اليوم ، واسس الفروع المتعدّدة في مدن المانية وغيرها كرومة ، وبرشلونه ، ولندرة ، وطوكيو ... ورافق هذا النشاط المادي نشاط آخر في التأليف والنشر ، فظهرت عن مطابع هردر المعاجم العامّة في اللاهوت الكنسي ، والتآليف الواسعة في الفلسفة واللاهوت بالالمانية واللاتينية . وكان منها ما تُرجم الى عدة لغات كتاريخ البابوات لپاستور ، والتاريخ المقدس المنقول الى ستين لغة ، وحياة المسيح لويلّام المترجمة الى عشر لغات .

«فالمشرق» يشاطر اسرة هردر حزنها واسفها متمنّياً ان يكون في صهر الفقيد ، الدكتور تيوفيل هردر - دورنيخ خير خلف لخير سلف .

مطبوعات شرقية جديدة

Christophorus Berutti, o.p., **Institutiones juris canonici. Vol. III, De religiosis. In-8°, XVI+384 pp. Torino, Marietti, 1936. Prix : L. 25.**

مبادئ الحقّ القانوني : الجزء الثالث

يتضمّن هذا المجلّد عرض نصوص المواد ٤٨٧–٦٨١ من الحقّ القانوني، وما تتطلّب من شروح وتأويل قامت بهـا اللجنة الخاصّة . ثم يهتمّ المؤلف بدرس حالات المعرّفين ، والراهبات ، والرهبان من الـذين تُعرض عليهم الخدمة العسكرية . وما قد يعرض للناذرين من رغبة في الخروج من نذورهم ، او من إخراج.

يظهر الكتاب تامّاً جزيل الفائـدة لطلّاب اللاهوت في آخر سنواتهم الدراسيّة ، ولرؤساء الرهبنات عامّة ، كما يفيد قضاة الدواوين الاسقفية في درسهم الدعاوي المختصّة بالرهبنات. ج.ل.

M. Conte a Coronata, o.m.c., **Institutiones juris canonici ad usum utriusque cleri et scholarum. Vol. V, Index rerum totius operis et appendices. In-8°, VIII+388 pp. Torino, Marietti, 1936. Prix : L. 20.**

مبادئ الحقّ القانوني : الجزء الخامس

هذا فهرس عامّ يسهّل استعمال الكتاب المذكور ، تحتوي فوق ذلك ، على جدول باسماء المؤلّفين في الحقّ القانوني قديماً وحديثاً ؛ وعلى ملحق في بعض الوثائق البابوية المختصّة بالموضوع نفسه.

Gerster a Zeil, o.m.c., **Sacramentum Extremae unctionis. In-8°, IV+80 pp. Torino, Marietti, 1936. Prix : L. 4.**

سرّ مسحة المرضى

هو كتيّب صغير ، ولكنه جزيل الفائدة ، اذ يجمع في سبع فقرات كل ما يتعلّق بسرّ مسحة المرضى استناداً الى تعليم جمهرة اللاهوتيين ، ولا سيما تعليم القديس بوناونتورا.

AL. MORETTI, Caeremoniae juxta ritum romanum seu de sacris functionibus. Vol. I. De quibusdam notionibus sacram liturgiam respicientibus. In-8°. VIII+260 pp. Torino, Marietti, 1936. Prix : L. 12.

في الطقس الروماني : الجزء الاول

عُقد مؤخرًا في جنوى مؤتمر طقسي كان من مقرراتـه الرغبة في ان تجمع بقانون خاصّ كل الانظمة الطقسية المتعلقة بالليتورجية الرومانية . ولا يخفى ما في تحقيق هذه الرغبة من صعوبات. على ان المؤلف الحاضر يرمي الى تسهيل هذا المشروع ، عارضاً في الجزء الأول ما يتعلق بالمدلولات الطقسيّة.

Dr JOSEPH HOLZNER, Paulus. In-8°, X+458 pp. Fribourg en Brisgau, Herder, 1937. Prix : M. 5,60.

حياة القديس بولس

هذه ترجمة جديدة للقديس بولس وضعها المؤلف في سبيل جمهرة القرّاء من ابناء اللغة الالمانية ؛ منصرفاً ، في مرماه ، عن الاختصاصيين في الموضوع . على انهم قد يستفيدون من ملاحظات عدّة ، فوق ما يستفيده جمهور القرّاء من امثال وعِبَر . ولا نعرف ، في هذا النوع ، ما يماثل الكتاب الحالي في تنسيق موادّه ، وترتيبها الى احياء الرسول الكبير في شخصيّته ، وفي البيئات المتنوّعة التي كان له ان يتنقّل بينها ، ويبشّرها . وقد دقّق المؤلف في اظهار ما اتّصفت به تلك الشخصية القويّة من صرامـة وقوة ارادة ، وثبات عزم . ويزيّن الكتاب ٤٧ رسماً في ١٦ لوحة متقنة الطبع. ب · م ·

Essai d'une somme catholique contre les Sans-Dieu, sous la direction et avec introduction D'IVAN KOLOGRIVOF. In-8°, 565 pp. Paris, Spes, 1937. Prix : 15 fr.

محاولة في جمع البراهين ضدّ الملحدين

غاية هذا الكتاب الردّ على مجلد يحمل على فكرة الدين ، نشرته ، سنة ١٩٣٣ ، الادارة المركزية لاتحاد منكري الالوهية في روسية السوفياتية . وقد جمع هـذا الردّ ملاحظات وافكارًا نيّرة رتّبها الناشر وفقاً لرسم الكتاب الكفري ، معيناً كلّ من شاء محاربة تلك الفكرة الهدّامة ، مقدّماً له معلومات

وبراهين غاية في الدقة . وفي آخر كل فصل جدول بأسماء المآخذ والمصادر ومما يجدر بالذكر اهمية الفصل الأخير ، وهو الثاني عشر ، المختص بتاريخ الحركة الكفرية التي انشأتها جماعة منكري الألوهة .

ج . ل .

FR. GAGUÈRE, Le saint pauvre de Jésus-Christ, Benoit-Joseph Labre. In-8°, 527 pp. Avignon, Aubanel Frère, 1936.

القديس بنوا جوزف لابر

لم يقدر القرن الثامن عشر حقّ قدره هذا القديس الذي نشأ فيه في ظلّ الفقر والتواضع . ومات كذلك . حتى أُعلن تطويبه سنة ١٨٦٠ ، ثم قداسته سنة ١٨٨١ . على ان القرن التاسع عشر نفسه لم يهتمّ به اهتماماً شعبياً . حتى كان القرن العشرين ، فرأى المؤلف الزمن موافقاً لنشر ترجمة تامة لهذا السائح الفقير ، فاقبل يطالع مجاميع الوثائق والمستندات ويستعين بما نُشر عن قديسه سابقاً ، حتى اظهر هذا المجلد النفيس الجامع بين العبرة الاخلاقية والفائدة التاريخية .

ج . ل .

BOÈCE, La consolation de la Philosophie. Texte, traduction, notices et notes par ARISTIDE BOCOGNANO. In-8°, « *Classiques Garnier* ». Paris, Librairie Garnier Frères. Prix : 15 fr.

التعزية الفلسفية

كان بويس من اشراف الرومانيين في اواخر القرن الخامس واوائل السادس للمسيح وقد عاصر حملة القوط الغربيين،واتصل بزعيمهم تيودوريك فاتفقا مدة. حتى تغيّر عليه الزعيم فشكّ في إخلاصه ، واتهمه بالتآمر عليه ، ثم أمر بقتله . فلجأ بويس ، في الحقبة التي قضاها في السجن، الى التأليف فكتب هذه «التعزية الفلسفية ». وكان من نصيبها ان صادفت رواجاً متتابعاً منذ ظهورها ، فكانت اكثر التآليف نقلاً في القرون الوسطى . وقد اهتمّ المترجم بتمثيل الكتاب بالمظهر الأنيق ، فصادف محله اللائق في مجموعة گارنيه المدرسية .

ج . ل .

THALÈS, Recueil annuel des travaux et bibliographie 1935. [Institut d'histoire des sciences et des techniques de l'Université de Paris et centre d'études de philosophie et d'histoire de la Philosophie dans leurs rapports avec les sciences].Paris, Alcan.Prix : 40 fr.

مجموعة سنوية لمعهد تاريخ العلوم والفنون في جامعة باريس : الجزء الثاني

تقدّم في مشرق السنة ١٩٣٥ (ص ٤٦٢) وصف المجلّد الاول من هذه المجموعة النفيسة . وها اننا نقدّم الى قرّائنا اليوم المجلّد الثاني ، محتوياً على ستة اقسام: ابحاث خاصّة ، مؤلفات في الموضوعات العصرية ، محاضرات المعهد ، ابحاث مدرسة التاريخ وفلسفة العلوم ، تحاليل واوصاف كتب ، جدول المصادر . واننا نذكر من القسم الأول محاولة في جمع المكتشفات الطبيعية الحديثة للبرنس دي برُويل ، وهي مثال لما يمكن تأليفه في هذا النوع من الابحاث .

Publications de la Société des Nations. II. Questions économiques et financières (*série verte*). Genève.

II, A 7, Annuaire statistique 1936-1937.
II, A 8[1], Aperçu de la situation monétaire.
II, A 8[2], Les banques commerciales.
II, A 9, Aperçu général du commerce mondial 1936.
II, A 10, Alimentation.
II, A 13, Revue de la situation économique mondiale 1936-1937.
II, A 14, La production mondiale.

منشورات جمعية الامم : في الشؤون الاقتصادية والتجارية

في هذه اللائحة وحدها بلاغة كافية . فهي تشهد بما تبذله جامعة الأمم ومؤسساتها من جهود في جمع المعلومات وترتيبها ، وبما تعرضه على الاختصاصيين من سهولة في وضع الجداول والاحصائيات ، وبما تنيله من فوائد للجغرافيين ، ورجال السياسة ، وارباب المخابرات . ولم يكن لنا شيء من هذا قبل الحرب العالمية .

يرى المطالع في المجلّد الاول صورة عن العالم واضحة : في مساحته ، وعدد سكّانه ، والقاطنين فيه ، وانواع العمل ، ومعدّل الاجور . وطرق الانتاج

والاستهلاك ، والنقليات ، والتجارة ، وموازنات الدخل والخرج ، والاحصائيات النقدية ، والأسعار ، والماليات العامة .

اما المجلد الثاني ففيه نظرة شاملة على الحالة النقدية في العالم ، تتفرع الى خمسة ابحاث : المبادلات عامة ، المبادلات التوقيتية ، اساس التثبيت ، العرض ومجموعات الذهب ، معدل الفوائد ونتائج الأسهم . وكلها ابحاث تدور على الحقبة من السنة ١٩٢٩ الى اذار ١٩٣٧ .

وفي المجلد الثالث بحث في العملة والمصارف في السنة ١٩٣٦—١٩٣٧عنوانه المصارف التجارية في مختلف البلدان .

ثم يأتي المجلد الرابع فيدرس المبادلات التجارية مدة السنة ١٩٣٦ ، ويعرض مقابلة بين الارقام في السنة ١٩٣٦ والارقام في السنوات السابقة .

وهناك تقرير نهائي للجنة التي الّفتها جامعة الأمم لدرس الأغذية وعلاقاتها بالصحة العامة ، والزراعة ، والسياسة الاقتصادية .

بعد ذلك يأتي عرض عام للحالة الاقتصادية ، يظهر للمرة السادسة ، فيحتل مركزًا مهمًا في مجموعة الابحاث الاقتصادية . ويخص فصله الاول بدرس الاتفاق المثلث المعقود سنة ١٩٣٦ ، منتقلًا الى درس ارتفاع الاسعار وتحسن شروط العمل ، وازدهار التجارة العالمية . اما الفصلان الاخيران فيتناولان البحث في مراقبة الاعتمادات ، وعرض الحالة الاقتصادية في تموز ١٩٣٧ .

وتختم هذه السلسلة بذكر المنتجات العالمية واسعارها في السنة ١٩٣٦— ١٩٣٧ .

ج . ل .

JACQUES BARDOU, Ni communiste, ni hitlérienne, La France de demain. Un plan. In-12, 107 pp. 2e édition, Paris, Librairie Sirey.

فرنسة الغد لا شيوعية ولا هتلرية

من ظواهر عصرنا الحاضر ما نراه من اضطرار رجال العلم العالمي ، واساتذة المعاهد الكبرى في فرنسة ، الى النزول في ميدان العمل السياسي للدفاع عن بلادهم ، ومناجزة المتهجّمين عليها لحساب الاجانب . وليس هذا الكتاب الصغير سوى أثر من آثار هذه الظواهر يبدأه المؤلف بتمهيد في ضرورة الإصلاح

فرنسة ، والّا فالحرب بالمرصاد . ثم ينتقل الى موضوعه الخاصّ عارضاً تصميماً مفصّلاً لما يجب ان تكون عليه فرنسة الغد ، استناداً الى مقرّرات اللجنة الفنية التي يرئسها المؤلّف منذ نشأتها اي منذ السنة ١٩٣٥ .

LOUIS-FERDINAND CELINE, **Mea Culpa**, suivi de la vie et l'œuvre de Semmel-Weis. In-12, 124 pp. Paris, Denoël et Steele, 1937.

خطيئتي عظيمة

سيلين اسمٌ مستعار لمؤلّف هذا الكتاب. وهو فرنسوي يساري الصبغة كان منتمياً الى « الجبهة الشعبية » . ثم سافر الى موسكو ، ورأى بعينه ما فيها ، فعاد تائباً. على انه دوّن « خطيئته العظيمة » بأساوب مضطرب عسر الاستساغة. ولا نراه يأتي بفائدة . وكلّ ما يقوله لا يتجاوز ٢٧ صفحة . اما باقي الكتيب فيحتوي على أطروحة المؤلّف لنيل دكتوراه الطب (سنة ١٩٢٤) وموضوعها احد اطباء المجر في القرن التاسع عشر .

P. LUCIUS, **Un siècle et demi de révolution 1789-1936**. In-12, 209 pp. Paris, Librairie de l'Arc. Prix : 15 fr.

قرن ونصف في الثورة

لا يخفى ان من ضروريات فهم الأزمة الحكومية الحاضرة في فرنسة أن نعيد النظر في درس التاريخ الحديث . وهو ما يقوم به المؤلّف راقياً الى قرن ونصف قرن ، الى ثورة السنة ١٧٨٩ ؛ مبيّناً انه ، منذ تلك الثورة ، اخذت فرنسة بتعملات.اذ خلقت فيها الحركة الثوروية شعبَين متباينين لم ينفتأا يتعاكسان ويتطاحنان حتى اليوم . فكانت في اضطراب دائم وتقلقل مستمرّ . واي دليل اوضح على هـذا الاضطراب من تتابع الأحداث الحكومية منذ تلك السنة المشؤومة . فهناك تسعة انظمة سياسية للحكم ، واحد عشر دستوراً مختلفة ، وخمس زحفت على الاراضي الفرنسوية ، واربع ثورات دامية . وليس من سبيل الى انكار هذه الأحداث . على ان المؤلّف يهتمّ خاصة بدرس تطوّرها درساً دقيقاً جذّاباً يزيد كثيراً على ما يُعرف من تاريخ فرنسة العامّ . ويختم الكتاب بنتيجة عملية تقرب من الجزم بعدم فائدة المؤسسات البرلمانية . . . ج . ل .

Amiral Castex, De Gengis-Khan à Staline, ou les vicissitudes d'une manœuvre stratégique (1205-1935). In-12, 189 pp. Paris, Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales.

من جنكيز خان الى ستالين

يفيدنا التاريخ انه كلّما نشأت في آسية سلطة قويّة ، رمت حالًا الى الاتساع العسكري وبسط نفوذها القاسي على البلاد المجاورة . ويفيدنا ايضًا ان الخطط التي سارت عليها هذه السلطات القديمة في تحقيق مراميها لم تتغيّر مدة القرون المتتابعة من جنكيز خان الى ستالين.

هذا ما لاحظه المؤلّف مستفيدًا من اختباره الدقيق بشؤون الشرق الاقصى ، دارسًا ، في كتابه الصغير ، نوعيّة هذه الخطط ، منذ القرن الثالث عشر ، اي منذ عصر المغول ، حتى السنوات الاخيرة ، عهد ظهور روسية السوفياتية . وقد دقّق في خطط روسية السوفياتية تدقيقًا عجيبًا سهّل علـى المطالع الاهتداء في تلك المتاهات المتشعّبة ، والظواهر الغامضة التي امتاز بها النظام السوفياتي . فاني بكتاب قيّم جزيل الفائدة لارتفاعه من الحوادث الخاصّة الى النظرات الشاملة الدالّة على ان العناية تسيّر الناس مها تنوّعت مراميهم ومقاصدهم.

ج. ل.

Jacques Eddé, Géographie de la Syrie et du Liban. In-8°, 168 pp. Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1937-1938. Prix : 20 fr.

جغرافية سورية ولبنان

انه لكتاب ثمين يصدره اليوم جاك اده . وما هذه الكلمة الّا ملاحظة يبديها فورًا من يقلّب ، قليلًا او كثيرًا ، الطبعة الرابعة « لجغرافية سورية ولبنان ».

بين الرسوم الشمسية المتقنة ، والخارطات الملوّنة الموضوعة على احدث اساليب ، يقع الناظر على جداول دقيقة لجيولوجية البلدين ؛ ولتقسيماتها الإدارية الحالية والسابقة ؛ ولاماكن الاصطياف في لبنان مع ارتفاع كلّ منها عن سطح البحر ، وبعدها عن بيروت ، وحالتها الجوية ؛ ولمختلف اجناس الحيوانات في لبنان وفي سورية ؛ وللارباح الجمركية ؛ وللتجارة مع البلدان الاخرى.

وقد اهتمّ المؤلف، خاصةً، بالناحية الاقتصادية من موضوعه. وهو ما صرّح به في المقدّمة، مبيناً اهمية السياحة، والتجارة، والزراعة، والصناعة، في مستقبل لبنان. لذلك كانت الفوائد التي يجنيها القارئ من كتاب جاك اده جمة من حيث الاقتصاد. وقلّما وقع نظر المطالع، في هذه الآونة، على تآليف اهتمّ اصحابها بالية لبنان، واتوا بالمعلومات الصادقة عنها.

ولم يهمل المؤلف، في سبيل هذه الناحية، طبيعة البلدين وحالتيها السياسية والإدارية.

وقد اتبع كل فصل بقطعة قراءة اورد فيها كلاماً لمشاهير الكتاب الفرنسيين كلامرتين، وباريس، وبوردو، وغيرهم في جمال الطبيعة اللبنانية، وفي هيبة دمشق الشام.

فاتت جغرافية سورية ولبنان مؤلفاً علمياً عن الشرق الادنى لم يسبقه اليه احد في ناحيته. وقد عرف ان يسلي به القارئ، فأتى حديثاً جميلاً يفيد الطلاب وجميع المتأدبين، بل يهمّ زوّار لبنان من الاجانب. ن.ع.

Joseph A. Dagher, L'Orient dans la littérature française d'après guerre 1919-1933. In-8°, XVII + 304 pp., Beyrouth, E. Angélil, éditeur, 1937. Prix : 50 fr.

الشرق في الآداب الفرنسية بعد الحرب ١٩١٩—١٩٣٣

كتاب نفيس دلّ المؤلف في اعداده على جهود جمّة وجلد متواصل، وروح ترتيب وتنظيم جدير بالتقدير. حتى اظهره بهذا المظهر الرائق محتوياً على كلّ ما كُتب من بحث طويل، او رسالة موجزة، او مقالة مقتضبة عن الشرق، باللغة الفرنسوية، من السنة ١٩١٩ الى السنة ١٩٣٣، سواء أظهر ذلك منفرداً في كتاب على حدة، او في مجموعة دوريّة، ام في مجلّة ام جريدة سيّارة. وقد كان من فضل المؤلف انه رتّب كل ذلك على اساليب تسهل الاستفادة منها لكل باحث. فبدأ بعرض الابحاث وفقاً لاسماء مؤلفيها على الطريقة الابجدية. ثم انتقل الى جدول ترتيبي وفقاً للمواد المدروسة، مقدّماً ذكر المعلومات العامّة من مصادر الابحاث، والمكاتب، والمخطوطات؛ ومن علوم مساعدة للتاريخ

كالآثار ، والنقود ، والوثائق ، والرقم ؛ ومن ديانات ، وفنون ، وتواريخ عامّة لأحقاب الشرق؛ منتقلا الى قسم خاص رتّب فيه الابحاث عن لبنان وسورية ، فأرمينية ، ففلسطين وشرق الاردن ، فالعراق ، فتركية ، فمصر ، فبلاد العرب والبحر الأحمر والحبشة ، فايران وافغانستان ؛ جامعاً في كل ذلك ٥٢٣٩ بحثاً ، مقدّماً لنا كتاباً لا يستغني عنه باحث في شؤون الشرق ، مستحقاً شكر المؤرخين والأثريين والادباء جميعاً .

ف.ا.ب.

R. W. Seton-Watson, **Histoire des Roumains, de l'époque romaine à l'achèvement de l'unité.** In-8°, 665 pp , 1 carte hors-texte. Paris, Les Presses Universitaires de France, 1937.

تاريخ رومانية

نشر المؤلف كتابه اولا باللغة الانكليزية . ثم شاء ان يكتب بنفسه النصّ الفرنسوي ، فاستحق شكرنا ، اذ اتحفنا بتاريخ عامّ شامل لبلاد الرومانيين كلّها منذ البدء الى تمام الوحدة في رومانية ، في اسلوب شائق ، وطريقة موضوعية بحتة .

ولا يخفى ان تاريخ رومانية ، في اكثره ، تاريخ معاصر ، يبتدئ في القرن الثالث عشر ، قُبيل وصول الاتراك الى اوربة . اما قبل هذه الحقبة فهناك الغموض والإشكال على مدة الف سنة ليس فيها شيء من الوثائق المكتوبة ، فلا مخرج للكاتب عنها الّا التخمين والفرضيّات . وهو ما اضطرّ المؤلف الى اللجوء اليه مقتصرًا ما أمكن مجال هـذه الابحاث حتى حصرها في فصل واحد خصّه باصول الرومانيين فلم يتجاوز به الثاني عشرة صفحة . وإذا بالفصل الثاني يتناول عهد الإمارات . وقد طال هذا العهد حتى السنة ١٨٦٦ فحلّت «رومانية» محلّه . وظلّت البلاد ، بفضل نظام الإمارات ، تتمتّع بكثير من الاستقلال الداخلي ، تحت سيطرة الترك ، بخلاف ما حصل في بلاد اليونان وسائر البلاد البلقانية التي اشتدّت فيها وطأة الاستبداد التركي .

اما رومانية العصرية فانها تبدأ بظهور شارل دي هوهنزولّرن ، العامل المهم على اقرار استقلال رومانية النهائي .

وليس من شكّ في ان القرّاء الفرنسويين يستفيدون كثيرًا بمطالعة هذا الكتاب، ولا سيّما في ما خصّ العصر الأخير . واننا لنتمنّى ان يقوم المؤرّخون من ابناء سائر الدول الاوربية الشرقية، ودول الشرق الادنى، فيخصّوا بلادهم بمثل هذا التاريخ النفيس. ج.ل.

Bouchta et Zora el Baghdadi, Christian Richard, **Vie du Pacha Si Mohammed el Baghdadi.** In-12, 166 pp., 9 pl. et 1 carte hors-texte. Paris, Larose, 1936. Prix : 12 fr.

حياة الباشا سي محمد البغدادي

انها لحياة ملأى بالعجائب حياة هذا الفلّاح المراكشي، المنتقل الى ساحة الحرب مدة اربعين سنة، المستقرّ اخيرًا باشا في فاس، على مدة عشرين سنة تخللها من المغامرات والمخاطر ما لا يخطر الّا لمؤلّفي الحكايات والاساطير. وقد تكون شخصية الباشا سي محمد البغدادي أغرب من شخصيات ابطال تلك الحكايات . بيد انها مكتوبة بدقة تاريخية موضوعية لا تترك زيادةً لمستزيد . فان المؤلّفين قضوا الأيام والليالي يدرسون الوثائق، ويستمعون الاحاديث، ويجمعون الشهادات في سبيل عملهم الجدّي المخلص . حتى اتوا بهذا الكتاب الصغير فساهموا، في تعريف هذه النفس الكبيرة، التي «شرّفت، لا وطنها ودينها فقط، كما في قول الجنرال برنيون كاتب المقدّمة، بل الانسانية جمعاء . » واذًا فليس افضل من الاشارة بقراءة هذا الكتاب على من يهمّهم الاطّلاع على صفحة بل صفحات من التطوّر العام الحاصل في مراكش منذ السنة ١٨٨٣ الى السنة ١٩٣٢، وقد كان الباشا من عناصره القويّة .

Les Meilleurs Textes de P. Mérimée. Introduction de Fernand Arbois. Collection « *Choisir* ». In-12, LIX+565 pp. Paris, Desclée de Brouwer et Cie, 1937. Prix : 15 fr.

منتخبات من آثار ميريمه

لقد اشتهرت هذه المجموعة الحديثة العهد بحسن انتخابها افضل ما يمثّل كبار الكتاب الفرنسويين والاجانب من آثار متنوّعة المواضيع مختلفة المناحي باختلاف عقليات اربابها وتنوّع معالمهم الادبية . فعرضت لنا منتخبات من آثار دوبانلو ،

وجوزف دي مستر ، وستاندال ، وهويسمانس ، وسانت بوف ، وفلوبير . وها انها تتناول مؤلفاً روائياً قصصياً من اشهر ارباب هـذا الفنّ في القرن التاسع عشر . يخصّه الاستاذ فرنان أوبرن بمقدمة واسعة دارساً حياته ، محللاً شخصيته وأثره بتفصيل موجز يمهد للمطالع السبيل الى تفهم الآثار المنتخبة ، وقد زادت على ٥٦٠ صفحة ، فيقرأها ويخرج منها وقد كوَّن لنفسه صورة صادقة لپروسپر ميريمه . فنتج ان هذه المجموعة الجديدة جديرة بالتشجيع ، حرّية بان يقبل عليها روَّاد الأدب الفرنسوي طلّاباً كانوا او متأدّبين. ف.١٠ب.

فخر الدين المعني الثاني امير لبنان (١٥٩٠—١٦٣٥)

ادارته وسياسته

بقلم الخوري بولس قرألي

١٥٦ ص. متوسطة — نُشر برعاية مجمع العلوم والفنون الملكي الايطالي — حريصا ، مطبعة القديس بولس ، ١٩٣٧ — الثمن : ٥٠ غ.ل.س.

هوذا تأليف جديد للخوري بولس قرألي يُتحف به مكاتب محبّي التاريخ، ويخطو خطوةً واسعة في درس ماضينا على ضوء فكرة سامية هي الفكرة الوطنية. وليست هي المرة الاولى التي يخدم بها المؤلّف تاريخ الوطن اللبناني. فان له المنشورات العديدة في مجلته البطريركية،وعلى حدة. وكان آخر ما قام به،قبل هذا الكتاب، سفرًا نفيساً جمع فيه الوثائق الغربية عن علاقات فخر الدين بدولة توسكانة وبغيرها من دول ايطالية. وقد استفاد من هذه الوثائق ومن غيرها مماّ نُشر في الوطن عن الامير الكبير، فألّف هذا الكتاب رامياً الى درس ادارة الامير وسياسته درساً دقيقاً يقوده الى اظهار تلك الشخصية الكبيرة مظهر العامل الغيور على وحدة البلاد واستقلالها التامّ ، مقرِّرًا في اذهان المطالعين مجالي الفكرة الوطنية النيّرة.

بيد ان هذه الصفة ، الحميدة في اساسها ، قد تجرّه احياناً الى سهو لا يُغتفر ، ولا بدّ من الاشارة الى بعضه كقوله : « وظلّت صيدا تحت ولاية ورثائه (اي ورثاء فخر الدين) حتى السنة ١٨٦٠ » (ص ٩٣) ولا يند عن علم حضرة

الاب المؤلف ان احمد باشا الجزّار، وعبدالله باشا، وسليمان باشا، وسائر الولاة العثمانيين لم يكونوا ضيوفاً في المرفأ اللبناني الجميل.

اني آسف اشدّ الأسف لانتقاد هذا الإفراط في الدفاع عن قضيّة تعزّ عليّ فوق كل شي. ولكن تاريخنا لا يحتاج الى تحوير، بل ان مبالغات كهذه قد تجرّ شيئاً من الاستخفاف بتاريخنا وبقضيتنا الوطنية نحن في غنى عنه.

واستشهد المؤلف بالخالدي فاورد عنه العبارة التالية بين مزدوجين: «لو لم يلتهِ اللبنانيون بالغنائم والخيَم، وكانت زهاء الفين، لقتلوا من الدمشقيين مقتلة عظيمة» (١١٤) وفاته ان يذكر الصفحة والطبعة اللتين وجد فيها هذه الجملة، وقد استحال عليّ وعلى بعض الرفاق ان نجدها بحرفها في كتاب الخالدي.

ان الامانة في نقل النصوص ضرورية، كما يعلم حضرة الاب قرألي، لا سيما وانه يحتاج، في تأليفه الجديد، الى كثير من الثقة لأنه يستند مراراً الى رسائل وآثار اطلع عليها في زوايا المكاتب الايطالية، ويصعب على القارئ ان يقف عليه بنفسه.

لا شك ان المؤلف معجب بفخر الدين كل الاعجاب، ولكن اعجابه يقوده حيناً، في سبيل البيان عن صفات الامير الممتازة، الى التضحية بخير براهين التي تؤيد حقوق لبنان التاريخية. فقد نقل عن الخالدي قوله ان فخر الدين «وقف» الامير يونس حرفوش على بعلبك والبقاع (١٠١). وفي الخبر دليل على سيطرة امير لبنان على البقاع وبعلبك. غير ان الاب قرألي يرى فيه «عفة نفس» فخر الدين اذ سلّم الى «حلفائه» البقاع...

ان هذه الشوائب التي يقع عليها المطالع تخفّف شيئاً من موجة السرور التي غمرت الكثيرين لدى سماعهم بالكتاب الجديد. ولكنها لا تقلل من جهود المؤلف والفوائد التي اتانا بها بتنقيبه بين السجلات المديشية والفاتيكانية. مما لا يستغني عنه كل مشتغل بالتاريخ اللبناني.

ن. د.

تاريخ لبنان

الموجز : لطلّاب الشهادة الابتدائية

بقلم اسد رستم وفؤاد افرام البستاني

١٢٠ ص. متوسطة، ٥٠ رسماً ، ٣ خارطات منها خارطتان ملوّنتان – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٧ – الثمن: ٥٠ غ. ل. س

هو احد الاجزاء التي اتفق المؤلفان والحكومة اللبنانية على اصدارها لتوضع بين ايدي الطلّاب ، فتعدّهم لمختلف الشهادات. وقد جاء تلبيةً لرغبة الكثيرين من الغُيُر على التربية الوطنية ، وسدًّا لحاجة ماسّة شعر بها جميع اللبنانيين على السواء ، اذ لم يكن من المعقول ان يثقّف الطلّاب خير ثقافة ، وان يتعرّفوا الى تواريخ الامم الاجنبية ، دون ان يعرفوا شيئاً صحيحاً عن تاريخ بلادهم . وممّا يضمن صدق « تاريخ لبنان » الجديد ان المؤلّفين ، ممثلي الجامعتين البيروتيتين ، اشتهرا بسعة العلم ، ودقة الابحاث ، والتجرّد العميق. وهي شروط لا بدّ منها لمن يجرأ على السير في هذا الميدان الدقيق.

امّا « تاريخ لبنان » ، الموجز لطلبة الشهادة الابتدائية ، فيحوي ثمانية وعشرين فصلاً اولها في « تكوّن لبنان » الجيولوجي ، وآخرها في « الانتداب والاستقلال » ؛ وكلها فصول متتابعة ، متماسكة على احسن ما يرام ، مكتوبة بلغة قريبة المنال من صغار القراء ، فتريهم كيف مرّ لبنان ، منذ البدء ، بحوادث واحوال كان بعضها نتيجة البعض الآخر ، حتى وصل الى حالته الحاضرة. ولا شك ان التلميذ سيكون ، بعد هذه الدروس ، فخورًا بأمّته . وقد عرف المؤلفان ان يخدما الحقيقة والوطن في آن واحد ، فيلفتا النظر ، بتواضع ، الى صفحاتنا الجميلة ، ويذكرا ، بلباقة السموح ، الحوادث المؤلمة كتلك التي جرت في عهد الفوضى في القرن الماضي . وقد امسكا . في كل ذلك ، عن التوسّع في الاخبار تاركين الشرح المفيد ... وذكر المصادر والمآخذ ، وجداول رجال الدول المتعاقبة على لبنان ، والفهارس الابجدية الواسعة » ، للجزء المختص بالشهادة التكميلية ، وللجزء الاكبر الموافق لمنهاج البكالوريا.

فكان هذا الجزء تجربةً موفقة ، وكتاباً مدرسياً ممتازاً ، لا يفيد التلاميذ فحسب ، بل كثيرين غيرهم ، لأنه اول تاريخ جامع صحيح للبناننا العزيز.

ن. د.

موسى بن ميمون: حياته ومصنّفاته

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون

١٧٧ ص. كبيرة. – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر ١٩٣٦

موسى بن ميمون (١١٣٥–١٢٠٥) — ويسميه العرب ابا عمران عبيد الله — حبر ، وطبيب ، وفيلسوف يهودي عربي ، ولد في قرطبة (الاندلس) ، ثم اضطرته الاضطهادات ، التي لاقاها اليهود من لدن فاتح قرطبة المسلم عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي ، الى النزوح الى المغرب ، فمكّا ، فمصر الفسطاط حيث استقرَّ الى آخر ايامه ، ثم دفن في طبرية بفلسطين الى جانب عظماء بني اسرائيل. وموسى بن ميمون هذا من اشهر الفلاسفة اليهود ، الذين عملوا على نقل الفلسفة العربية الى اللغات الاوربية في القرون الوسطى ؛ درس الفلسفة الاسلامية في نصوص ابن طفيل وابن رشد ، ورجع الى نصوص ارسطو نفسه ، وتأثر كثيراً بالثقافة العربية ؛ وقيل انه اسلم مكرهاً في الاندلس ثم عاد الى دينه في مصر. وقد احتفلت الهيئات اليهودية في نواحي العالم كله ، سنة ١٩٣٥ بذكرى مرور ثماني مئة سنة على ميلاده (١١٣٥ – ١٩٣٥). وكتاب الدكتور ولفنسون الذي نحن بصدده من جملة الابحاث التي ظهرت حوالى السنة ١٩٣٥ لاحياء ذكرى الحبر اليهودي العظيم. ولموسى بن ميمون مؤلفات ، ورسائل ، ومقالات عديدة في الشريعة التلمودية والطب والفلسفة ، اغلبها عربيّ اللغة ، مكتوب بحرف عبري ، نذكر منها كتاب «السراج» في تفسير «المشنا» ، وكتاب «تثنية التوراة» في الفقه الاسرائيلي ، وكتاب «دلالة الحائرين» في الفلسفة الاسلامية التقليدية ، وهو المؤلَّف الذي يُخرج صاحبه عن نطاق الدين المحض ويجعل منه فيلسوفاً كبيراً.

اما الدكتور اسرائيل ولفنسون ، استاذ اللغات السامية بدار العلوم المصرية ،

فمستشرق يهودي ايضاً ، يحسن العربية ويجيد كتابتها ، ويكني نفسه او يكنونه بابي ذؤيب .

يقسم بحثه الحاضر الى اربعة ابواب : الاول (٤٠ ص) في حياة موسى ابن ميمون ؛ — الثاني(١٦ص) في مؤلفاته ومكانته الدينية ؛ — الثالث(٨٠ص) في فلسفته وكتابه « دلالة الحائرين » ؛ — ويشتمل هذا الباب على منتخبات عديدة من آثار موسى بن ميمون ؛ — الرابع (١٨ ص) في مصنفاته الطبّية .

ولا يهمنا من هذه الابواب الاربعة الا الاول والثالث . اما الاول فبحث مستفيض مكتمل المعلومات ، كثيرها ، عن حياة ابن ميمون واطواره العقلية ، اطال فيه المؤلف الشرح والتدقيق بغيةً منه لرسم صورة كاملة صادقة للفيلسوف قبل ان يلج باب فلسفته . غير ان هذه الصورة غامضة في بعض نواحيها ، يصحبها ابحاث خارجة عن الموضوع ، سواء في متن الكتاب ام في حواشيه ، ولا تزيد المطالع فائدةً . واما الباب الثالث من الكتاب ، وهو الاهم ، فيكتفي فيه المؤلف بايجاز بعض مقاطع من « دلالة الحائرين » وايراد بعضها بالنصّ الكامل ، دون ان يلقي نظرة شاملة على محتويات الكتاب ، او يعرض لبحث وتحليل مبادئ فلسفة ابن ميمون العامة ، وآرائه في المشاكل التقليدية . ثم يستطرد لذكر تأثير «دلالة الحائرين» في الاندية الفلسفية واليهودية على ممرّ العصور ، ويتكلم عن اهتمام العلماء في كل عصر بترجمته وشرحه .

فيظهر لك مما تقدم ان الاستاذ ولفنسون اقرب الى المؤرخ المدقّق منه الى الفيلسوف الباحث في افكار مترجمه ، المتحرّي آراءه الفلسفية الطريفة . لذلك يلقي القارئ كتابه ، وليس لـه عن ابن ميمون الا معلومات تاريخية عمومية لا تساعد كثيراً على فهم فلسفته وادراك ميزتها الشخصية .

وعلى كلٍّ ، فالكتاب جدير بالانتباه ، وهو نظراً لقلة الابحاث العربية العلمية عن ابن ميمون ، يُعدّ خطوةً لا بأس بها في تعريف الفيلسوف الاسرائيلي العربي للمشتغلين بالفلسفة العربية .

انطوان موصلي

تاريخ العراق بين احتلالين

الجزء الثاني: حكومة الجلايرية (١٣٣٨–١٤١١م)

بقلم المحامي عباس العزاوي

٤٧٦ ص. متوسطة – مطبعة بغداد الحديثة، بغداد، ١٩٣٦ – الثمن: ٢٥٠ فلساً

تقدّم في «المشرق» (٣٤ [١٩٣٦] ٦٣٣) وصف الجزء الاول من هذا الكتاب القيّم خاصاً بحكومة المغول وما جرّته من احداث على البلاد العراقية. ولقد تابع المؤلف جهوده، فاظهر الجزء الثاني متناولاً فيه حقبةً مهمّة وان قصيرة. وهو يمتاز بما امتاز به سابقه من الإحاطة بالاخبار والروايات، وجمع المصادر متجاوزًا بها الاحداث المادّية الى تأريخ المظاهر الاجتماعية والادبية، جارياً فيها على الطريقة التوقيتية القديمة اي ذكر الحوادث سنةً فسنةً. على ان الفهارس الواسعة التي اردف بها الكتاب تزيد في قيمته وتسهّل الاستفادة منه لطلّاب التاريخ. وقد زيّنه بعددٍ من الصور الموفّقة لو حظيت بجودة الطبع. ونحن نعدّ الكتاب من مآثر المؤلف الجليلة، ونتمنّى له التوفيق في متابعة عمله.

كتاب الفقه على المذاهب الاربعة

الجزء الاول: قسم العبادات – الطبعة الثالثة: ٦٦٤ ص. كبيرة – القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٦.

الجزء الثاني: قسم المعاملات – الطبعة الثانية: ٤٦٨ ص. كبيرة – القاهرة، مطبعة الحضارة الشرقية، ١٩٣٣.

الجزء الثالث: قسم المعاملات – الطبعة الاولى: ٤٩٦ ص. كبيرة – القاهرة، مطبعة الارشاد، ١٩٣٥.

انه لمشروع جليل هذا الذي عُنيت بتنفيذه وزارة الاوقاف المصرية. فألّفت، سنة ١٩٢٢، لجنة من علماء المذاهب الاربعة في الجامع الازهر وعهدت اليهم في تأليف كتاب جامع في الفقه الاسلامي يكون من أسس التعليم الديني في مصر. اما اعضاء اللجنة فهم: الشيخ محمد السمالوطي والشيخ محمد عبدالفتاح العناني من علماء المالكية؛ والشيخ عبد الرحمن الجزيري والشيخ محمود البيلاوي

من علماء الحنفية ؛ والشيخ محمد سبيع والشيخ ابو طالب حسني من علماء الحنابلة ؛ والشيخ محمد الباهي من علماء الشافعية . وقد كان للشيخ عبد الرحمن الجزيري اليد الطولى في تنظيم الكتاب ، وباسمه ظهر الجزءان الثاني والثالث

اما محتويات الكتاب فقد جمع الجزء الاول منه « قسم العبادات » مبتدئاً بكتاب الطهارة ، فكتاب الصلاة ،فكتاب الصيام ، فكتاب الزكاة ، فكتاب الحج .وقد أُلحق به بحث في الأضحية ، والذكاة الشرعية ، وما يجوز وما لا يجوز، واختتم بجدول في تفسير بعض الالفاظ الاصطلاحية في المذاهب الاربعة .

وتناول الجزء الثاني قسماً من « المعاملات » وفيه كتاب « الحظر والإباحة » في الأكل ، والشرب ، واللبس ، والصيد ، والذبائح ، والولائم ، والتصوير ، والغناء ، وازالة الشعر وقصّ الاظافر ، وسباق الخيل ، ورمي السهام ، وإنشاء السلام ، وتشميت العاطس . . . ثم كتاب « اليمين » واقسامها وشروطها ، والصيغ التي تنعقد بها ، وكفّارتها ، والنذور وتعريفها واقسامها . . الى ان يبلغ كتاب « البيع » فيفصل اركانه وشروطه وعيوبه ، وما يتفرّع عن هذه الأحكام من الحوادث الخاصّة والتطبيقات الفردية من عادية ونادرة كبيع النجس وبيع الطير في الهواء الخ . . . يلحق بذلك مباحث في الربا واحكامه ، وبيع الغبن ، ومباحث في الرهن واركانه واحكامه . ثم في القرض وتعريفه . وينتهي هذا الجزء الثاني بمباحث الحجر على الصغير ، والمجنون ، والسفيه ، وما يفرض عليها منها من مباحث واحكام .

اما الجزء الثالث فيختص بقسم آخر من « المعاملات » فيه مباحث المزارعة ، والمساقاة ، والمضاربة ، وسائر انواع الشركات الزراعية والصناعية والتجارية . ومباحث الإجارة وشروطها في مختلف انواع المأجورات من جماد ونبات وحيوان وانسان . ثم مباحث الوكالة وشروطها ، والحوالة ، والضمان ، والوديعة ، والعارية ، والهبة . وينتهي بمباحث واسعة في الوصية وشروطها واحكامها .

ويلي هذه المجلّدات الثلاثة أجزاء تتناول سائر الاحكام الشرعية . ولا شك في انها تؤلّف ، اذا ما انتهت ، اتمّ مجموعة عصرية تدرس الفقه الإسلامي .

وصايا الله العشر
وكمالها في شريعة يسوع الملك

للارشمندريت تيوفانس شار

٢٣٠ ص . متوسطة – مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٧ –

هي مجموعة محاضرات القاها ، في كاتدرائية الروم الكاثوليك بمصر القاهرة ، حضرة الارشمندريت تيوفانس شار من الاكليروس البطريركي فحلّل فيها وصايا الله العشر على اسلوب يتناول من القديم سلامته ومن الحديث طرافته ، ويعرض لكثير من المشاكل التي تثيرها المدنية العصرية . فكان لنا جزء مفيد للمطالعة والتأمل .

البرهان الجلي على علم الاب الكرملي

٨٠ ص متوسطة – دمشق الشام ، مطبعة ابن زيدون ، ١٩٣٤

الحجّة البيضاء في صحة نعت الجموع بفعلاء
والجزء الثاني من البرهان الجلي على علم الاب الكرملي

٢٢٢ ص متوسطة – دمشق الشام ، مطبعة الترقي ، ١٩٣٧

للشيخ امين ظاهر خيرالله الشويري اللبناني

لا يزال للمشاحنات اللغوية ، في عصرنا ، مريدون قليلو العدد ولكنهم شديدو الشكائم ، صليبو الاعواد ، لا يسمعون بكلمة نادّة ، او بجمع شارد ، الا استفزتهم حمية اللغة الصراح ، فقاموا يذبّون عن حياضها بألسنتهم وأقلامهم ، لا يأخذون بهوادة ، ولا يالون بنقد . وقد تدفع بهم الحماسة في مقاومة البدع الى مقارعة بعضهم البعض الآخر ، «فتأكلهم غيرة بيت اللغة» ، واذا بهم على الحق مختلفون ، ينقض ثانيهم ما يبنيه الاول ، ويرمّم ثالثهم ما ينقضه الثاني . اما اللغة فتستفيد على كل حال ، واما القراء فيعجبون مستغربين مثل هذا الاندفاع في مثل هـذه الابحاث . ومنها الكتابان اللذان نقرأهما اليوم فنستفيد منهما معلومات جمة لا تخلص لباحث الا بعـد المطالعات المجهدة في

دواوين اللغة ، والمران الطويل على اساليب العرب، هذا مع مقدرة الاستنتاج، وسلامة الملكة ، وحسن الذوق . نستفيد من محتويات الكتاب الاول :

« ١ — الجلاء عن مجيء مزيدات للافعال بمقتضى القياس أغفلتها المعاجم ، وهي واردة في كلام الفصحاء الذين تؤخذ عنهم شواهد اللغة .

٢ — مثالًا لاستخدام علم المناظرة في بحث القضايا اللغوية على وفق ما اوجبته علماء ادب البحث .

٣ — الكلام عن القياس وسَريانه في صيغ الجموع، وقصور المعاجم عن استيعاب تلك الصيغ للدلالة على ضرورة الجلاء عن القياس ووجوب اعتماده في موادّ اللغة .

٤ — مباحث في علم التخريج تُثبت صحة قواعده . والجلاء عن ان ما جاء في المعاجم انه على غير قياس هو في الحقيقة على مقتضى القياس . ولكن القياس الحقيقي لم تدركه المعاجم لاغفالها العمل بقواعد علم التخريج .

٥ — لا غنى عن استخدام علمي المباني والتخريج في وضع المُعجم المحرَّز في متن اللغة العربية . فان وَليَ وضع المُعجم المحرَّز مَن لا اطلاع له على هذين العلمين فلن يأتي المعجم كما تستلزمه الغيرة على فائدة المطالعين واداء العمل حقه من العناية . »

وفي الكتاب الثاني نطّلع على « تأييد قاعدة لغوية ، مصداقها في العهدين العتيق والجديد ، وفي الحديث الشريف . وقد رواها الإمامان الثقتان الزجّاج والزمخشري . وشواهدها في اقوال امرئ القيس وزهير وطرفة وسواهم . واستعملها العلماء الاعلام : الشيخ ناصيف اليازجي ، وابنه الشيخ ابراهيم ، والشيخ احمد فارس الشدياق ، والشيخ يوسف الاسير ، والشيخ طاهر خيرالله ، والمطران اقليميس يوسف داود ، والمطران جرمانوس معقَّد ، رحمهم الله جميعاً . »

اما هذه القاعدة اللغوية فمفادها ان نعت الجموع بفعلاء صحيح . فيُقال: كرّيات بيضاء ، وادلّة غرّاء ، وهضاب ملساء . . . كما يُقال : كرّيات بيض ، وادلة غُرّ ، وهضاب مُلْس . خلافاً لما زعمه حضرة الاب انستاس الكرملي ، وهو مَن يدلّ صاحب الكتاب على مبلغ « علمه » « بالبرهان الجلي » ، كما يدلّ على

اسلوبه « المهذّب » بنشر رسالة بعث بها الاب من بغداد الى المؤلف في دمشق، غمز فيها من قناته على طريقة لا يعرفها العلماء مدرجة الى الحقيقة. ويرى المطالع هذه الرسالة وجوابها في آخر الكتاب الاول ، فيستفيد ويعتبر!

ف.ا.ب.

آثار نينوى او تاريخ تلكيف

تأليف يوسف هرمز جمو

١٢٧ ص. متوسطة – مطبعة الامة ، بغداد ، ١٩٣٧

مدينة تلكيف من اقدم المدن العراقية ، بل هي البقعة الوحيدة من آثار نينوى العظيمة. ولا يزال اهلها محافظين على لغتهم الآرامية القديمة ، يتخاطبون بها ، اينما وُجدوا ، على معرفتهم اللغات المختلفة ولا سيما العربية ، ويفتخرون بتقاليدهم وعاداتهم الخاصّة ، ويتوقون الى الاطلاع على تاريخهم منذ القدم الى اليوم ، فكان لهم هذا الكتاب الصغير. جمع فيه المؤلّف كل ما امكنه جمعه عن نينوى - تلكيف ، على قلة المصادر في هذا الموضوع ؛ قاسماً بحثه على عدة فصول بدأها بذكر تاريخ المدينة ، وموقعها ، واصل اسمها ، ثم انتقل الى درس اراضيها وما فيها من الاطلال والآثار ، مشيراً الى توسع المدينة الحالية ، وميزات سكانها ، واشغالهم ، ومساكنهم ، وعاداتهم في الغذاء واللباس ، واخبار المشاهير منهم في الدين والدنيا من كهنة وامراء وادباء وشعراء وشواعر. ومن شهيرات النبـل والأدب ، الاميرة ماريا تريزيا الأسـر التي اقامت مدّة في بلاط الامير بشير ، لائذةً بعدله من الاضطهاد الذي أثير على اهلها في العراق (ص ٦٥). ويعود المؤلّف الى ذكر عادات التلكيفيين في الأعراس ، والمآتم ، والملاهي ، والألعاب ، والمواسم ، والاحتفالات الدينية. ويخصّ قسماً ثانياً باهالي تلكيف المهاجرين وبالبلاد التي نزلوها ، واعمالهم فيها ، منتهياً بتلكيف في عهدها الحالي. كل ذلك يزدان بالصور العديدة التي وددنا لو كانت اوضح ، اذًا لازدادت فائدة الكتاب اضعافاً.

ف.ا.ب.

صانعو الجريدة وواجبنا الصحفي

محاضرتان لانطون الجميل

٤٢ ص. متوسطة – دار النشر الحديث ، القاهرة ، ١٩٣٧

محاضرتان أُلقيت الاولى منهما سنة ١٩٣٦ في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية في القاهرة ، باشراف وزارة الداخلية والجامعة المصرية. والثانية في قاعة يورت بالجامعة الاميركية ، باشراف كلية الحقوق المصرية . تناول المحاضر في الاولى « صانعي الجريدة » من الكتاب الى المترجمين ، الى المصوّرين ، الى المراسلين ، الى الهواة المتطوّعين ، الى المحرّرين الفنيين ، الى الجمّاعين المصححين ، الى « المرضّبين » ، منتهياً برئيس التحرير فادارة الجريدة . اما المحاضرة الثانية فتختص « بالواجب الصحفي » تجاه البلاد ، وبواجب الحكومة والامّة تجاه الصحافة. كل ذلك باسلوب لطيف تخلّله كثير من النكات الصحفية والشواهد الشعرية فجمع بين اللذة والفائدة. وقد اردفت المحاضرتان بسؤال برلماني وجّهه المحاضر، وهو عضو مجلس الشيوخ المصري ، الى وزير الداخلية عن « تنظيم جمعية الصحافة » .

رسالتي

مجموعة في الادب والفنّ والاجتماع والشعر المنثور

تأليف عيسى السفري

١٢٧ ص. صغيرة – مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة يافا ، ١٩٣٧ – الثمن : ١٠٠ مل

يحتوي هذا الكتاب على عدة مقالات مختلفة المواضيع والاخراج، مضطربة الذوق الادبي لجدّة اساوبها الانشائي . عرض فيها المؤلف اولًا لقضية فلسطين بصورة «شعرية» حماسية ، ثم بحث في شؤون ومشاكل عديدة كالقديم والجديد، ودور الملك فيصل في نهضة العرب القومية ، ومركز الدين من الهيئة الاجتماعية منذ القدم الى اليوم ، واردف ذلك ببضعة ابحاث عن رجال الوطن والادب كجبران خليل جبران . ويتخلّل جميع هذه الفصول آراء طريفة للمؤلف في

وجوب نبذ التقاليد البالية والتعصب الديني ، وتقديس الوطن والنهوض الى الاعمال المثمرة والمفيدة لخير الجميع ، الى غير ذلك من الافكار التي تنيل المجموعة وحدةً تأليفية.

الا ان القارئ يحار في الحكم على اسلوب الكتاب الادبي ، فليس هو بالبحث العلمي الدقيق ولا بالانشاء الخطابي ولا بالشعر ، ان هو الا نوع جديد تدخله جميع هذه العناصر المذكورة بصورة موفقة بعض الاحيان . ولكن للكاتب ، فيما خصَّ بعض المشاكل الدينية والفلسفية ، آراء تبدو على كثير من الاضطراب والغموض ، او على الاقل تظهر بحاجة شديدة الى التوضيح والتعليل. ولعلَّ اجمل ما جاء في هذه المجموعة كلمة المؤلف في المقدمة : « اننا اذا آمنا بالحياة احببناها ، ومتى احببنا الحياة وجدنا كل شيء فيها جميلًا حتى الموت. فالحياة هي ميراث الانسانية ، ونحن ، كأناس ، علينا الَّا نحتقر هذا الميراث. »

ا . م .

كتابي

آراء وابحاث في الادب والفلسفة

تأليف احمد عبدالغفور عطّار

٢٢٥ ص. صغيرة - مطبعة ام القرى ، مكة

هذا الكتاب مجموعة مقالات واحاديث و« شعر منثور وحرّ » ، في ماهية الادب والشعر ، وواجب الادباء ، وتعريف بعض الفلاسفة ، ألّفها طالب في المعهد العلمي السعودي ونشر بعضها في الجرائد الحجازية . ولقد ضمّنها « آراء وابحاثاً شتى في الادب والفلسفة وما يتعلّق بهما » ، وقال في التصدير (صفحة ج) انه « يُسرّ ممن يمدح كتابه » ، وفي المقدمة (صفحة ٤) « ان في بعض المقالات ركاكة لم يُرد ان يقوّمها » ، زاعماً فيما بعد ان مؤلّفه هذا نموذج من الادب الحجازي الحديث.

اما سرور المؤلف فنأسف لعدم امكاننا القيام به ، وجُلّ ما يُقال في الكتاب انه مجموعة تمارين انشائية وادبية كالتي يكتبها تلاميذ المدارس ، لم

تمرّ عليها يد استاذ متوقد البصيرة فتُصلح ما وقع فيها من غموض في التعبير، وركاكة في تركيب الجمل، واختيار الالفاظ، وتسعى لايجاد صلة بين الافكار المتتابعة؛ زد على ذلك رداءة الطبع والتشكيل. واما ان هذا الكتاب نموذج من الادب الحجازي الحديث، فنتمنى ألا يكون كذلك لانه يحطّ كثيراً من قيمة الحجازيين الادبية. بقي الامر الثالث وهو ان المؤلف «لم يرد تقويم ركاكة مقالاته»، ونحن لا نجد مبرراً لسلوكه هذا، ونرجو منه ان لا يتراجع في المستقبل عن هذا العمل المفيد، فيخدم نفسه اولاً، ثم يخدم القراء، فلا يضيّع عليهم فائدة تفكيره وكتاباته، لا سيما وان له بعض الآراء الموفقة.

ا. م.

رحلة موسوليني الى ليبيا

٢٢ ص. متوسطة مزدانة بالصور – رومة، ١٩٣٧

صور شائقة في مظهر طبعي جميل، على ورق نفيس، تمثل «ليبيا في عهد الفاشيزم» مفصّلة رحلة الزعيم موسوليني الى تلك البلاد في ربيع السنة ١٩٣٧. يبدأ الكاتب بمقدمة في الطريق الساحلي في ليبيا. ثم يأتي تفصيل الرحلة من طبرق الى درنة، الى بنغازي، الى طرابلس الغرب. وما تخلّل ذلك من خطب وتقادم دلّت على ابتهاج الشعب الليبي بقدوم «الدوتشي» كما دلّت على اهتمام «الدوتشي»، بل اهتمام ايطالية، بترقية ذلك الشعب.

السياسة الخارجية الايطالية

٤٧ ص. متوسطة – رومة، ١٩٣٧

وهذا الكرّاس ايضاً من منشورات رومة «عُنيت بطبعه محطّة باري وروما اللاسلكية» وضمّنته نصّ الخطاب الشهير الذي القاه الكونت شيانو، وزير الخارجية، في مجلس النواب الايطالي، في ١٣ ايار ١٩٣٧، متناولاً فيه موضوعات مهمّة عن حقيقة الامبراطورية، وايطالية وعصبة الامم، والثورة الاسبانية، والتعاون الايطالي الالماني، واتفاقات رومة، وايطالية وانكلترة، والعلائق الايطالية الافرنسية، والمفاوضات لعقد «لوكارنو» جديدة، وايطالية ودول

البلقان ، والسياسة التجارية ، وايطالية والعلم العربي ، والعلائق مع آسية ، والعلائق مع الدول الاميركية ، والايطاليين في الخارج ، وغير ذلك مما لا يزال له وقعه الحالي.

دولة التعاون باندماج الجمعيات

تأليف برونو بياجي — تعريب سعيد الشرتوني

٦٨ ص . صغيرة — مطبعة مجلة «العرائس» ، بكفيا ، ١٩٣٧

يجدر بجميع المشتغلين بالشؤون الاجتماعية ، الآخذين بدرس الحركات الثقافية ، ان يطّلعوا على هذا الكتاب الصغير، فتنبسط معرفتهم الى" مبدأ جديد لا يزال في سنّ الحداثة حتى في مهده الايطالي "، اذ يقفون على نظرية الفاشستية وكيف تكوّنت نقاباتها ، وتطوّر تاريخها ، حتى كانت فكرة التدامج بين الجمعيات وفكرة الجمعية التأسيسية واهدافها، ودور الجمعية في النظام التشريعي، وفي النظام الاقتصادي. وهو ما رمى اليه المعرّب الشاب ، اذ لم يشأ ان « يدع لغة الضاد متأخرة عن غيرها من لغات الغرب في الاطّلاع على هـذه العقيدة الجديدة. . . والله من وراء النيّات ! ».

كنوز الفاطميين

للدكتور زكي محمد حسن

٢٠٢ ص. كبيرة ، ٦٤ لوحة — منشورات دار الآثار العربية في القاهرة — مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٧

عرفنا مؤلف الكتاب بعدة ابحاث وفصول في مظاهر الفنّ الاسلامي. ولكنّ واحدًا منها لم يكوّن بحثًا شاملًا ، حتى كان هذا الكتاب النفيس. استعدّ له صاحبه بزمالة الاستاذ غاستون ڤييت مدّة عشر سنوات. وبدرس الآثار الفاطمية عن كثب في المتحف العربي ، وبابحاث خاصّة في التاريخ الفنّي المصري. فكان خير من يدرسُ كنوز الفاطميين من ابناء النيل.

قسم كتابه قسمين: خصّ الاول منهما بدرسٍ تاريخي استعراضي ، تناول فيه اقوال المؤرخين عن "التحف الفنية في قصور الفاطميين ". فاكثر من النقول

واقلّ من التردد والاستنتاجات. وكأنه لم يشأ الّا التوطئة بلخص عادي للقسم الثاني ، وهو محور الكتاب ، بل محور الكثير من الابحاث المقبلة عن الفنّ الفاطمي بما تضمّنه من دقة وصف ، وسعة اطّلاع ، وتذوّق فنّ ، وعاطفة قومية وددنا لو انها كانت اقلّ حماسة واندفاعاً، ولا سيما في تعليق بعض الحواشي، اذاً لكان الكتاب اقرب الى الموضوعية العلمية ، ولَما خسر الفاطميون ، ولا المصريون ، ولا المسلمون شيئاً من المجد الذي يحق للمؤلف ان يفخر به. ومهما يكن من أمر فان هذا القسم من الكتاب جدير بالدرس والتأمل : درس الاوصاف ، والشروح، والتأمل بالامثلة المعروضة في لوحات غاية في الاتقان تساهم ، مع تنسيق الكتاب ، في انالة مطبعة دار الكتب المصرية حقّها من العمل على نهضة فنّ الطباعة في مصر. يبدأ الدارس هذا القسم الثاني بلمحة عامة في القاعة الفاطمية من المتحف العربي. ثم ينتقل الى آثار الفاطميين في الفنون الفرعية من نحت وتصوير ، وتجليد ، ومنسوجات ، وخزف ، وصناعة زجاج ، وفسيفساء. ونقش في الخشب ، وعاج ، ومعادن ، الى ان ينتهي ببحث اجمالي قيّم ، في « العنصر الزخرفي في الفنّ الفاطمي ». والمؤلف ، في كل ذلك ، لا يحصر بحثه بالآثار الباقية في دار الآثار العربية ، بل يتجاوز متحفه الى غيره من متاحف القاهرة كالمتحف القبطي وبعض الاديرة والكنائس المصرية ؛ بل يتجاوز مصر الى متاحف اوربة العامّة ، بل الى المجموعات الخاصّة التي يعتزّ بها كبار الهواة وتجار العاديات ، والى بعض الكنائس والاديرة الاوربية ايضاً. ويؤيد ابحاثه بتلك اللوحات الشائقة الجامعة اكثر من مائة صورة لأشهر الآثار الفاطمية ، ولا سيّما القماشية والخشبية ، والخزفية ، والزجاجية منها.

ومما يجدر بالذكر لائحة واسعة بمراجع الكتاب تجاوزت مائتين وخمسين بحثاً في اللغات العربية والفرنسوية والانكليزية والالمانية « درسها المؤلف كلّها » على ذمّة الاستاذ ڤيات ، فأهلت كتابه لأن يكون ، فوق قيمته الذاتية ، مجموعة مهمّة لمراجعة البحث المذكور.

ف. ا. ب.

تقويم الهلال ١٩٣٨

١٤٤ ص. كبيرة مزدانة بالصور – دار الهلال، مصر، ١٩٣٧

يظهر هذا التقويم في سنته العاشرة ممتازًا بما امتاز به في السنين السابقة من حسن طبع، وجمال صور، واجمال لحوادث السنة المهتة ولا سيما في مصر. فينتقل المطالع من سياسة، الى دين، الى اجتماع، الى ادب، الى سينما، الى خرافات وفكاهات متنوّعة، متأملًا رؤوس اعاظم القوم من احياء أثّروا بعض الأثر في مجاري الكون العامة، ومن اموات احدثوا فراغات متباينة في بلادهم وفي غيرها،مدة السنة المنصرمة. كل ذلك باسلوب يرمي الى اللذة اكثر منه الى الفائدة. وتظهر فيه، فوق كل شيء، النزعة المصرية؛ ولا بأس في ذلك لو كان التقويم موضوعاً لمصر وحدها. اما وارباب الطباعة في مصر يطمحون الى الاسواق الادبية في جميع مناطق لغة الضاد، فلا اقلّ من ان يطلعوا على ما يحدث في تلك المناطق. نقول هذا وقد وقفنا على الفصل المعنون «بالحركة الفكرية في عام» (ص ٦٣–٦٧)، واذا بنا نتحقق ان الكاتب لم يرتفع عن مستوى بعض زملائه من المتأدبين المصريين، فلم يدرك ان الحركة الفكرية العربية تتتابع في ما وراء العريش! ف. ا. ب.

ابن بطوطة: تحفة النظّار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الروائع: الاجزاء ٤ و٥ و٦–١٦٢ ص. صغيرة – الطبعة الثانية – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٧ – الثمن: ٩ غ. ل. س. كل جزء.

ابو الطيب المتنبي: المدائح والاهاجي — المراثي والمفاخر والحكم

الروائع: الجزءان ١١ و١٢ – ١٢٨ ص. صغيرة – الطبعة الثانية – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٧ – الثمن: ٩ غ. ل. س. كل جزء.

بقلم فؤاد افرام البستاني

لك في ابي الطيب المتنبي — في هذه الطبعة الجديدة — فوق ما كان يعطيك من ادب ونقد في طبعته السابقة، مجموعة ما اثارته «ذكراه الألفية» من تآليف عربية واعجمية، ولك من كلّها فكرة واضحة جليّة، وان سريعة

مقتضبة ، لئلا تخرج الاطالة صاحبها عن نطاق « روائعه » المعروف . ولما كان المؤلفون هؤلاء لـمسوا من شاعرية المتنبي نواحي جديدة اهمها ما جاء في مقال للاستاذ البستاني نفسه : « المتنبي والشعر الصافي » (المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ٣٥١) وجب ان يضخّم البستاني منتخباته. وهذا ما فعله معطياً لكل رأي من آرائه ما يشهد عليه من شعر الشاعر.

وهذا ابن بطوطة في الفه العاشر ايضاً يكتسح الاسواق الادبية بمرونة من تقدّمه في « الروائع » ، من علي بن ابي طالب الى امرىء القيس. تدلّ اجزاؤه الثلاثة على ما دلّ عليه جزءا المتنبي من عمل واجتهاد ودرس متتابع متواصل يرتّبه الاستاذ البستاني، يقيناً منه ان للكتب حياةً كما للأولاد، فان منعتها عنايتك ماتت . لهذا تراه من زيادة الى انقاص في المنتخبات ، ومن تحوير الى تبديل في المقدّمات ، ومن ايضاح الى ايضاح في الحواشي ، الى اشارات سديدة للمنتوجات الادبية الجديدة التي لقراءتها فائدة في الموضوع «الروائعي» المدروس. ناهيك عن اتقان في الطبع والمظهر الخارجي هو من صفات المطبعة الكاثوليكية

ا . ح .

تاريخ الحب

للكاتبة مارسل تينير — ترجمه بتصرّف ابراهيم المصري

ملحق مجلة الهلال — ٦٨ ص . متوسطة — دار الهلال ، بمصر ، ١٩٣٧

من مساوئ انتشار الطباعة المصرية الحديثة هـذا الانحراف في اختيار الموضوعات الذي يُدفع اليـه بعض الكتّاب ، مجاراةً لاذواق الفريق الاعظم من سوقة قرائهم ، فينصرفون عن الابحاث الجدّية الى ترّهات وقشور لا نصيب لها من النضج ، فلا يد في انماء الثقافة المصرية . واذا بالقائد مَقود ، وبالـانس مسوس. واذا بالادب، وقد فرضت عليه السوقة ذوقها السطحي ، مجموعة واهية من الفصول الصحفية . فالقصة اعاجيب خرافية ، والتاريخ نوادر وفكاهات ، والعلم نُقول ومزاعم ، والفنّ عوار وغوامض . ذاك ما يتطلبه الجمهور الناقص الثقافة ابدا فيولّده الكاتب سريعاً رخيصاً . ومنه الكثير من منشورات مصر